وزارة التـــعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي.

جامعـــة حسيبة بن بوعلي- الشلف.

كليـــــة الآداب واللغـــــات.

قسم اللغـــة العربية وآدابهـــا.

منظومة البديع عند عبـــد الرحمـــن الأخضري

مذكـــرة معـــدّة لنيـــل شهـــادة الماجستيـــر.

تخصص: الدراسات اللغوية والنحوية في العهد التركي بالجزائر.

من إعداد الطالبة: **إشـــراف الأستاذ:**

نوال بن حاج زيان . **الدكتور: العربي عمّيش.**

أعضـــــاء لجنـــــة المناقشـــــة:

أ.د. مكي درار ..... رئيسا.

د عبد الحليم بن عيسى..... عضوا.

د سعاد بزناسي..... عضوا.

د.سهيلة ميمون..... عضوا.

د.العربي عمّيش..... مشرفا ومقرراً.

مقدمـــــــــة:

إنّ في دراسة موضوع البديع في العهد التركي بالجزائر إشارة إلى تفرد التجربة الأدبية، فالعلماء النحويون واللغويون الجزائريون، كان لهم بالغ التأثير في هذا المجال ولعل فكر الباحث أو المطالع لهذا المشروع سيبقى متشوقا إلى مجمل الفرضيات والتساؤلات التي يمكن لهذا البحث أن يجلّيها ويشخصها لتكتمل بذلك الخارطة الأدبية والمعرفية لحقيقة الثقافة الجزائرية في العهد التركي.

وقد وسمنا مذكرتنا بـــ "منظومة البديع عند عبد الرحمن الأخضري"، محاولين فيها الإجابة عن بعض التساؤلات من بينها: التعرف على موضوعات البديع لدى الأخضري (ت.983هـــ)، والكشف عن المصطلحات التي وظفها، وكذا معرفة إذا ما وظف موضوعات ومصطلحات سابقيه، أم أنّه أضاف جديدا يذكر في الحقل البديعي.

وكان موضوع هذه المذكرة خاضعا لجملة من الأسباب من بينها:

-جدّة الموضوع، وذلك لأن موضوع هذا البحث ينتمي إلى مشروع الدراسات اللغوية والنحوية في العهد التركي بالجزائر، هذا العهد الذي لم يأخذ حقّه من الدراسة اللغوية النحوية عموما، والبلاغية على وجه الخصوص.

وكذا التعرف على واحد من أهم أعلام الجزائر في مجال البلاغة، وهو عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـــ) الذي يعدّ رائدا من رواد البلاغة والبديع في العهد التركي ومحاولة الوقوف على أسرار منظومته البديعية وكشف أساليبها ومنهجها.

إضافة إلى الضرورة الملحة إلى استكمال بعض الحقول الفكرية التي تفرّد بها الأخضري (ت.983هـــ) خاصة منها ما يتعلق بموضوع البديع، حين أتى على يديه منظوما على شاكلة ما اشتهرت به الأدبية العربية المغربية، ثم الأدبية الجزائرية في العصر التركي.

ولأن الدراسات اللغوية والأدبية ترتكز على مقتضيات وإجراءات بحثية تكاد تتوحّد حولها مجمل البحوث المقدمة لنيل شهادة الماجستير في مشروع الدراسات اللغوية

والنحوية في العهد التركي، ومع شحّ المعطيات التوثيقية، غدا المصدر التراثي الواحد مصب اهتمام جلّ الباحثين المنتمين لحلقة المشروع المذكور.

لذلك فقد سبقني الطالب "حاج هني محمد" ببحث القضايا اللغوية التي اشتهر بها "عبد الرحمن الأخضري" في مذكرة موسومة ب"الدرس البلاغي عند عبد الرحمن الأخضري"، وهي رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الشلف عام 2007 م، وكذلك الطالبة" فايزة طيبي أحمد " في بحث لنفس العلَم وسم بـــ" البحث الدلالي في العصر التركي من خلال السلم المرونق لعبد الرحمن الأخضري"، وهو أيضا رسالة نوقشت بنفس الجامعة، عام 2008م.

وقد تضمن البحث مدخلا وثلاثة فصول، وخاتمة، وملحق، وفهارس.

حاولنا في المدخل استيعاب السياق التاريخي للأخضري من خلال امتزاج المنطلقات التاريخية بخصوصية البيئة، ومدى تأثير ثقافة الأخضري في علماء عصره ومن تبعه من العلماء، ثم عرجنا إلى مفهوم المنظومة دون أن ننسى القيمة العلمية للمؤلف الذي اعتمدناه في دراستنا.

أما الفصل الأول فقد تطرقنا فيه إلى تعريف علم البديع ونشأته وتطوره، وكذا الأسس النظرية لعلم البديع فكان التركيز فيه على أصول الانفعال البديعي، والأساليب اللغوية لنعقبه بالحديث عن العلاقة بين البلاغة والبديع، ثم أدرجنا بعدها أثر الوظائف اللغوية في بنية البديع.

ونتناول في الفصل الثاني سمات الموضوع البديعي لدى الأخضري (ت.983هـــ) وكان أول ما تطرقنا إليه هو تحديد المهاد التاريخي لموضوع البديع، والتعرف على منهج هذه المنظومة، وأساليب التحسينات البديعية اللفظية، وأسرار المعارف القبلية.

وتضمن الفصل الثالث المصطلحات البديعية لدى الأخضري بحيث بحثنا فيه عن موضوعات البديع الراجعة إلى المقاصد المعنوية، ثم الراجعة منها إلى المقاصد اللفظية، إذ يمكن القول بأنها محاولة لكشف السرد الاصطلاحي لمحتويات المنظومة البديعية، وهذا

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

عن طريق المقاربة بين إنجازات الأخضري (ت.983هـ) وبين غيره من العلماء عبر فترات تاريخ الأدبية العربية.

وذيلنا البحث بخاتمة تعرضنا فيها إلى النتائج المستخلصة.

كما أدرجنا في نهاية المذكرة ملحقا تضمن لمحة موجزة عن حياة الأخضري (ت.983هـ)، ثم الموضوعات والمصطلحات التي احتوتها منظومته، دون أن ننسى منظومة البديع التي اعتمدناها في هذا البحث.

وقد فرضت طبيعة الموضوع توظيف عدة مناهج، في مقدماتها المنهج التاريخي الذي وظفناه في البحث عن التطور التاريخي لفن البديع، والمنهج المقارن الذي ظهر جليّا في مقارنة ما جاء عند الأخضري (ت.983هـ) بالعلماء القدامى، والوصفي التحليلي في وصف وتحليل المصطلحات التي تضمنتها المنظومة.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع، تمثلت في بعض المخطوطات التي لازالت تحتاج إلى من يخرجها إلى النور، والكتب المطبوعة خاصة منها المتخصصة في علم البديع، وبعض الرسائل الجامعية التي تدعم البحث.

وإذا كان لايخلو أي بحث من الصعوبات، فإنّ أول ما واجهنا منها هو قلة المصادر المتخصصة في علم البديع، إذ نجد بعض المؤلفات تعطي أكبر حصة من الكتاب لعلمي البيان والمعاني، ويبقى علم البديع الذي يأخذ جزءا يسيرا إذ يعتبره العلماء تابعا ولاحقا لهما، وهذا ما دفعنا إلى التنقل إلى بعض جامعات الوطن للحصول على ما يفيدنا منها، دون أن ننسى الأستاذ الدكتور" العربي عميش" الذي جاد علينا ببعض المؤلفات في هذا العلم.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الفضل والامتنان إلى الأستاذ المشرف الذي تتبع خطوات هذا العمل على أمل إخراجه في أحسن صورة ومهما بالغت في شكره لن يصل إلى مقدار ما بذله من جهد في توجيه هذا العمل.

وأتمنى أن يلقى هذا البحث القبول من أعضاء لجنة المناقشة الموقرة التي بفضلها تكتمل مرحلة تقويمه، وإخراجه للقارىء في أفضل حلة.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

السياق التاريخي لعبد الرحمن الأخضريّ (ت.983هـ):

لعلّ الذي لا جدال فيه هو أنّه كلّما تناءت بلاد العرب والمسلمين عن نقطة المنطلق التي هي الجزيرة العربية، كلّما شعر التفكير اللّغوي بضرورة الاجتهاد في بذل الجهد من أجل توثيق الصلة باللّسان العربي المبين، ونحسب أنّ اللّسان العربي المغربي بكلّ إشكالاته الجغرافية والتاريخية هو دائما في أمسّ الحاجة لتوطيد الصلة بالمرجعية العربية الأصولية في البحث اللّغوي، حيث لا يمكن النّظر إلى علماء العربية في المغرب العربي إلاّ من هذا المنطلق التاريخي الموضوعي، هذا دون أن نغفل ما كان للوازع الديني من سبب مباشر في اجتهاد علماء المنطقة العربية النائية بهدف توثيق الصلة بالعلوم الدينية.

وقد احتفلت الزوايا والكتاتيب في تاريخ الجزائر القديم والحديث بالدور الريادي في نشر علوم اللّغة العربية، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ علماء المنطقة المغربية قد ظلّوا دائما يشعرون بضرورة التجنّد متجاوزين في ذلك سياسة الدولة العثمانية في المنطقة المغربية أي الجزائر، حيث ظلّ إحساس كلّ من الطرفين متفاوتا من حيث درجة الاهتمام بالآداب والثقافة والمعرفة عامّة، حيث أشار الباحث "صالح فكدوس" في كتابه الموسوم بـــ "المختصر في تاريخ الجزائر" بأنّ الفترة التاريخية قد ظلّت تعاني من الركود العلمي والثقافي، وربّما كانت المدن الجزائرية وحضائرها المدنية تعيش مستوى علميا ومعرفيا يفوق مستوى ما آلت إليه الحياة الثقافية والعلمية الجزائرية في عهد الأتراك، وربّما يرجع أمر هذا التردي أو التقاعس إلى اهتمام الأتراك بالجانبين السياسي والاقتصادي دون غيرهما من مجالات الحياة الأخرى[1].

كما أشار المؤرّخون إلى كون الأخضري (ت.983هـ) كان ذا سيرة حياتية متميزة، يكتنفها الغموض والتضارب في الآراء، من ذلك اختلافهم في تقدير سنوات عمره، بالإضافة إلى أنّ ذلك الاضطراب كان قد أثّر التّأثير السلبي على إنضاج كامل طموحاته العلمية والمعرفية، حيث يفهم من شهادة عبد الكريم الفكون (ت.1073هـ) أنّ

[1] - ينظر: المختصر في تاريخ الجزائر، صالح فكدوس، دار العلوم للنشر والتّوزيع،2003، ص: 127.

الأخضري (ت.983هـ) قد توفي قبل استخراج شرحه، وأنّ ما قام به الفكون (ت.1073هـ) هو استثمار المسوّدة وتقديمها فيما بعد إلى المطّلعين.[1]

وقد تميّز عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) بإنتاجه الخصب في التأليف والتأثير في العالم الإسلامي، لأن كتبه التي أخرجها إلى النور في مختلف العلوم كالمنطق والفرائض والبيان والمعاني وغيرها، كانت من الكتب المقررة على الطلبة في الجامعات الإسلامية، ومما يبين مكانته الرفيعة اهتمام بعض العلماء بكتبه حيث وضعوا لها شروحا ومن بين هؤلاء عبد الكريم الفكون (ت.1073هـ)[2] .

وقد لقي العهد التركي اهتماماكبيرا من طرف الباحثين والمؤرخين الجزائريين في العصر الحديث من أجل الكشف عن مغامضه، منهم "أبو القاسم سعد اللّه" الذي كان يصدر في جلّ أحكامه عن انطباع يقوم على قناعة كون الحياة الثقافية الجزائرية قد كانت أكثر انتعاشا بالنظر إلى ما حلّ بها من الاضطراب والاختلال لدى قدوم الأتراك إلى الجزائر مستدلاً بأنّ الدولة الحفصية- أي خلال العهد الحفصي- قد تمتّعت بالسمعة والصيت الطيبين خلال القرن التاسع عشر، حيث كان الرهان قائما على مدى استطاعة الدولة التركية أو الحكم العثماني على احترام تلك المكتسبات التاريخية والحضارية من أجل التواصل وتقوية أواصر المعرفة العربية الإسلامية التي يحتاج إليها الإنسان العربي المسلم في المغرب العربيّ.[3]

وفي إشارة تاريخية أخرى في موضوع تاريخ الجزائر الثقافي فقد ثبت أنّ حواضر من مثل تلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة ووهران والجزائر وعنابة وبسكرة قد توطّدت لها التقاليد العلمية المشهورة، وتكرست لديها الأعراف الثقافية التي صار لها الشهرة في مختلف ربوع بلاد العرب، فقد ظلّت الأعلام الجزائرية تتناقل أخبارها، وتروى مسيراتها في سبيل تكريس المعرفة العلمية الدينية واللّغوية وهو الذي ظلّت وفود المغرب والمشرق العربيين تتبادلانه حين التلاقي في موسم الحجّ، حيث ظلّت هذه اللّقاءات تشهد منافع تبادل

---

[1] - ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد اللّه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج:2، ص:173،174.
[2] - شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي، 1986، ص:30،31.
[3] - ينظر: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ،بو القاسم سعد اللّه، ص: 28،29.

الآراء والمعارف على اختلاف أنواعها، حيث كان العلماء الجزائريون يجتهدون في التتلمذ تارة والأستاذية تارة أخرى حيال ما كانوا يلمسونه من السبق لدى العلماء العرب المسلمون من المشارقة.[1]

إنّ في تناول موضوع البديع في النّظرية اللّغوية الجزائرية على العهد التّركيّ ما يحيل على فرادة التّجربة الأدبية واللّغوية الجزائرية من منظوريها المحلّي من جهة والعربيّ من جهة أخرى، إذ لاشكّ في أنّ الأدباء والعلماء الجزائريين قد ظلّوا يشغلون حيّزا غير ضيّق ولا قليل من التّجربة الأدبية العربية، ولنا أن نطالع كتاب عنوان الدّراية في أخبار علماء بجاية وهو من أهم الكتب الذي اهتمّ بسلسلة من أسماء أعلام العلماء الذين كان لهم الأثر البالغ في حركية الثقافتين الأدبية واللّغوية العربيتين.

ونحسب أنّ عبد الرّحمن الأخضري (ت.983هـ) قد تشبّع بالقيم الثقافية والمعرفية الشّاملة المائلة لهذه الفترة من الزّمن، ثمّ إنّ لنا أن نتأمّل مدى دلالة هذه الثقافة الغزيرة التي بسطها الأخضريّ (ت.983هـ) في منظومته لكي نستدلّ بهذه الآثار على مدى غناء هذه المرحلة من سيرورة الثقافة الجزائرية القديمة بالمعطيات الأدبية وخاصّة منها اللّغوية التي كانت ماتزال إلى غاية هذه الفترة ممزوجة بالتفكير الفقهي المتأثر هو ذاته بالدّراسة القرآنية، والتي كانت متّسمة في منهجها العلمي بما يمكن حصره في المتون المهمّشة بالدّراسات التّحليلية والشرحية والتفسيرية في خصوصية بحثية قوامها ما يسمّى بمنهج الحاشية والذي يقوى على تدبّر هذه الطّبيعة التفكيرية يستطيع أن يقف على طبيعة الموضوع التي تتمتّع بقيم علمية لا يكاد يخطئها التفكير ولكي يكون لنا ذلك الانبهار حافزا لتفتيش مختلف العبارات والمصطلحات والصيغ والعبارات التي وردت في المنظومة، طالّين من خلالها على ما يمكن أن يتّصل بها من الإحالات المعرفية والتاريخية المتّصلة الجذور بأوليات الانفعال الفنّي والجمالي مثلما يبلوره استعراض تاريخ مراحل تطوّر فنّ البديع.

[1] - ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:1، ص: 45.

ويكون بعدئذ أن يندرج مشروع بحث مصطلحات البديع في منظومة الأخضري (ت.983هـ) ضمن صورته النّظمية التي أتى عليها هذا الإنجاز النّظميّ الذي ساد على ما سواه من طرائق الكتابة والتّأليف في العهدين العهد المغربيّ والعهد التّركيّ، ونقدّر مدى قوّة ومتانة التّواصل بين الفترتين حيث ترتدّ الفترة المغربية مناسبة لتمدرس الثقافة الجزائرية في العهد التركي على أعلامها وتنهل من مقتضياتها المعرفية.

ولعلّ فكر الباحث أو المطلّع على هذا العهد التركي سيبقى متشوّقا أبدا على مجمل الفرضيات والتّساؤلات التي يمكن لهذا البحث أن يبيّنها ويشخّصها لتكتمل بذلك المساحة الأدبية والمعرفية لحقيقة الثقافة الجزائرية على العهد التّركيّ.

1- المنطلقات التاريخية ممزوجة بالخصوصية البيئية:

لا يغيب عن نظر المتفكر أنّ الأخضري (ت.983هـ) كان محكوما بالسياق التاريخي للثقافة العربية في بلاد المغرب العربيّ، لذلك فهو لا يعوزه أن يجد من الدعامات والشواهد التراثية العربية المشرقية أو المغربية إذا ما تعلّق الموضوع ببحث الظاهرة اللّغوية، وحتى وإن قلنا: إنّ متانة الأدب العربي ظلّت متمركزة في خارطة المشرق العربي خاصّة من حيث تراث الشاهد الشّعري، فالقيم الأدبية العربية التراثية ذات القيمة العليا ستظل متمثّلة في نموذج المعلّقات ، وإنّ كون الممارسة الأدبية في المغرب العربي وخاصة الجزائر منه ستظلّ مقترنة بخصوصية التجربة اللّغوية العربية الطارئة على المنطقة فإنّ نزوع أهل منطقة المغرب العربي إلى تحقّظ التراث العربي في أصوله البيئية القديمة ظلّ يغني الذّاكرة اللّغوية ويثري التجربة الأدبية بكثير من الاجتهادات الرائدة التي يمكن اعتبار إبداعات عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) نموذجا ساطعا منها، يتقوى هذا الرأي ويتدعّم إذا ما تأمّلنا التكوين المدرسي العائلي لعبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) فهو ينتمي إلى بيئة ثقافية عربية إسلامية تتسلسل من الأجداد إلى الآباء فالأبناء كلّ منهم يضطلع بالدور التاريخي الذي يتلقّفه عن الأقدمين، وكذلك كان شأن والد عبد الرحمن الأخضري الذي هو "محمد بن عامر الأخضري" أن ينزع مبكّرا إلى تعاطي التفكير النّحوي من خلال الكتابة والتأليف والشرح والتعليق على "ألفية بن

مالك في علم النحو" العربيّ ومثله سلك "محمد الصباغ القلعي" في كتابه "الدرة الصباغية في شرح الأجرومية"[1]، وهكذا يتبين لنا أنّ منظومة ابن مالك[2] في النّحو كانت المدرسة الأمّ التي تخرّج منها عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) من خلال المدرسة اللّغوية العائلية، وإن لتوارث مثل هذه المهام الأدبية واللّغوية مثلما يتجلى في عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) ووالده قبله سياقا مدرسيا ينهج المنهج العلمي الموحّد، الذي يمكن تلخيصه في فنّ المنظومات اللّغوية والأدبية، والتي يكون الأخضري (ت.983هـ) قد جاراها من خلال نظمة "الجوهر المكنون"، ونرى أنّ اهتمام مشايخ علماء الجزائر في العهد التركي ما كان له أن يتمحور هذا التّمحور اللّغوي التراثي إلاّ لكي يدلّ الدلالة الوثيقة على عروبة الجزائر، لأنّ تمكّن الفكر من الدرس اللّغوي كان يرمي ضمن أهدافه إلى إثبات مدى تناغم المغرب العربي مع مشرقه ومجاراته في شتى ميادين الثقافة العربية الأصيلة.

ولاشكّ في أنّ الذي يتدبّر تاريخ الثقافة الجزائرية، يستطيع أن يعثر على الخيط الواصل والصيغة المنتظمة لسياق السيرورة المعرفية من خلال توالي أجيال العلماء مضافا إليهم أفواج العلماء المتتلمذين على أيديهم، لذلك انطلاقا من هذه القناعة يبدو لنا عبد الرّحمن الأخضري (ت.983هـ) متّصل الأسباب العلمية والمعرفية بالقدر الذي يجعلنا نصنّفه موضوعيا في سياق الجهود العلمية والأدبية والمعرفية العربية العامّة من حيث تقدير معارفه التي امتاز بها في ميادين العلم الفقهي والعلوم اللغوية والأدبية، على أنّها تتغذّى على السياق المعرفي العربي القديم، لذلك وانطلاقا من هذه القناعة العلمية المنهجية فإنّنا نتصوّر أن تواصل المعارف وتدارك الأسباب المساعدة على انتشارها هي من التّرابط والتّوثيق المتينين اللّذين يوحيان بضرورة تصوّر الجهد المعرفي الفردي منظورا إليه من خلال الشروط التاريخية العامّة، وبناء على هذه القناعة فإنّنا نتساءل: من

---

[1] - ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد اللّه، ج:2، ص: 168.

[2] - لقد ظلّت بيئة الدرس اللّغوي في الجزائر على العهد التركي تحتفل أيّما احتفال بالمدونة اللّغوية الأم ألفية ابن مالك لذلك فقد تحاماها مجموعة من شيوخ العلم والمعرفة منهم: محمد بن عامر الأخضري البسكري، وأحمد بن العباس الوهراني الذي وضع شرحا للامية الأفعال في التصريف لابن مالك... ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد اللّه، ج:2، ص: 169.

ذا الذي يقوى على انقطاع الأسباب العلمية والمعرفية عن تواصل المعرفة المغربية ومنها الجزائرية القديمة عن أن تتكامل مع سياق المعارف العربية المشرقية، خاصّة بعدما عرفنا بأنّ الأصول الأدبية العربية هي ذات منبع واحد قادمة من شبه الجزيرة العربية من مثل لغة المعلّقات وآثار شرّاحها ودارسيها.

وللمتفكّر في سيرورة الثقافة العربية الإسلامية أن يتأمّل طبيعة النّسق التاريخيّ الذي ينظم الفترة المغربية من تلك الثقافة الإنسانية عبر جميع المراحل الإبداعية والعلمية التي قطعتها، وسيجد أنّ الثقافة الجزائرية على عهد عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) قد استوفت جميع شروط الخصوصية البيئة أي المغربية التي كانت متوحّدة عبر الأقطار الثلاثة تونس والجزائر والمغرب الأقصى على اختلاف التّسميات التي وسمت الدّويلات المغربية في شمال إفريقيا، فهي فترة اختصت ثقافتها بالشّروح والحواشي والمتون المتكرّرة التي نشأت من منطلق التزام المريد بشرح وتفسير معارف شيوخه، لذلك فقد جاءت جهود عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) مستوفية جميع شروط هذا المنهج وهو - أي الأخضري (ت.983هـ) - في ذلك لا يكاد يخالف روح العصر وطبيعة البيئة، فقد امتازت معارف هذه الفترة بتمازج المعارف الدينية الإسلامية بالمعارف الأدبية وخاصّة منها اللّغوية والبلاغية تبعا لما في هذا الاهتمام من خدمة لازمة بعلوم الشّرع وتذليل سبل التفقه في الدّين.

ولقد لخّص الأخضري (ت.983هـ) بعضا من طبيعة اهتماماته العلمية واللّغوية في المقدّمة التي بسطها مدخلا إلى شرحه على سلّمه في علم المنطق حيث سلك سبيل العلماء المغاربة والجزائريين الذين عاصرهم، وقد عبّر عن ضرورة التزام المنهج العلمي المبرّر في تناول المعارف الدنيوية المرتبطة بالغايات الدينية من حيث قال: "بما سبق لهم في الكتاب المرقوم، فتاهوا في رحاب العلم وعرصات الفهم على بساط حجج المعقول متّبعين آثار الأصول طلبا لتحقيق المنقول، فأصبحوا على بصيرة من الدّين، وفي أبهج السّبل سالكين"[1].

[1] - شرح العلاّمة الأخضري على سلّمه في علم المنطق ،نقلها الوهراني باعتماد طبعة البابي الحلبي، ص:1.

PDF-XChange Cliquez pour acheter! http://www.pdfxchange-fr.com

2- أثر ثقافة الأخضري (ت.983هـ) في علماء عصره واللاحقين له:

لقد شهد المشرق العربي ومغربه بمدى الآثار الطيبة التي أثمرها التفكير اللّغوي لدى الأخضري (ت.983هـ) فقد ذاعت أراجيزه ومنظومته التي يلخّصها "الجوهر المكنون" حتى غدت معلما علميا أدبيا تتلقفه الأجيال وتحتفي به أيّما احتفاء، والذي يروى عن هذا العمل النّفيس أنّ عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) كان قد توفاه اللّه دون بلوغه المرامي التي كان يصبو إليها فاستكمله طلاّب العلم ومشايخه فيما بعد، والمزية التي تذكر للأخضري (ت.983هـ) هو أنّه كان قد شقّ سبيل مدرسة بلاغية استثمر فيها كتاب تلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني (ت.739هـ)، وهو الأثر العلمي واللّغوي الأدبي الذي نال الصيت الدّائع، وبما أنّ ثقافة عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) كانت تنحى منحى كتابيا وجامعيا فقد كان ثمة من طلبته والآخذين عنه من اهتم بتكملة هذا العمل الناقص، لذلك فقد ألفينا العالم "أحمد بن المبارك العطار القسنطيني"[1] يواصل ضبط مختلف المعارف التي اشتمل عليها "الجوهر المكنون"، في تأليف أسماه: نزهة العيون.

كما توافر للعلماء الجزائريين على هذه الفترة والتي تليتها أن تتناغم جهودهم الثقافية حتى استوت على سياق ثقافي واحد موحّد، كان يأخذ منبعه من صميم التقاليد الاجتماعية الجزائرية، بالإضافة إلى طبيعة توافق المعرفة بالخصوصية البيئية والجغرافية، فالتساهم إذا كان من أبرز سمات الثقافة الأدبية الجزائرية، وقد يكون كافيا في هذا الشّأن أن نشير إلى طبيعة الاستجابة الطبيعية التي ما فتئ العلماء الجزائريون يولونها لتراث الأخضري (ت.983هـ)، فقد هرع الفكّون (ت.1073هـ) إلى قراءة مسوّدة الأخضري (ت.983هـ) في "الجوهر المكنون" ليخرجها فيما بعد الإخراج الموافق لسياق هذا التّأليف الذائع الصيت.

وقد أشار أبو القاسم سعد اللّه إلى سلسلة العلماء والباحثين العرب والجزائريين الذين تحاموا مخطوط الجوهر المكنون بالتكملة والشرح والتخريج، من أولئك: "أحمد الدمنهوري المصري" الذي نشر شرحه في القاهرة عام ألف وثمانمائة واثنين وتسعين

[1] : ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد اللّه، ج:2، ص: 174.

للميلاد، إضافة إلى الجهد الذي بذله: "محمد بن محمد بن علي بن موسى الثغري الجزائري" مسميا شرحه بـــ "السر المصون على الجوهر المكنون" حيث شهد للأخضري (ت.983هـــ) بالتفوق البراعة.

ويستطيع الذي يتفكّر في ثقافة الأخضري (ت.983هـــ) العلمية والبلاغية خاصة منها علم البديع وما شاكله من الاهتمامات اللّغوية والمنطقية أنّه ينحى ذات المنحى الثقافي الذي كان قد انتهجه علماء الأندلس والمغرب العربي على السواء، فهو يجري تسمياته أي عناوين المؤلفات اللّغوية على سمت ثقافة العلماء المشار إليهم، من حيث تسجيع العناوين وإسباغ المسحة الصوفية الإشراقية التنويرية، فاللّغة لديه هي بمثابة الوسيلة المعينة على فهم لغة القرآن الكريم المعجزة.

ويستطيع الذي يستعرض تاريخ البحث البلاغي المتعلّق بعلم البديع أن يقف على مسارين حاسمين هما: المسار المتوسّع، والمسار الضيق والمتخصص، لأنّ الذي يسعف دوران البحث البديعي يجد فيه من الثراء والزّخم ما لا يقوى على إيقاف تداعيات ظواهره اللّغوية، لذلك ظلّ موضوع بحث بلاغة البديع منفتحا على الاستزادة والتفريع والتخريجات الغربية، فهو علم متّصل بمدى فطنة الدارس في استنباط الموضوعات البديعية، وليس ذلك إلاّ كون البديع يلتبس الالتباس الشديد بمفهوم البلاغة بصورة عامّة، فكيف ينشأ علم البديع قائما على علم البلاغة الذي هو الحقل الشائع العامّ، لذلك يتّسق البحث البديعي عبر مسارات تلتبس كثيرا بالمواضيع اللّغوية البلاغية، ولعلّنا لا نخطئ الصواب إذا قلنا: إنّ موضوع البديع متّصل بحقل الدراسات الأسلوبية كونه ينصبّ على الكيفيات التي تنتظم مختلف الأساليب التعبيرية شعرا أو نثرا، ولعلّ القزويني (ت.739هـــ) هو الدارس الأول الذي اختصّ ببلورة موضوع البحث البديعي من الوجهة الاصطلاحية والوجهة البلاغية التطبيقية ، فالبديع وفق مفهومه هو طبقة عالية من التّوظيف البلاغي لمعاني الكلام الفنّي الجميل أسماها توابع البلاغة[1] هي المواضيع ذاتها التي تناولها في ترتيب مختصره

[1] - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، القزويني، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1،1996، ج:1، ص: 16.

المسمى تلخيص المفتاح[1]، حيث أبان القزويني (ت739هـ) عن عدم قناعته بما جرت عليه تعريفات السابقين له مركّزا على أمرين هما المكتوب والمنطوق خطابة وكتابة[2].

وقد اهتمّت الدراسات اللّغوية الجزائرية بعد وفاة عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) بمدونة "الجوهر المكنون" وانصبت جهودها الدرسية على نشاط لغوي ظلّ يستقي من معين سلسلة الشروحات والتخريجات التي ساهمت جميعها في تطوير المتن الأصلي لهذا العمل البلاغي المثمر، وقد كان لنقصان المدونة الظاهر أثر واضح في تحفيز الاجتهادات والتخريجات التي استعانت بالضبط الوزني لملىء لفراغ البياض بما جادت به أفكارهم وقرائحهم عاملين على استكمال يساير سياقات خطاب الأخضري (ت.983هـ) في الجزء المعلوم من المدونة، وكان ذلك شأن "الشيخ الغزّي" الذي بذل كثير من الاجتهاد في استكمال ما نقص من كتابة مخطوط مدونة الجوهر المكنون، ثمّ أتى الثّغري مستوفيا ما نقص من الأفكار والدلالات والمعاني في شروح الشيوخ الذين تقدّموه في هذا الصنيع، وقد كان من منهج أعلام هذه المرحلة أنّهم يقرأون على مسامع الشيوخ والمهتمّين وطلبة العلم ومشايخ الفقه طلبا لملاحظاتهم وتعليقاتهم على المادة المعروضة.[3]

3- مفهوم المنظومة:

يطلق اصطلاح تسمية المنظومة على كلّ صيغة وزنية تتناول الأفكار العلمية لا الشّعرية، وهي بهذا الاختصاص تخلو من لغة الأدب المجازية.

تنحى المنظومة منحى تعبيريا موزونا مقفى بفواصل تتنوّع في آخر الأبيات فالناظم لا يلتزم رويا واحدا في كلّ أبيات المنظومة، بل يأتي تعدادها وفق الإمكانات التي تسعف تفكير الناظم.

ويمكن للمنظومة أن تكون على وزن الرّجز الذي يقبل وزن تفعيلة: مستفعلن مع توظيف كلّ الاحتمالات البنائية للتفعيلة: مستفعلن، متفْعلن، مثفعلن أو مسْتعلن، وآخرها: متَعِلن فَعِلتنْ.

---

[1] - ينظر: **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جمال عبد المجيد**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص: 31.

[2] - ينظر: **الإيضاح، القزويني، ج:1، ص: 17،19.**

[3] - ينظر: **تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 177.**

وقد ذهب بعض الناظمين إلى توظيف وزن البسيط مثلما فعل: "محمد بن يحيى البجائي" في لامية الأفعال:

الحمد لله لا أبغي بـــه بدلا حمدا يبلّغ من رضوانه الأملا[1].

ربّما كان لأهل المغرب العربي أو علماء الجزائر بالتحديد ميل غالب لتوظيف الأوزان الأندلسية من مثل المخمّسات والمشطرات وسواها.[2]

4- القيمة العلمية للجوهر المكنون في ثلاثة فنون للأخضري (ت.983هـ):

ذكر هذا المؤلَّف كثير من العلماء وأخذوا منه، من بينهم أبوراس الناصري (ت. 1238 هـ)، وسمّاه بـــ "منظومة البيان". يقول: "قال الشيخ الأخضري في منظومة البيان:

وَمِنْ صِفَاتِ الحُسْنِ فِي الخِتَام إِرْدَفُهُ بِمُشْعِـــــرِ التَّمَـــــــــام"[3].

وقد كان لهذه المنظومة أهمية كبيرة عند العلماء لدرجة حفظها عن ظهر قلب والحفاظ عليها من الزوال، يقول أبوراس الناصري أيضا: في موضع آخر: "أحفظ ألفية ابن مالك، ومنظوم البيان ما من باب فيهما أو فصل إلاّ أعرف كم فيه من بيت بديهة"[4].

ولم يكن كتاب "الجوهر المكنون" الوحيد الذي لقي اهتمام العلماء، بل كانت كتبه الأخرى أيضا محط اهتمام العلماء القدامى والمحدثين، ومن المحدثين الشيخ "محمد باي بلعالم" الذي وضع نظما على "مختصر الأخضري في العبادات "سماه" الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري"، ويشيد في هذا النظم بمكانة الأخضري (ت.983هـ) الرفيعة فيقول:

هَذَا الذِي دَفَعَنِي إِلَـــــى الأَمَام لِنَظْمِ مـــــَا أَلَّفَهُ الحِبْرُ الهُمَـــــام.

أَعْنِي الإِمَـــــام الأَخْضَرِي أَلَّفَا فِـــــي حُكْمِهَـــا مُخْتَصَرًا مُصَنَّفَا.

إلى أن يقول:

سَمَّيْتُـــــهُ بِالكَوْكَبِ الزَهْـــــرِي لِنَظْمِ نَثْـــرِ الشَيْـــخ الأَخْضَـــرِي[5].

---

[1] - ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:2، ص: 169.

[2] - ينظر: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة من بجاية، الغبريني، تحقيق: عادل نويهض، ط:1، منشورات لجنة التتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1969، ص: 342.

[3] - فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، أبوراس الناصري، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص: 114.

[4] - المصدر نفسه، ص: 116، 117.

[5] - ينظر: الكوكب الزهري في نظم مختصر الأخضري، محمد باي بلعالم، أدرار، ص: 02.

1- تعريـــف البديـــــع:

إذا أردنا التعرف على مصطلح البديع من الجانب اللغوي، فإنه يعود إلى المادة (بَدَعَ) يَبْدَعُ فهو بادِعٌ وبَديع، "والبَدْعُ إحداث شيء لم يكن له من قبل خَلْقٌ ولا ذكر ولا معرفة، والله بديع السماوات والأرض ابتدعهما، ولم يكونا قبل ذلك شيئا يتوهمهما متوهم ...والبَدْع: الشيء الذي يكون أولا في كل أمر"[1].

ويقول ابن منظور (ت.711هـ): "والبديع والبِدْع: الشيء الذي يكون أوّلا...والبديع: المبدع، وأبْدَعت الشيء: اخترعته لا على مثال، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إيّاها وهو البديع الأول قبل كل شيء"[2].

ومنه قولنا "أبْدَع الشاعر: أتى بالبديع"[3].

وقد وردت لفظة (بديع) عدّة مرات في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[4].

ويقول عز وجلّ أيضا: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5].

يقول الزمخشري (ت.528هـ) في تفسيره للآية الأولى: "يقال بدع الشيء فهو بديع...وبديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه. وقيل البديع بمعنى المبدع"[1].

---

[1] - معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، ج:2، ص:54، مادة (بدع).
[2] - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ج:8، ص: 6، 7، مادة (بدع).
[3] - القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1999، ج:3، ص: 4، 5.
[4] - سورة البقرة، الآية: 117.
[5] - سورة الأنعام، الآية: 101.

ويقول أيضا في تفسيره للآية الثانية: "بديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، كقولك فلان بديع الشعر، أي بديعٌ شعره، أو هو بديع في السموات والأرض... والمعنى أنّه عديم النظير والمثل فيها، وقيل البديع بمعنى المبدع"[2].

ومن هنا يتجلى معنى لفظة البديع التي نستعملها في بعض الأحيان، فنقول: أبدع فلان شيئا إذا اخترعه، أي أنه جديد لم يسبقه إليه أحد، وكذلك قوله تعالى في الآيتين الكريمتين، فالبديع هو ما لا نظير له، ولا مثال له، ولا يشبهه أحد في إبداعه لمخلوقاته.

2- علم البديع نشأة وتطور:

وإذا أردنا التنقيب عن مصطلح البديع في الدراسات اللغوية، فإننا نجده قد ذكر عن عدد كبير من العلماء، فالجاحظ (ت.255هـ) يوظف مصطلح البديع عندما يعلّق على قول أحد الشعراء في بيت له فيقول فيه:

هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لاَ تَنُوء بِسَاعِدِ.

يقول الجاحظ (ت.255هـ): "(هم ساعِد الدهر) إنما هو مثل، وهذا الذي تسمّيه الرواة البديع"[3].

فمعنى البديع الذي يقصده الجاحظ (ت.255هـ) هو ما أطلق عليه الرواة بالمستطرف الجديد من الفنون الشعرية، وعلى بعض الصور البيانية التي يستعملها الشعراء في أشعارهم، فتزيدها رونقا وجمالا، والمقصود هو الاستعارة فسماها بالبديع[4] يعني "الصور والمحسنات اللفظية والمعنوية وإن كان لم يوضحها توضيحا دقيقا، ومع

---

[1] - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1، 2006، ج:1، ص: 139.

[2] - الكشاف، ج :2، ص: 41.

[3] - البيان والتبيين، الجاحظ، ج:4، ص: 55.

[4] - ينظر: المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي، محمد خليل الخلايلة عالم الكتب الحديث، الأردن، ط:1، 2006، ص: 171، 172.

تعرضه لبعض أنواع البديع، فإنه لم يحاول وضع تعريفات ومصطلحات لها، لأن اهتمامه عند الكلام عنها كان بتقديم الأمثلة والنماذج لا بوضع القواعد"[1].

ومن هنا يظهر أنّ مصطلح البديع كان يطلق على البلاغة المعروفة اليوم والتي تشتمل العلوم الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وكان يطلق أيضا مصطلح البيان على العلوم الثلاثة، ولم يعرف العلماء التفرقة بينها إلاّ في القرن السابع الهجري[2].

وهذا معناه أن الجاحظ (ت.255هـ) ومن سبقه لم يكن عندهم مصطلح البديع يعني العلم الذي يتم به معرفة الوجوه التي تحسّن الكلام، ولم يقدّم مفهوما له، وإنما كان يطلق على نوع من الصور والمحسنات البديعية مصطلح البديع.

وبما أن الجاحظ (ت.255هـ) أشار إلى أنّ هذا المصطلح أطلقه الرواة على نوع من الاستعارة، فهذا معناه "أنّ الجاحظ لم يكن هو الذي أطلق هذا الوصف بادئ ذي بدء، وإنما نقله عن رواة الشعر"[3].

وتشير بعض الروايات إلى أنّ الشاعر مسلم بن الوليد هو أول من أطلق مصطلح البديع حسب قول أبي الفرج الأصفهاني (ت.356 هـ) عندما قال عنه: "وهو فيما زعموا أوّل من قال الشّعر المعروف بالبديع، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف، وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي، فإنه جعل شعره كله مذهبا واحدا فيه"[4].

---

[1] - في البلاغة العربية، علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط:1، 2000، ص: 9، وينظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، عمار ساسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط:1،2007،ص:33.

[2] - ينظر: المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عمار ساسي، دار المعارف، الجزائر، 2005، ص:33، 34.

[3] - أساليب البديع في البلاغة العربية، شفيع السيّد، دار غريب، القاهرة، ط:1، 2006، ص: 10، وينظر: إعجاز القرآن، الباقلاني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، 2005، ص:120، 125، 132.

[4] - الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، شرح: عبد .آ. علي مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 1992، ج:19، ص:36، وينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، إنعام نوال عكاوي، مراجعة: أحمد

وألف قدامة بن جعفر (ت.337هـ) نقد الشعر، حيث يضيف إلى علم البديع فنونا أخرى كالتقسيم والترصيع والمقابلات والمساواة، ويسميها محاسن الكلام ونعوته، أي التي تضفي عليه تحسينات تزيده جمالا[1].

أما أبو هلال العسكري (ت.395 هـ) فقد وظّف مصطلح البديع وجعله في الباب التاسع من كتابه ضمن خمسة وثلاثين فنا، مضيفا إليها سبعة فنون كالتشطير والمجاورة والتطريز والمضاعفة[2].

ويفرّق ابن رشيق القيرواني (ت.456 هـ) بين المخترع والمولّد حيث يقول: "المخترع من الشعر: هو ما لم يسبق إليه صاحبه، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره، أو ما يقرب منه...وأما المولد فهو أن يستخرج الشاعر معنىً من معنى شاعر تقدمه، أو يزيد فيه زيادة، فذلك يسمّى توليدا، وليس باختراع"[3].

وأما البديع "فهو الجديد، وأصله في الحبال، وذلك أن يفتل الحبل جديدا، ليس من قوى حبل نقضت، ثم فتلت فتلا آخر...والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة، أنا ذاكر منها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة، إن شاء الله تعالى، على أنّ ابن المعتز - وهو أوّل من جمع البديع وألّف فيه كتابا"[4].

شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 1996، ص: 256، وينظر: المدخل إلى النحو والبلاغة، عمار سلسي، ص: 33.

[1] - ينظر: المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ص: 172، وينظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 1962، ص: 28، 40.

[2] - ينظر: المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ص: 172، والصناعتين، أبو هلال العسكري، ص: 293.

[3] - العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج:2، ص: 421، 423.

[4] - العمدة، ابن رشيق القيرواني،

ج :2، ص: 427، وينظر: المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ص:172.

وما يلاحظ على مؤلَّف العمدة أنّه "أفرد أبوابا منه لمباحث البيان وأخرى للمحسنات البديعية، وفي ذلك ما يوحي بأنّه قد بدأ يستقر في أذهان النقاد ورجال البلاغة أنّ البيان شيء والبديع شيء آخر"[1].

كما ألّف أسامة بن منقذ (ت. 584هـ) كتابا مهما في هذا العلم سمّاه: "البديع في البديع في نقد الشعر"، وإن كان تعريف علم البديع غائبا في كتابه إلاّ أنه تناول الموضوعات الخاصة به كالتجنيس والتسهيم والترصيع...وغيرها[2].

ويتناول السكاكي (ت.626هـ) مصطلح البديع: "مفتاح العلوم" ويجعله جزءا من البلاغة، يقول: " وإذ قد تقرر أنّ البلاغة بمرجعيها، وأنّ الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسن، فههنا وجوه مخصوصة، كثيرا ما يصار إليها، لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ"[3].

ولم تنفصل أساليب البديع عن الظواهر والأساليب البلاغية الأخرى إلاّ على يد السكاكي (ت.626 هـ) الذي نظر إليها "باعتبارها وجوه تحسين الكلام... وبها تبلغ فضاحتُه شأوها"[4]، وقسمه إلى ضرب معنوي، وضرب آخر لفظي.

وأما نجم الدين بن الأثير (ت.737 هـ) فألف في هذا العلم كتابا سمّاه "جوهر الكنز في البديع" تطرق فيه إلى البديع قائلا: "البديع يختص بمحاسن الألفاظ، والمخترع

---

[1] - في البلاغة العربية، علم البديع، عبد العزيز عتيق، ص: 19.

[2] - ينظر: البديع في البديع في نقد الشعر، ابن منقذ، تحقيق: عبد. آ. علي مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1987، ص: 23.

[3] - مفتاح العلوم، السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 1987، ص: 423، وينظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عمار ساسي، ص: 37.

[4] - أساليب البديع في البلاغة العربية، شفيع السيّد، دار غريب، القاهرة، ط: 1، 2006، ص: 15.

متعلق بابتكار المعاني التي لم يسبق إليها. وأوّل من سمّى هذا النوع البديع ابن المعتز. وألف فيه كتابا"[1].

ومن خلال هذا القول يظهر الفرق بين البديع والمخترع، فالأول يختص بالتحسين الذي يلحق الألفاظ، والثاني يختص بالمعاني الجديدة التي يخترعها الشاعر دون أن يسبقه إليها أحد.

كما كان للخطيب القزويني (ت. 739 هـ) تأليفا في هذا العلم يعرّفه بقوله: "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة، وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ"[2].

فهو يقسم العلم إلى قسمين وهما المعنوي واللفظي، ويفصل بين علم المعاني والبيان والبديع.

وقد سمّى بعض العلماء مؤلفاتهم باسم بديعية، كصفي الدين الحلي (ت.757هـ) الذي ألف "الكافية البديعية"، وكذا ابن حجة الحموي (ت.837هـ) في كتابه "البديعية" الذي تناول فيه مائة وستة وثلاثين (136) نوعا من البديع، وأيضا "نظم البديع" للسيوطي (ت.911 هـ)، وغيرهم من العلماء[3].

---

[1] - جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة، نجم الدين بن الأثير، الجزء الأول في البديع، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، مصر، 2000، ص: 42.

[2] - الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، القزويني، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1، 1996، ص: 383، وينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،ط: 2، 2003، ص: 158، وينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أبي العباس أحمد المغربي، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 2003، ج: 2، ص: 483.

[3] - ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، مج: 1، ص:232.

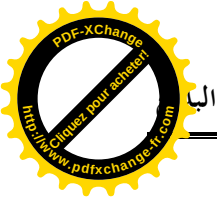
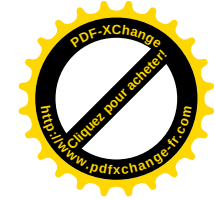

ويعرّف السيوطي (ت.911 هـ) البديع بقوله: "علم البديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة، أي الخلو عن التعقيد، لأنها إنما تعدّ محسنة بعدهما"[1].

ويقول السيوطي (ت. 911 هـ) في موضع آخر:

عِلْـــــمُ البَدِيعِ مَا بِهِ قَدْ عُرِفا وُجُـــوهُ تَحْسِين الكَـــلاَم إِنْ.

مطابقـــــا وقَصْدُه جَلِّـــــي فَمِنْـــهُ لَفْظِـــي ومعنوي[2].

ويضع له أحد العلماء وهو ابن الشحنة نظما حيث يقول:

عِلِمُ البَدِيع وهوَ تَحْسِينُ الكَلاَم.

بَعْدَ رِعَاية الوُضوح والمَقَام[3].

أما عبد الرحمن الأخضري (ت. 983 هـ) فيقول:

عِلْمٌ بِهِ وُجُوه تَحْسِينُ الكَـــلاَم يُعْرَفُ بَعْدَ رَعْيِ سَابِقِ المَرَام.

ثُمَّ وُجُوهُ حُسْنِهِ ضَرْبَـــان بِحَسَبِ الأَلْفَـــــاظِ وَالمَعَانِي[4].

فهو ما يبدأ في القسم الذي خصصه لعلم البديع بتعريفه في البيتين وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية الوضوح والمرام، ثم يشير إلى وجوه التحسين فيه وهما ضربان، أحدهما خاص بالألفاظ والآخر بالمعاني.

---

[1] - إتمام الدراية لقراء النقاية، السيوطي، ضبط: إبراهيم العجوز، دار الباز، مكة المكرمة، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1985، ص: 137، وينظر: ألفية العربية، شعبان الآثاري، المكتبة الأزهرية، رقم: 300، ص: 41، مخطوط.

[2] - عقود الجمان في علم المعاني والبيان، السيوطي، قسم البديع، ص: 2، مخطوط.

[3] - منظومة في علمي البيان والمعاني، ابن الشحنة، ص: 39، 40، مخطوط، وينظر: أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، زكريا الأنصاري، مكتبة الأزهر الشريف، مصر، رقم: 307405، ص: 20، مخطوط.

[4] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، دار الفكر، بيروت، ص: 731.

ومن هنا نجد أن علماء البلاغة يتفقون على تعريف واحد لهذا العلم وهو "أصول يعرف بها الوجوه التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة بعد تحقيق حسنه الذاتي بالبلاغة"[1].

ويعدّ هذا العلم "أشط مزارًا، وأمنع حجابا وستار لقلة من عَدَل بين كثيره المملّ وقليله المخلّ"[2].

ويجعل العلماء مرتبة علم البديع "بعد مرتبة علمي المعاني والبيان حتّى أنّ بعضهم لم يجعله علما على حدة وجعله ذيلا لهما لكن تأخر مرتبته لا يمنع كونه علما مستقلا ولو اعتبر ذلك لكان كثير من العلوم علما على حدة "[3].

ولكن إذا أخذنا بقول بعض العلماء من أنّ علم البديع يعدّ ذيلا لعلمي المعاني والبيان، فهذا يعدّ إجحافا في حق هذا العلم، لأن الذيل هو "آخر كل شيء وذيل الثوب والإزار، ما جر منه إذا أُسْبِل... وذيل المرأة لكل ثوب تلبسه إذا جرّته على الأرض من خلفها "[4].

ويظهر من خلال شرح لفظ (الذيل) أنّه ما انتهى الشيء وهو آخره، وذيل لباس المرأة هو ما زاد في آخره ومزينا له ويمكن الاستغناء عنه لأن هو شيء زائد في اللباس إلاّ أنّ علم البديع هو آخر العلوم الثلاثة ويأتي بعد علمي المعاني والبيان، إلاّ أننا لا نستطيع الاستغناء عنه لأهميته.

تكمن أهمية علم البديع ومنفعته في "إظهار رونق الكلام حتى يلج الأذن بغير إذن ويتعلق بالقلب من غير كد، وإنما دوّنوا هذا العلم لأن الأصل وإن كان الحسن الذاتي وكان المعاني والبيان مما يكفي في تحصيله لكنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي أيضا... ثم إنّ

---

[1] - الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، محمود العالم المنزلي، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1322 هـ، ص: 307.

[2] - العقد البديع في فن البديع، الخوري بولس عوّاد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1881، ص: 5.

[3] - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مج: 1، ص: 232.

[4] - لسان العرب، ابن منظور، مادة (ذيل)، ج:11، ص: 260.

وجوه التحسين الزائد إمّا راجعة إلى تحسين المعنى أصالة، وإن كان لا يخلو عن تحسين اللفظ تبعا وإما راجعة إلى تحسين اللفظ كذلك، فالأولى تسمّى معنوية والثانية لفظية"[1].

فبعد أن قدّم حاجي خليفة (ت.1067 هـ) أهمية هذا العلم التي تكمن في إظهار رونق وجمال الكلام، وإضفاء نوع من التحسين الكلامي، تطرق إلى نوعي علم البديع وهما المعنوي واللفظي.

ومصطلح التحسين جعل "الكثيرين يظنون أن هذا العلم ليس ضروريا لإنشاء الكلام، وليس أساسيا من وجهة نظر منطقية"[2].

والمقصود من مصطلح التحسين هو اعتبار العلماء القدامى لعلم البديع ظاهرة من ظواهر التحسين المعنوي واللفظي.

ولم يضف العلماء المحدثون شيئا على ما جاء به القدماء في تعريف البديع بل بقي هو "علم يغرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة، وهو تابع لعلمي المعاني والبيان"[3].

وأوّل من ألّف في هذا العلم "وواضعه عبد الله بن المعتز المتوفي سنة 274 هجرية، ثم اقتفى أثره قدامة بن جعفر الكاتب، ثمّ ألّف فيه كثيرون كأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني وصفي الدين الحلي وابن حجة الحموي وغيرهم" [4].

---

[1] - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج: 1، ص: 232.

[2] - علم البديع بين الإتباع والابتداع، دراسة نظرية وتطبيقية في شعر الخنساء، حسني عبد الجليل يوسف، دار الوفاء، الاسكندرية، ط:1، 2007، ص: 17.

[3] - المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص: 257، وينظر: مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني علم البيان علم البديع، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، الأردن، ط:1، 2007، ص: 237، ووشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، عائشة حسين فريد، دار قباء، القاهرة، 2000، ص: 16.

[4] - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط:1، 1999، ص: 297، 298.

ومن الشروط التي يجب مراعاتها في البديع ألاّ يكون متكلفا لأن البديع "إذا كان عفوا كان صفوا، وكان بمثابة القلادة الثمينة التي تعلّق في جيد الحسناء، أمّا إذا كان متكلفا فإنه يكون بمنزلة الدرّ الذي يعلّق في أعناق الخنازير" [1].

ولعلّ هذا التشبيه يبيّن القيمة الحقيقية للبديع العفوي الذي يضفي على الكلام رونقا وجمالا، بعكس المتكلف هو بمثابة الدر الثمين الذي لا يظهر منه أي جمال أو رونق وهو معلّق في أعناق الخنازير.

وإنما كان اشتراط العلماء في البديع مطابقة الكلام لمقتضى الحال ووضوح الدلالة لأن صانع البديع لا يستحق المدح إلاّ بعد "رعاية شرائط البلاغة من غاية المطابقة ووضوح الدلالة، ولذلك دخلت هذه الشرائط في تعريف البديع، فالبديع لا يكون بديعا إلاّ بمراعاة ما يدخل في نطاق المعاني والبيان"[2].

ولذلك تأخر علم البديع عن علمي المعاني والبيان ليس حطا لمرتبته عنهما، وإنما اشتراط مراعاة المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة هو الذي جعل مرتبته تتأخر، إذ لا يمكن النظر إليها قبلهما.

كما كان لعلم البديع مكانة خاصة عند علماء التفاسير، أمثال ابن جرير الطبري الذي لم ينظر إلى "البديع على أنه يجيء في المرتبة الثالثة بعد استيفاء علمي المعاني والبيان حقهما، وإنما نظر إليه في نظمه الخاص من الأسلوب القرآني دفعة واحدة، وأنّ المحسن يجيء في مكانه ليقوم بنصيبه من أداء المعنى أولا، أما ما فيه من جمال لفظي،

---

[1] - وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، عائشة حسين فريد، ص: 17.

[2] - علم البديع ودلالات الاعتراض في شعر البحتري، دراسة بلاغية، مختار عطية، دار الوفاء، القاهرة، 2004، ص:39، وينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997، ص: 233، 234.

أو حلية شكلية، فإنّ ذلك يجيء من أنّ تلك العبارة، أو تلك اللفظة بالذات يتطلبها المعنى، ويتحتم المجيء بها دون غيرها من العبارات والألفاظ"[1].

وما يظهر من خلال هذا القول أنّ السياق له دور كبير في انتقاء الألفاظ المناسبة، والبديع لا يتأخر عن علمي المعاني والبيان، وإنما هو متكامل معهما، ولا يمكن اختيار الألفاظ المناسبة للسياق إلاّ بمراعاة المعنى المتوخى منه.

فمصطلح البديع كان يطلق على كل أنواع العلوم البلاغية: المعاني والبيان والبديع كابن سنان الخفاجي (ت.466 هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت.471 هـ)، ويعدّ السكاكي (ت.626 هـ) أول من أطلق مصطلحي علم المعاني وعلم البيان وفرّق بينهما ولكنه لم يفصل علم البديع عنهما، وإنما جعله مشاركا لهما في تزيين الكلام بأبهى الحلل والوصول به إلى أعلى درجات التحسين في الكلام[2].

ولم تكن علوم البلاغة قديما منفصلة عن بعضها، لأنها كانت متداخلة فيما بينها وكانت "تسمّى تارة علم البيان، وتارة علم البديع، وتنظر كلها نظرة واحدة بدون فرق بين ما يرجع منها إلى النظم والتأليف، وما يرجع منها إلى وضوح الدلالة وخفائها، وما يرجع منها إلى المحسنات البديعية التي تلي مرتبة ذلك في البلاغة والفصاحة، فكانت كلها علما واحدا متحد الموضوع والغاية"[3].

---

[1] - البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رابح ذوب، دار الفجر، القاهرة، ط:2، 1999، ص:413.

[2] - ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص: 12.

[3] - البلاغة العالية، علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، تقديم ومراجعة : عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 3، 2002، ص: 36.

ثم فرّق العلماء بين العلوم الثلاثة فـــ "علم المعاني يتعلق بالأمور اللفظية من الذكر والحذف ونحوهما، وعلم البيان يتعلق بالأمور المعنوية من التشبيه والمجاز وغيرهما، أما علم البديع فيتعلق بالأمرين معا"[1].

فعلم البديع هو مكمل للعلمين الأولين ولا يمكن الاستغناء عنه لأنه يتعلّق بهما.

وتتجلى قيمة البديع في كيفية توظيف الكلمات التي يستخدمها جميع الشعراء، لأن الشاعر المبدع يغلّف ألفاظ لغته بمختلف أنواع الانفعال، فتخرج موحية مفعمة بمختلف التعابير البديعية الفنية، في حين إذا استخدم الشاعر ألفاظ لغته دون انتقاء وتأمل فستكون غير موحية، خالية من الانفعالات المتضمنة لأنواع البديع[2].

ومن هنا يمكن القول أنّ البديع يمكّن الشاعر من التعبير عن مختلف انفعالاته في قالب مفعم بالتعابير البديعية مما يؤدي إلى تسميته بالشاعر المبدع.

ونخلص إلى أن مصطلح البديع قديما بمعناه اللغوي يعني الجديد ثم اكتسب مدلولا فنيا يعني أيضا الجديد بحيث يتضمن التفنن في عرض المعنى في صورة جديدة بأي طريقة من الطرق، ولا يشترط أن يتوفر البديع في الصورة الفنية وإنما البديع يعني كل ما كان ذا منحى جديد يثير الإعجاب، وهذا لأن ابن المعتز (ت.296 هـــ) أطلق مصطلح البديع على أبيات شعرية لبشار بن برد ولكنها خالية من البديع وألوانه[3].

وبغض النظر عن اختلاف العلماء في نسبة التأليف في البديع إلى ابن المعتز (ت.296هـــ)، فإنّه لا يوجد كتابا قبله سمّي بهذا المصطلح إلاّ كتابه، من غير أن ننظر

---

[1] - البلاغة العالية، علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، ص: 39.
[2] - البديع والتوازي، عبد الواحد حسن الشيخ، مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ط:1، 1999، ص: 33.
[3] - ينظر: المذهب البديعي في الشعر والنقد، رجاء عيد، منشأة المعارف، مصر، ص: 23، 24، 25.

إلى طريقة عمله في الكتاب، سواء جمع ما جاء به من سبقه أم أنّه ابتكر وأضاف من عنده[1].

فلفظ البديع أطلق في القديم على كل ما "يصطنعه الشعراء من نحو هذا النوع من أنواع التصوير"[2] ومن هنا يتجلى أن مصطلح البديع لم يختص بالمحسنات البديعية بنوعيها اللفظي والمعنوي، وإنما أطلق على كل قطعة شعرية تتضمن استعارة أو تشبيه.[3]

3- أضرب البديع:

لعلم البديع ضربان، أحدهما لفظي، والآخر معنوي، فأمّا اللفظي فهو "علم يشتمل على فصول في الجناس اللفظي، والجناس المعنوي، والتصحيف، والسجع، والازدواج، والموازنة، والترصيع، والتشريع، ولزوم ما لا يلزم"[4] وغيرها.

وأما البديع المعنوي فهو "يشتمل على فصول في التورية، والاستخدام، والاستطراد، والافتنان، والطباق، والمقابلة، ومراعاة النظير"[5] وغيرها.

وقد ذكر الأخضري (ت. 983 هـ) ضربي البديع في منظومته قائلا:

ثُمَّ وُجُوه حُسْنِهِ ضَرْبَان بِحَسَبِ الألْفَاظ والمَعَانِي[6].

أي الوجوه التي يتحسّن بها الكلام هي ضربان اللفظية والمعنوية، ثم يخصص لكل منهما فصولا في منظومته، فبدأ بالضرب المعنوي لكثرته، ويليه اللفظي لقلته.

---

[1] - ينظر: المذهب البديعي في الشعر والنقد، رجاء عيد ، ص: 29.
[2] -البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، مصر، 1985، ص: 177.
[3] - ينظر :المرجع نفسه، ص:177.
[4] - معجم علوم العربية، محمد ألتونجي، ص: 111، وينظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، القاهرة، 2204، ص:21.
[5] - المرجع نفسه، ص: 111.
[6] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 731.

4-الأسس النظرية لعلم البديع:

يكون من الموضوعي القول: إنّ فنّ البديع مجال إبداعي حيويّ تشترك فيه الطّبيعة البشرية جميعها على اختلاف أزمانها وبيئاتها ما دام انبجاس الهاجس صادرا عن الروح الإنسانية الواحدة مصداقا لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[1].

لذلك ففنّ البديع تبعا لطبيعة انبجاسه بين في فورة الخواطر والتّصوّرات والانفعالات يتّخذ المورد المناسب لتوقيع المعاني والدّلالات بالكيفية التي يمكن أن تستفيض على الصيغة البلاغية العادية وليس ذلك بمستغرب في الوظيفة الأدبية بل هو كامن في صميم أبعادها الإبداعية لا يمكن لغيره من أساليب الانفعال بتوقيع الأساليب الأدبية الفنية أن يحلّ محلّه، لذلك فقد ترسّخت قيمه الإيقاعية متخلّلة أساليب انتظام الدّلالات اللّغوية الطّريفة خاصّة ما كان منها في حيز التعاطي الشّعريّ، بحيث استبشرت به كتابات الأوّلين دون أن تطغى على بقية الأساليب التّعبيرية الأخرى من مثل الوظيفة النّحوية أو البلاغية أو التّصريفية.

ويستطيع الذي يستقرئ الكتابات النقدية الأدبية التراثية أن يقف على إرث لابأس به من الإشارات البديعية التي كانت تأتي ضمن الانفعالات التعبيرية العربية دون أن يتشجّع الناس إلى إحصاء الكيفيات التي كانت بالضرورة تخالف المبدأ البلاغي العادي وتغايره فالأسلوب البديع هو الطريقة التعبيرية التي تتّخذ الأسلوب الطريف النادر في رصف الألفاظ وتصوير المعاني والدّلالات.

وقد تشجّع الأدباء والشّعراء الرواد في فنّ البديع إلى تبنّي روح الإبداع والمغايرة بالطّريقة التي كانت تجعل بشارا وأبا نواس يشذّان عن أن يتقيّلا أساليب الشّعراء الذين

---

[1] - سورة الحجرات، الآية: 13.

سبقوهما غير أن الملاحظ هو ترسّم أسلوب البديع في توقيع الأساليب التعبيرية فبدل أن كان البيت يكتفي بالمزية الواحدة من هذا الفنّ أو الطّفرة الوحيدة صار الشّعراء يتكثرون من التوقيعات البديعية حتّى كأنّ الواحد منهم صار لا يقتنع بما يأتي في شعره من الوظائف اللّغوية التقليدية الأخرى وصار أن "كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتّى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه"[1].

كما ولع الشّعراء بإصابة أساليب البديع في قصائدهم بالقدر الذي أعطى لهذا الفنّ قدرا من الثقافة والمعرفة كانتا كفيلتين بأن تضيفا نسقا بلاغيا جديدا إلى الحسّ البلاغيّ العربيّ التقليدي الذي صار قديما فلا يقوى على استيعاب الانفعالات النفسية الطارئة.

واستطاع فنّ البديع أن ينتج الإضافات البلاغية الجيدة منها تلك التي صارت ترى إلى أصناف البلاغات والأساليب الأدبية الأخرى معينا لا يمكن إقصاؤه، لذلك وبناء على هذا الاقتناع نظر ابن المعتزّ (ت.296هـ) إلى طبيعة المشاكلة بين الأمثال والأشعار[2] من حيث هما أي الشّعر والنثر الفنّي قائمان على التّرسّل أي الارتجال والانطباع.

ولعلّ هذه الإشارة القيمة هي التي يمكن أن تستثمر من أجل التنقيب والحفر عن جذور الانفعالات الشّعرية الأولية لأنّ ثمّة من المعطيات ما يمكن القول معها: إنّ الشّعر العربيّ في أخصّ تجلياته الفنية والجمالية قد مرّ بمراحل تجريب وتكوين يمكن اعتماد النّزوع البديعي على أنّه واقع في صميم هذا السياق ، ومثلما هو واضح من استقراء الشاهد النقدي الأدبي السابق الذي لاءم فيه ابن المعتزّ بين الشّعر والنثر ملتقيين ومجتمعين على استيعابهما من حيث قابلية هذا الفنّ على مطاوعة التّأليف البديعي والتّوقيع الذي يتطلّبه هذا الفنّ من النزوع البلاغيّ العربيّ الأصيل.

---

[1] - كتاب البديع، ابن المعتزّ، تعليق: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة ط:1،1979 ، ص: 1.
[2] - ينظر: كتاب البديع، ابن المعتزّ ، ص: 1.

وربّما استطاع الذي يستقرئ كوامن الرأي النقدي الأدبي أن يتبيّن الإشارة النقدية الأدبية التي تضمّنتها شهادة ابن المعتزّ (ت.296هـ) في إيراد رأي بعض العلماء الجامع بين الشّعر والنّثر الفنّي من حيث كونهما يلتقيان على طبيعة النّزوع إلى توظيف التّوقيع البلاغي البديعي حيث قال: "وقد كان بعض العلماء يشبّه الطائي في البديع بصالح بن عبد القدّوس في الأمثال ويقول لو أنّ صالحا نثر أمثاله في شعره وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق أهل زمانه وغلب على مدّ ميدانه ، وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى"[1].

معنى هذا أنّ ابن المعتزّ (ت.296هـ) كان من قوّة طبعه في تبيّن المستجدّات الأدبية يهدف إلى اقتراح النّماذج الأدبية الإبداعية والاحتفال بها، وانطلاقا من كون الحسّ البديعي هو في حقيقة جوهر الانفعال به بحث عن الاستجداد والطّرافة والمغايرة فقد اقترح ابن المعتزّ (ت.296هـ) مثلما هو بيّن ظاهر طبيعة أدبية جديدة تقوم على المزج فيم بين أنواع الكتابة المتعارف عليها أي الخلط بين أساليب الكتابة المعروفة الشّعر والنّثر والأمثال لتكتسي طابعا أدبيا طريفا هو الذي اقترح بديلا عن مشكل الكتابة العادية الذي استقر في عرف الأدبية العربيّة، وأما قوله: بعض العلماء فهو يعني أنّ الإبداع من هو من اختراق المألوف ومغايرة السائد المكرّس تختصّ به قلّة من العلماء لا جميعهم أي "الذي لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم ، والسّواد الأكبر"[2]، ولا يمكن للعالم الناقد الأدبي ان يتمتّع بهذا الاختصاص في معرفة الخصائص الفنية التي تتأسلب بها مختلف الانفعالات البلاغية، فقد كانت طبيعة الاهتداء إلى فنّ تأليف مقتضيات الكلام راسخة في طبع العربيّ حيث" كلّ يتكلّم على مقتضى سجيته التي فطر عليها".[3]

---

[1] - كتاب البديع، ابن المعتزّ، ص: 1،2.
[2] - البيان والتّبيين، الجاحظ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 1968، ج:1، ص: 66.
[3] - الاقتراح في علم أصول النّحو، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط: 1، 1976، ص: 77.

ويعتمد الانفعال ببلاغة البديع على خاصية النّدرة والطرافة وكلّ أساليب الانفعال بالقيم اللّغوية الجديدة أي تلك التي تفتح الفتح المبين في ميادين الأسلوب العربيّ الفصيح وقد قال ابن المعتزّ (ت.296هـ) مصداقا لهذا " وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادرا ويزداد حظوة بين الكلام المرسل".[1]

كما جاء استكشاف مستوى البديع في سبيل ترقية الحس البلاغي وانتشاله من الآلية التي نمّطته بها قاعدة الاستعمال اللّغوي، فقد دأب بعض الشّعراء على تقديس الإبداع والاعتراف بأفضال أصحابه الذين افترعوه مبتدعين، وقد هيأ النقد الأدبي من الإجراء ما يلائم طبيعة الاكتفاء بالاحتفال بأرباب البلاغات قائلين مرّة بالمماتنة وأخرى بالمعارضة أو بالمناجزة وهي جميعها تدلّ على أنّ ثمّة رائدا وتابعا له يجعل رهانه قائما على مدى مجاراة صاحب الأولية والقول بالمماثلة على أن يكون حدّ الإجادة لا يفوق ما قد يكون بلغة القائل بالابتداء.

ولنا أن نستشفّ من النّزوع البديعي على أنّه ضرب من تبطين الوظيفة البلاغية أو ترقية الوظيفة اللّغوية الأولى إلى ما يفوقها، جريا على شاكلة مقولة معنى المعنى[2] أو الشّعر الشاعر[3] التي هي درجة ثانية من النهوض بالنّزوع اللّغوي البلاغي الذي صار محدودا، والذي يتدبّر أمر هذه الاستزادة في تطلّب الغايات البلاغية التي صار استجداد الحسّ يبتغيها سبيلا للتّعبير عن الانفعالات العاطفية المستجدّة، فتتشكّل خصوص الهاجس التّوقيعي تبعا لتطور الذّوق الحضاري لا يستطيع أن ينكر ما كان للشّعراء من أفضال اقتراح هذه الفتوحات اللّغوية، فقد تلاحقت الأصوات النقدية الأدبية المنادية بضرورة البحث عن مسوّغات توقيعية للغة الشّعر حيث لم تعد المقاييس البلاغية المحدودة تستوعب

---

[1] - كتاب البديع، ص:1.
[2] - ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 209.
[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 70.

هذا التطوّع في إصابة المعاني الفنية الجمالية، لذلك ألفينا صوت عبد القاهر الجرجاني (ت.471هـ) وأبو تمّام وابن المعتزّ (ت.296هـ) وابن خلدون كلّها تتحمّس في إعلان ضررورة استبدال أساليب بديعية بالأساليب النّمطية المعتادة، وهذا يتطلّب اقتراف الشّعراء للانفعال بالبديع الخارق الذي يتشجّع من أجل القول خارج دائرة المعتاد.

5- أثر البديع في الأساليب اللّغوية:

لعلّ من الوظيفة الطّبيعية الفطرية للّغة قابليتها للتّطوّر والنّماء والنّزوع الدّائم إلى الاستجداد، فاللّغة العربية سواء أكانت على مستوى التّلفيظ أي اللّسان أم على مستوى التّسميع أي الأذن تستدعي ما يهزّها أو يقرعها من صنوف الموادّ اللّغوية الجديدة، فالتكرير في الاستعمال اللّغويّ هو ممّا تنزعج منه النّفس ويتبرّم منه الحسّ وتقلقله الرّوح لذلك قيل إنّ البديع هو "أن يأتي الشاعر بمعنى يستغرب، لقلّة استعماله، لا لأنّه لم يسمع بمثله"[1]، فالسّرّ والنكتة في المسألة إذا هو الكيفية التي تورد بها الصيغة اللّغوية وفق مقتضيات الانتظام اللّساني اللّفظي السماعي التي تجعل الروح تحتفل بها احتفال اكتشافي النّدرة والطرافة.

وكان البديع يأتي في شعر الشّعراء متواريا هاجسا يمنح الخطاب الأدبي نبضه الإيقاعيّ، والبديع بكونه ميزة بلاغية تستمدّ حضورها من درجة الإبداع التي يتميّز بها كلّ أديب عمّا سواه من الأدباء، فقد كان يرد بالطّبيعة في أوائل أشعار العرب منذ البدايات المغمورة، فقد ذكر ابن المعتزّ أنّ هذا الضّرب من البلاغة الأدبية ليس حكرا على زمنه بقدر ما هو طبيعة إبداعية تشترك فيها جميع الأجيال الأدبية العربية، غير أنّ فضل ابن المعتزّ (ت.296هـ) الشاعر الجماليّ الناقد كان قد تنبّه إلى طبيعة حضوره التّوقيعية حين

[1] - خزانة الأدب، وغاية الأرب، تقيّ الدين أبو بكر عليّ ابن حجّة الحموي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ودار البحار بيروت، 2004، ج:2 ص: 3.

صيّره مجالا بلاغيا حيويا استرعى فيما بعد اهتمام الأدباء فصاروا يتحرّون الكتابة في مضماره.

ويهدف التّوقيع البديعي للمعاني البليغة إلى تقوية الدّلالة وتوصيلها إلى مكامن الانفعال النفسي بالقيم التّعبيرية، وهو" أن يعمد الشاعر إلى معنى مشهور، ليس بغريب في بابه، فيغرب فيه بزيادة لم يقع لغيره، ليصير بها ذلك المعنى المشهور غريبا، وينفرد به دون كلّ من نطق به"[1].

ويعتبر الطريقة والأسلوب اللّذين يوظّف وفقهما صياغة المعنى البديعي المناط الأوفي الذي يحدّد درجة المهارة في تطبيق المشاكلة الدّلالية بين دلالتي كلّ من الصّوت اللّغوي وتصوّر هاجس المعنى الأدبي الذي ينطبع في داخل الذّات المبدعة.

والبديع بكونه طبيعة فنية جمالية رهيفة حساسة ينزع المنزع التّوقيعي الخاصّ بالطّريقة التي تتجاوز قواعد الكتابة الأدبية قد يعدّ سمة صحية إذا ما تعلّق الأمر بدراسته في العصر التّركي لدى عبد الرحمن الأخضري (ت:983 هـ) لأنّها فترة طالما نعتت بالرّكود والجمود والاحتباس الحضاريّ، ونعتقد أنّ الهاجس البديعي مزية تشترك فيها جميع أحاسيس البشرية قاطبة لا يتأخّر فيها طرف من الأطراف الأخرى.

كما أشار ابن المعتزّ (ت.296هـ) في كتاب البديع بأنّه ليس رائدا في ادّعاء هذا الفنّ الذي يسمى علم البديع، فقد كانت الندرة والطرافة والفرادة والامتياز اللّغوي يرد الموارد المختلفة من أساليب الأدباء والشّعراء فقد" كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه"[2].

ويستطيع الذي يتعمّق في الأبعاد الإبداعية التي ينطوي عليها هذا الفنّ المسمّى علم

---

[1] - خزانة الأدب، وغاية الأرب، ابن حجّة الحموي، ج:2، ص: 3.
[2] - كتاب البديع ابن المعتزّ، ص: 1.

البديع أن يدرك أنّ تجليات الأساليب اللّغوية تأخذ الأشكال والتّوقيعات الغنية التنوّع، فلا علم النّحو ولا علم الصرف ولا علم البلاغة العربية يستطيع أن يحدّ من الحوافز التعبيرية التي تطالها انفعالات الشّعراء، فقد ذكر أبو العباس المبرّد (ت.286هـ) أنّ بلاغة التشبيه على سبيل المثال وما شاكلها من الاستعمالات المجازية للغة الأدب واسعة مستفيضة لا حدّ لها، لذلك فالتشبيه "كثير وهو باب لا آخر له"[1].

وهكذا فالتباهي بجودة الكلام، وتحسّس المناطات التعبيرية البالغة التوقيعات ما تزال قيمة روحية ينفعل بها الأدباء، ويميّزونها عما سواها مما يتلفّظون به، والبديع بالرغم من خصوصية انبنائه على الندرة والطرافة فهو قيمة لغوية يتطلّبها كلّ لسان ويتعشّقها كلّ سماع.

فكلّ كتابة أدبية خاصّة إذا ما كانت شعرا نزوع بلاغي يكون هو الأساس الذي تقوم عليه رؤية تفعيل لغة التّعبير، حيث يتأثّر كلّ نمط تعبيري بمقاييس الكتابة التي تتجاذب خلالها مكوّنات فصول الخطاب، فالنّسيج اللّغوي العامّ لا بدّ من أن يتأثر بجملة العوامل التركيبية التي يسلكها الحس المنشئ من أجل تفريغ حمولة الإنشاء التي تراها الذّات المبدعة كفيلة بأن تجيب على الانشغال الدّاعي إلى تشخيص خصوصية الموقف الأدبي.

سنتوجّه مبدئيا في بحث موضوع البديع في منظومة البديع ضمن سياق تأليفه في الجوهر المكنون في الثلاثة فنون لعبد الرحمن بن محمد الأخضري (ت.983هـ)، يعني بثلاثة الفنون: علم المعاني، علم البيان، ثمّ فنّ ثالث هو علم البديع الذي هو محور بحثنا في الكشف عن معارف اللّغويين الجزائريين في العهد التركي.

---

[1] - الكامل في اللّغة والأدب، المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت، ج:2، ص: 115.

ونرى مبدئيا أنّ عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) لا يستطيع إلاّ أن يكون ممثّلا لحلقته التسلسلية ضمن سياق التجارب الأدبية والثقافية التي أنتجتها المعرفة العربية الإسلامية، وبالرّغم من من الخصوصيات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي اكتنفت المجتمع العربيّ الإسلامي على هذه الفترة التحوّلية فإنّ عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) أتى ملخّصا جملة السوابق الأدبية العربية الإسلامية التي كان قد هضمها انطلاقا من مكوّناته المعرفية ذات الصلة الوطيدة بالميولات الإسلامية الفقهية البلاغية ومن ثمّة فإنّ الدّرس اللّغوي البلاغيّ لدى عبد الرحمن الأخضري يلخّص لنا جملة من المميّزات الثقافية منها امتياز فترة الحكم التركي بإنتاج المعارف اللّغوية والبلاغية والمنطق التي تتّصل الاتّصال الوثيق بخدمة بلاغة القرآن وثقافته.

والقَوْلَة المَشْهُورَة الصَّحِيحَة جَوَازُهُ لِكَامِلِ القَرِيحَـــة.

مُمَـــــارِسُ السُّنَـــة وَالكِتَاب لِيَهْتَدِي بِهَا إِلَى الصَّوَاب[1].

وقد دأب علماء اللّغة العرب والمسلمين على بذل الجهود المعرفية كلّها من أجل خدمة المعاني القرآنية والعصر التركي بالنظر إلى أصالته العربية الإسلامية قد نحى هذا المنحى كما هو متّضح من خلال جملة المؤلّفات البلاغية واللّغوية التي ميّزت هذه الفترة من سلسلة تاريخ آداب العرب.

ويبدو أنّ علم المنطق هو العلم الأكثر تجاوبا مع منهج الدّرس اللّغوي في العهد التركي حيث كان يعتمد أسلوبا تعليميا يوافق أسلوب التعليم في الجوامع والحلقات المسجدية، ثمّ لأنّ إعمال العقل في فقه علوم اللّغة يجد الدّعم المنهجي المستمدّ من باقي العلوم الشرعية والفقهية التي كانت غالبا ما تختلط بعلوم اللّغة العربية، لأنّ هذه الأخيرة كانت وسيلة لإدراك الغايات الدلالية التي تخرّج بها الأحكام الفقهية، فأساس كلّ معرفة

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 262.

سواء أكانت أدبية أم فقهية شرعية الإحاطة بالوظائف الدّلالية للغة العربية، ولنا حجّة أخرى نستدلّ بها على شيوع استعمال الأحكام المنطقية في علوم اللّغة على هذه المرحلة من تاريخ اللّغة العربية يتمثّل في اعتماد المنظومات في تسطير المعارف العلمية الخاصّة بعلوم اللّغة العربية، والمنظومات والأراجيز ليست سوى استغلال منطقيّ لوزن تفعيلة الرّجز مثلما هي موسومة به منظومة الأخضري (ت.983هـ) في علم البديع.

فالمسحة الزهدية الصوفية تكاد تطبع كلّ لفظة من ألفاظ علماء هذه الفترة التاريخية، ثمّ إنّ اعتماد سبيل المنظومات دون أساليب التّأليف أو التّواصل الأخرى لخير دليل على قلق المرحلة الاجتماعية واتّسامها بعدم الاستقرار، فالمنظومة سبيل أو أسلوب تبليغي خاصّ يتطلّبه أسلوب تعليمي معيّن، والنّظم الذي هو أحد فروع الوظيفة الشّعرية عامل حاسم من عوامل التّحفيظ ، والكلام الموزون المنظوم يكون حفظه أسهل، واستيعابه أمكن بما لا تقوى على تأديته أساليب الكتابة النثرية أي غير الموزونة، فالوزن بانتظامه اللّساني السماعي يكون أفضل وسيلة لترسيخ الملفوظات والمسموعات، وكذلك نحسب أنّ لجوء مشايخ الثقافة اللّغوية في الفترة التركية قد تحرّوا هذه الغاية.

كما تتّسم المعرفة اللّغوية والأدبية لدى عبد الرحمن بن محمّد الأخضري (ت.983هـ) بالانتظام العلمي الذي يرتكز على علم المنطق، والظاهر أنّ جملة معارف العصر التركي قد كان يسمها هذا النّزوع في التفكير والتعبير، ففي متون المنطق والحكمة كان لعبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) إسهام بالغ من خلال إسهامه في كتابة منظومة تجمع بين علمي المنطق وعلم اللّغة حيث أبان فيها عن طبيعة منهجية دقيقة نحى فيها منحى فلسفيا نظريا تخلّلتها إشارات منهجية في شكل عناوين مقدّراتها الموضوعية تنطلق من كون السلم المرونق عبارة عن منهج "يرقى به سماء علم المنطق"[1].

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 262.

وواضح منذ أوائل علماء النّحو العربيّ أنّ سيبويه (ت.180هـ) كان قد تأثّر بعلم المنطق اليوناني من أجل ضبط المنهج المعرفي العلمي الذي يتوّصل به إلى ضبط مختلف المذاهب الأعرابية في الكلام العربيّ، حيث كان لهؤلاء العلماء أن يستخرجوا القواعد اللّغوية خاصّة منها علم النّحو لولا إعمالهم الإحصاء والموازنة بين اللّهجات القبلية، ثمّ إنّ بسط الأسباب التي من أجلها نحا عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) وجهة تعليمية هو تلقين المبتدئين :"وأن يكون نافعا للمبتديء به إلى المطوّلات يهتدي"[1].

وقد يكون من الموضوعي القول: إنّ من طبيعة لغة الأدب عامّة ولغة الشّعر خاصّة أن لا تستقرّ على طبيعة دلالية ثابتة، فالوظيفة البلاغية للغة الأدب هي التي تدفع منشئها إلى ضرورة البحث المتواصل عن الصيغ التّعبيرية المستطرفة، معنى هذا أنّ الحسّ المنشئ يبحث دائما عن المخالفات والخروقات التي تحاول المحافظة على المسوّغ التركيبي من جهة ثم المحافظة على الانبناء اللّغوي الاستجدادي القوي على مغايرة النمّط المألوف، والذي يتأمّل الأسرار الروحية التي تنطوي عليها الفاعلية اللّغوية يستطيع أن يعرف أنّ لا قواعد النّحو ولا قواعد التّصريف ولا الأساليب البلاغية التّعبيرية تستطيع أن تحدّ من فورة الطّموح البلاغي التّوقيعي الذي يسكن الظاهرة اللّغوية، فالناس يقولون بالأساليب اللّغوية المألوفة من أجل الإخبار والتبليغ والتّوصيل والإفهام، ويقولون بمخالفة المألوف من أجل المبالغة والتّأثير بهزّ النّفس وتوفير الأريحية، وهذه الاعتبارات الأسلوبية يجب أن تتّصل الاتّصال الأوثق بطبيعة نظم الكلام وترتيب الألفاظ باعتبارها المظهر القائد إلى الكشف عن أسرار المخبر، فبفضل المهارة في توقيع الأساليب يقوى المنشئ على رقم الدّلالات في قلب السامع، وقد سعى البلاغيون العرب القدامى إلى توصيف أسرار الاستعمال الدّلالي في نفسية المتلقّي قائلين: "وهل شيء أحلى من الفكرة إذا

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 262.

استمرّت وصادفت نهجا مستقيما، ومذهبا قويما، وطريقة تنقاد، وتبيّنت لها الغاية فيما ترتاد.[1]

وقد يكون من الموضوعي القول: إنّ فنّ البديع مجال إبداعي حيويّ تشترك فيه الطّبيعة البشرية جميعها على اختلاف أزمانها وبيئاتها ما دام انبجاس الهاجس صادرا عن روح الفطرة الإنسانية الواحدة مصداقا لقوله تعالى: "يا أيها الناس أنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم ،إنّ اللّه عليم خبير" [2].

لذلك ففنّ البديع تبعا لطبيعة انبجاسه بين في فورة الخواطر والتّصوّرات والانفعالات يتّخذ المورد المناسب لتوقيع المعاني والدّلالات بالكيفية التي يمكن أن تستفيض على الصيغة البلاغية العادية، إذ يعتبر تطلب الرؤية الإبداعية الطّريفة طبيعة أدبية فيه لا يمكن أن يستحوذ على دلالة التّوقيع البديعي إلاّ إذا غاير المألوف وشاكل المتخيّل المأمول حتّى يخرج من الشركة إلى الخصوصية، وليس ذلك بمستغرب في الوظيفة الأدبية بل هو كامن في صميم أبعادها الإبداعية، فلا يمكن لغيره من أساليب الانفعال بتوقيع الأساليب الأدبية الفنية أن يحلّ محلّه ، لذلك فقد ترسّخت قيمه الإيقاعية متخلّلة أساليب انتظام الدّلالات اللّغوية الطّريفة خاصّة ما كان منها في حيّز التعاطي الشّعريّ، بحيث استبشرت به كتابات الأوّلين دون أن تطغى على بقية الأساليب التّعبيرية الأخرى مثل الوظيفة النّحوية أو البلاغية أو التّصريفية.

ويستطيع الذي يستقرئ الكتابات النقدية الأدبية التراثية أن يقف على معين لا بأس به من الإشارات البديعية كانت تأتي ضمن الانفعالات التعبيرية العربية دون أن يتشجّع الناس إلى إحصاء الكيفيات التي كانت بالضرورة تخالف المبدأ البلاغي العادي وتغايره فالأسلوب البديع هو الطريقة التعبيرية التي تتّخذ الأسلوب الطريف النادر في تحسّس

[1] - أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، ص:126.
[2] - سورة الحجرات، الآية:13.

أصوات الحروف ونظم الألفاظ وتصوير المعاني وتوقيع الدّلالات، وانطلاقا من وعي هذه الوظائف فإنّ كلّ تفكير بلاغي بديعي لا يخلو من أن ينطوي على فضيلة ابتداع.[1]

وتشجّع الأدباء والشّعراء العرب من الرواد في فنّ البديع إلى تبنّي روح الإبداع والمغايرة بالطّريقة التي كانت تجعل بشارا وأبا نواس يشذّان عن التقيد أساليب الشّعراء الذين سبقوهما غير ان الملاحظ هو ترسّم أسلوب البديع في توقيع الأساليب التّعبيرية فبدل أن كان البيت يكتفي بالمزية الواحدة من هذا الفنّ أو الطّفرة الوحيدة صار الشّعراء يتكثّرون من التّوقيعات البديعية حتّى كأنّ الواحد منهم صار لا يقتنع بما يأتي في شعره من الوظائف اللّغوية التقليدية الأخرى وصار أن "كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتّى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه" [2].

وقد ولع الشّعراء بإصابة أساليب البديع في قصائدهم بالقدر الذي أعطى لهذا الفنّ قدرا من الثقافة والمعرفة، كانتا كفيلتين بأن تضيفا نسقا بلاغيا جديدا إلى الحسّ البلاغيّ العربيّ التقليدي الذي صار قديما فلا يقوى على استيعاب الانفعالات النفسية الطارئة، وقد نتج عن هذا التّطوّر المعرفي والفلسفي بمقتضيات الاستعمال الفنّي الجمالي للّغة أن أصبح البلاغيون العرب يميّزون بين طبيعتين في حيّز الاستعمال اللّغوي : هما الاستعمال العامّي المشترك والاستعمال الفنّي الخاصّ جدّا.[3]

ومن ثمّ استطاع فنّ البديع أن ينتج الإضافات البلاغية الجيدة منها تلك التي صارت ترى إلى أصناف البلاغات والأساليب الأدبية الأخرى معينا لا يمكن إقصاؤه، لذلك وبناء على هذا الاقتناع نظر ابن المعتزّ (ت.296هـ) إلى طبيعة المشاكلة بين الأمثال

---

[1]- ينظر: البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن مرشد بن علي ابن منقذ، ص: 21 .
[2]- كتاب البديع، ابن المعتزّ، ص: 1
[3]- ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، ص:172- 175

والأشعار[1] من حيث هما أي الشّعر والنثر الفنّي قائمان على التّرسّل أي الارتجال والانطباع.

ولعلّ هذه الإشارة القيّمة هي التي يمكن أن تستثمر من أجل التنقيب والحفر عن جذور الانفعالات الشّعرية الأولية لأنّ ثمّة من المعطيات ما يمكن القول معها: إنّ الشّعر العربيّ في أخصّ تجلياته الفنية والجمالية قد مرّ بمراحل تجريب وتكوين يمكن اعتماد النّزوع البديعي على أنّه واقع في صميم هذا السياق، ومثلما هو واضح من استقراء الشاهد النقدي الأدبي السابق الذي لاءم فيه ابن المعتزّ (ت.296هـ) بين الشّعر والنثر ملتقيين ومجتمعين على استيعابهما من حيث قابلية هذا الفنّ على مطاوعة التّأليف البديعي والتّوقيع الذي يتطلّبه هذا الفنّ من النزوع البلاغيّ العربيّ الأصيل.

وربّما استطاع الذي يستقرئ خبايا التفكير النقدي الأدبي أن يتبيّن الإشارة النقدية الأدبية التي تضمّنتها شهادة ابن المعتزّ (ت.296هـ) في إيراد رأي بعض العلماء الجامع بين الشّعر والنّثر الفنّي من حيث كونهما يلتقيان من طبيعة النّزوع إلى توظيف التّوقيع البلاغي البديعي حيث قال: "وقد كان بعض العلماء يشبّه الطائي في البديع بصالح بن عبد القدّوس في المثال ويقول لو أنّ صالحا نثر أمثاله في شعره وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق أهل زمانه وغلب على مدّ ميدانه ، وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى"[2].

ومعنى هذا أنّ ابن المعتزّ (ت.296هـ) كان من قوّة طبعه في تبيّن المستجدّات الأدبية يهفو إلى اقتراح النّماذج الأدبية الإبداعية والاحتفال بها، وانطلاقا من كون الحسّ البديعي هو في حقيقة جوهر الانفعال به بحث عن الاستجداد والطّرافة والمغايرة فقد اقترح ابن المعتزّ (ت.296هـ) مثلما هو بيّن ظاهر طبيعة أدبية جديدة تقوم على المزج

---

[1]- ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، ص: 1.
[2]- كتاب البديع، ابن المعتزّ، ص:1،2

بين أنواع الكتابة المتعارف عليها أي الخلط بين أساليب الكتابة المعروفة الشّعر والنّثر والأمثال لتكتسي طابعا أدبيا طريفا هو الذي اقترح بديلا عن هيكل الكتابة العادية الذي استقر في عرف الأدبية العربيّة، وأما قوله : بعض العلماء فهو يعني أنّ الإبداع من هو اختراق المألوف ومغايرة السائد المكرّس تختصّ به قلّة من العلماء لا جميعهم أي "الذي لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم ، والسّواد الأكبر"[1]، ولا يمكن للعالم الناقد الأدبي أن يتمتّع بهذا الاختصاص في معرفة الخصائص الفنية التي تتناسب بها مختلف الانفعالات البلاغية، فقد كانت طبيعة الاهتداء إلى فنّ تأليف مقتضيات الكلام راسخة في طبع العربيّ حيث" كلّ يتكلّم على مقتضى سجيته التي فطر عليها"[2].

ويعتمد الانفعال ببلاغة البديع على خاصية النّدرة والطرافة وكلّ أساليب الانفعال بالقيم اللّغوية الجديدة أي تلك التي تفتح الفتح المبين في ميادين الأسلوب العربيّ الفصيح وقد قال ابن المعتزّ (ت.296هـ) مصداقا لهذا "وكان يستحسن ذلك منهم إذا جاء نادرا ويزداد حظوة بين الكلام المرسل"[3].

ويمكن تخريج التّوقيعات البديعية على أنّها عبارة عن الإجراء اللّغوي المحاكي للحال[4] حسب وضع اللّغة، فوفاق إتقان هذه الملاءمة يهتدي الحسّ بالغريزة إلى ابتداع الأساليب اللّغوية الطريفة التي يستدعيها الموقف الإبداعي لذلك وانطلاقا من هذا التفهّم يمكن اعتبار علم البديع على أنّه طبيعة بلاغية تتبطّن النّزوع البلاغيّ الأوّلي التقليدي حيث صارت الوظيفة البلاغية تبعا لتراكميتها تراوح في حيّز أصبح معلوما محفوظا لا يقوى على مواكبة المطالب الانفعالية الفنية والجمالية المستجدّة.

---

[1]- البيان والتّبيين، الجاحظ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 1968، ج:1، ص: 66.

[2] - الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، ص: 77

[3]- كتاب البديع، ص:1

[4]- ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجّة الحموي، ص:.22

كما جاء استكشاف مستوى البديع في سبيل ترقية الحس البلاغي وانتشاله من الآلية التي نمّطته بها قاعدة الاستعمال اللّغوي، فقد دأب بعض الشّعراء على تقديس الإبداع والاعتراف بأفضال أصحابه الذين افترعوه مبتدعين ، وقد هيأ النقد الأدبي من الإجراء ما يلائم طبيعة الاكتفاء بالاحتفال بأرباب البلاغات قائلين مرّة بالمماتنة وأخرى بالمعارضة وهي جميعها تدلّ على أنّ ثمّة رائدا وتابعا له يجعل رهانه قائما على مدى مجاراة صاحب الأولية والقول بالمماثلة على أن يكون حدّ الإجادة لا يفوق ما قد يكون بلغة القائل بالابتداء.

ولنا أن نستشفّ من النّزوع البديعي على أنّه ضرب من تبطين الوظيفة البلاغية أو ترقية الوظيفة اللّغوية الأولى إلى ما يفوقها، جريا على شاكلة مقولة معنى المعنى [1]، أو الشّعر الشاعر[2]، التي هي درجة ثانية من النهوض بالنّزوع اللّغوي البلاغي الذي صار محدودا، والذي يتدبّر أمر هذه الاستزادة في تطلّب الغايات البلاغية التي صار استجداد الحسّ يبتغيها سبيلا للتّعبير عن الانفعالات العاطفية المستجدّة، فتتشكّل خصوص الهاجس التّوقيعي تبعا لتطور الذّوق الحضاري لا يستطيع أن ينكر ما كان للشّعراء من أفضال اقتراح هذه الفتوحات اللّغوية، فقد تلاحقت الأصوات النقدية الأدبية المنادية بضرورة البحث عن مسوّغات توقيعية للغة الشّعر حيث لم تعد المقاييس البلاغية المحدودة تستوعب هذا التطوّع في إصابة المعاني الفنية الجمالية، لذلك ألفينا صوت عبد القاهر الجرجاني (ت.471هـ) وأبو تمّام وابن المعتزّ (ت.296هـ) وابن خلدون كلّها تتحمّس في إعلان ضررورة استبدال أساليب بديعية بالأساليب النّمطية المعتادة وهذا يتطلّب اقتراف الشّعراء للانفعال بالبديع الخارق الذي يتشجّع من أجل القول خارج دائرة المعتاد.

---

[1]- ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ص: 209

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 70

PDF-XChange Cliquez pour acheter! http://www.pdfxchange-fr.com

6- أصول الانفعال البديعي بالأساليب اللّغوية:

اجتمع لابن المعتزّ (ت.296هـ) أكثر من سبب نفسي وموضوعي أهّلته إلى أن يتنبّه لخصوصية فنّ التّوقيعات البلاغية البديعية، فهو يمتلك حسا مرهفا وذوقا مدرّبا هما كفيلان بأن يؤهّلاه إلى إعلام مبادئ هذا الاختصاص البلاغيّ، وتلك سمة في العرب لا تغادرهم حيث "تتبع اللّغة من ألسنتهم، وتجري الفصاحة على ما أجروها، وتنزل البلاغة على حقوقها، وعلى أماكن حظوظها من حكمهم ورضاهم"[1]، لذلك فقد تمكّن في النّفس العربية المبدعة سواء بتعاطي كتابة الأدب أو التفكر فيها مزية استنباط تحف البيان والبديع العربيين، حتى غدا هذا المطلب أي مطلب استنباط البديع مزية ينتهي إليها كلّ تجديد في مسالك ابتداع لغة الأدب العربيّ، حيث تكاثرت الاجتهادات وطغت التوليدات البلاغية المحبّبة إلى القلوب، ولذلك أولع علماء اللّغة العربية وفقهاؤها بمجاذبة علم البديع فكيف لعصر عبد الرحمن الأخضري (ت.983 هـ) أن يشذّ عن هذه الأعراف وينقطع عن تلك التقاليد، حيث لا يمكن لمدرسة قرآنية أو مذهب إسلامي أو طريقة تعبّدية إلاّ أن تدعّم صيتها بتدريس علوم اللّغة العربية مجتمعة على الفصاحة والبيان والنّحو والتصريف ومختلف أساليب اللّسان العربي المبين.

وقد أحسّ سكان المغرب العربيّ خاصّة منهم الجزائريون بشناعة الزيغ عن قوام اللّسان العربيّ فدأبوا يجتهدون في تعلم علوم اللّغة العربية عن الأندلسيين والمشارقة من العرب ثمّ ما فتئوا ينشئون الجوامع، والكتاتيب، والمدارس المتخصصة في تعليم علوم اللّغة العربية، حيث بدأت الحضارة اللّغوية المغربية في هذه الفترة تلقى صعوبة في

[1] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت، ط:3، 2001، ص: 99.

ترسيخ المبادئ اللّسانية التي يستوجبها تخريج الأجيال العربية الإسلامية حيث "بدأ اللّحن يعلن عن نفسه، وتسرب إلى البيوت فأفسد الكثير من ألسنتها"[1].

كما أحسّ أبناء المغرب العربي حقيقة نأيهم عن مركز العروبة فانبروا يجتهدون في كسب متانة التواصل الروحي واللّغوي بين كونهم أحد الفروع العربية التي تستوثق أبدا وضروريا بالمشرق العربيّ خاصة في مرحلة بلورة الشخصية العربية الإسلامية في شمال المغرب العربيّ، وبما أنّ اللّغة هي العامل الحاسم في هذه المرحلة من التحولات التاريخية فقد استوجب اضطلاع رواد علماء المغرب العربي التفقه في علومها ثم الانتقال إلى الالتزام والاعتناء بتلقينها إلى الجيل العربي الإسلامي الجديد.

يبدو استلذاذ الحسّ لكلّ مستطرف في الحياة أمرا طبيعيا يتجاوب مع الخصوصيات الفطرية التي فطر اللّه الإنسان عليها "لأنّ الشّيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان أغرب كان أبدع كان أبعد في الوهم، وكلّما كان ابعد في الوهم كان أطرف، وكلّما كان أطرف كان أعجب ، وكلّما كان أعجب كان أبدع" [2].

ولعلّ من الوظيفة الطّبيعية الفطرية للّغة قابليتها للتّطوّر والنّماء والنّزوع الدّائم إلى الاستجداد، فاللّغة العربية سواء أكانت على مستوى التّلفيظ أي اللّسان أم على مستوى التّسميع أي الأذن، تستدعي ما يهزّها أو يقرعها من صنوف الموادّ اللّغوية الجديدة فالتكرير في الاستعمال اللّغويّ هو ممّا تنزعج منه النّفس ويتبرّم منه الحسّ وتقلقله الرّوح لذلك قيل إنّ البديع هو "أن يأتي الشاعر بمعنى يستغرب، لقلّة استعماله، لا لأنّه لم يسمع بمثله" [3]، فالسّرّ والنكتة في المسألة إذا هو الكيفية التي تورد بها الصيغة اللّغوية وفق

[1] - أثر القرآن في الدراسات اللّغوية، عبد العال سالم مكرم، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر ص: 58.
[2] - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج:1، ص:.65
[3] - خزانة الأدب، ابن حجّة الحموي، ص:3

مقتضيات الانتظام اللّساني اللّفظي السماعي التي تجعل الروح تحتفل بها احتفالا اكتشافيا في النّدرة والطرافة.

وكان البديع يأتي في شعر الشّعراء متواريا هاجسا يمنح الخطاب الأدبي نبضه الإيقاعيّ، والبديع بكونه ميزة بلاغية تستمدّ حضورها من درجة الإبداع التي يتميّز بها كلّ أديب عمّا سواه من الأدباء، فقد كان يرد بالطّبيعة في أوائل أشعار العرب منذ البدايات المغمورة، فقد ذكر ابن المعتزّ (ت.296هـ) أنّ هذا الضّرب من البلاغة الأدبية ليس حكرا على زمنه بقدر ما هو طبيعة إبداعية تشترك فيها جميع الأجيال الأدبية العربية غير أنّ فضل ابن المعتزّ (ت.296هـ) الشاعر الجماليّ الناقد كان قد تنبّه إلى طبيعة حضوره التّوقيعية حين صيّره مجالا بلاغيا حيويا استرعى فيما بعد اهتمام الأدباء فصاروا يتحرّون الكتابة في مضماره.

كما تتحدّد الوظيفة البنائية التي تتساهم فيها جملة من الموادّ الانتظامية من الانفعال الغريزي بقيم موادّ المعاني من حيث طبيعة تورّدها على النّفس، والوجهة التي تتبجس بها من أعماق الشّعور، ونحسب أنّ للحسّ الناظم للّغة طبيعة متداخلة معها حيث تتساند كلّ من الصياغة اللّغوية أو الصياغة المعنوية للمعاني الشّعرية إلى الكيفيات التي تنهض بها من مكامن النّفس، فالذّات المبدعة التي غالبا ما نعني بها الذّات الشاعرة تتحسّس لا غريزيا طبيعة تخيّر الصياغة اللّغوية الملائمة للمعاني التي تحدثها وفق طبيعة تشاكلية ضاربة في الخفاء والسّحر، فعقل الغريزة إذا هو الذي يؤدّي بسرعة فائقة وظيفة البناء اللّغوية مشتملا على عدّة مسارات منها إصابة الأصوات وأوزان الألفاظ، والأنساق الأسلوبية الخاصّة أي تلك التي لا تكتفي بتحكيم المعيارية النّحوية فتتعدّاها إلى اقتراح تراكيب لغوية تستمدّ أسلوبيتها من فورة الموقف التّعبيريّ الذي لا يستطيع إلاّ أن يتميّز بالانقذاف والاسترسال والانطباع حيث طبيعة التفلّت هذه فرصة لمغافلة تدخّل معيارية

الوعي العقلي لتطبيق مقاييس بنائية نمطية، وليس قول عبد القاهر الجرجاني (ت.471هـ) بتغليب جهة المعنى على جهة اللّفظ سوى مقاربة نقدية لتوضيح طبيعة الآلية الوظيفية التي يمكن أن نتفهّم في ضوئها علاقة اللّفظ بالمعنى من حيث اعتقد الجرجاني (ت.471هـ) أنّ صورة اللّفظ يمكنها أن توحي بما هو أغنى من ثبات المادّة اللّفظية، واللّفظ قد يوحي بالتركيب الواحد عدّة دلالات تتكاثر بحسب ما تصادف في بال السامع من لياقة التّفهّم، وقد أفضى تداول الفكرة النقدية الأدبية هذه بعبد القاهر الجرجاني (ت.471هـ) إلى المساءلة التالية: "وليت شعري هل كانت الألفاظ إلاّ من أجل المعاني؟"[1]، وفي هذا دلالة واضحة على أنّ للألفاظ وظائف أخرى غير تلك التي تعورف عليها تقليديا ، حيث يكون من وظيفة اللّفظ إيقاع التنبيه على معاني يتبطّن بعضها بعضا، وحتّى وإن كانت العرب قد قالت بتسابق اللّفظ مع المعنى في سياق بحثها عن الأسرار الإيقاعية التي يتساند إليها وعي الدّلالات والمعاني، فلا "يكون الكلام يستحقّ معنى البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[2].

وقد تحرّر التفكير النقدي الأدبي العربي القديم من ضبط القيود التي تحكم علاقة المنشئ بالسامع وقد أعطوها العناية الفائقة كسبا لودّ المتفهّم حتّى أعطوها الأبعاد الحميمية البالغة من ذلك نعت الجاحظ (ت.255 هـ) السامع بالمريد وهو اصطلاح صوفي يلخّص طبيعة من التراسل القلبي بين الشيخ ومريديه حين قال في توثيق عرى التّواصل: "وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة في الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشّواغل عن قلوبهم"[3].

---

[1]- دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص: 320

[2]- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج:1، ص:.81

[3]- المصدر نفسه، ج:1، ص:.81

وترتبط هيئة الكلام أو الكيفية التي تترتّب عليها الأصوات والألفاظ بخصوصية المقام أو الحال لأنّهما أي لسان القول ولسان الحال يتساهمان دائما في تكميل بعضهما البعض، وقد حدس البلاغيون العرب القدامي نكتة هذه المزية متطوّعين في اقتراح بعض المصطلحات الشّجاعة للقبض على هذا المغزى النقدي الأدبي النادر العزيز وأوكلوا هذه المهمّة التّوقيعية الانفعالية لفعل الاهتزاز لأنّ "كلّ حاسّة من حواس البدن إنّما تتقبّل ما يتّصل بها ممّا طبعت له إذا كان وروده عليها ورودا لطيفا باعتدال"[1].

وبالرّغم من عمل الحسّ الدّائق وسط موادّ بنائية لغوية وغير لغوية خلال إنتاج الصيغة اللّغوية الفنية، فإنّ وعي الغريزة يعمد تلقائيا إلى بثّ الموافقات والتّآليف والتّسويات والتّعديلات التي توافق ذوق الحسّ لطبيعة الاستعمال اللّغوي الفنّي الجماليّ ففي خضمّ ارتباط الحسّ للمعاني والتّصوّرات والتّخييلات ينفعل بالتّوقيعات اللّغوية التي تنبصم وفق المؤدّى التّعبيريّ الأسلوبي المحدوس "وهو يقال بالاشتراك على المعنى القائم بالنّفس وعلى الأصوات المقطّعة المسموعة"[2] لذلك تكمن وظيفة عقل الغريزة في تقدير البنائيات الدّقيقة أي تلك التي لا يستطيع العقل أن يتصاغر من أجل القبض عليها تبعا لتماهيها وتلبّسها بكثير من الانفعالات الروحية التي لا تدرك إلاّ بالعين الباطنية للذّات المبدعة، "فالأصوات كيفية للنفس وهي الكلام المنتظم من الحروف المسموعة المتميّزة المتواضع عليها والانتظام هو التّأليف للأصوات المتوالية على السّمع"[3].

وقد ظلّ الناقد الأدبي العربي القديم يعتقد متفهّما أن اللّغة الفنية التي تعد البديع أحد أهمّ مقوماتها الإيقاعية أو الأسلوبية لا يمكنها أن تكتفي بالآلية التّعبيرية التي صارت مطروقة، بل عماد الأمر على استدعاء الصيغ المستحلاة التي تستقي أوزانها من معين

---

[1]- عيار الشّعر، ابن طباطبا، ص:52

[2]- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ص: 11

[3]- المصدر نفسه، ص: 11

تشبّع الحسّ المبدع بتصوّر المعنى لذلك قال ابن طباطبا: " وللشّعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه" [1]، ولعلّ الغرابة المستفادة من المقولة النقدية الأدبية هي جمع ابن طباطبا بين الشّعر والوزن، لأنّنا عادة ما نستغني وفق التقاليد الثقافية بأحد الأمرين فإمّا الشّعر وإمّا الوزن، فأمّا أن يجمع بينهما مثلما ورد فهذا يجعلنا نتساءل عن إمكانية تواجد أحدهما بمعزل عن الآخر في التقاليد الأدبية العربية المغيبة عنّا.

ويهدف التّوقيع البديعي للمعاني البليغة إلى تقوية الدّلالة وتوصيلها إلى مكامن الانفعال النفسي بالقيم التّعبيرية، وهو "أن يعمد الشاعر إلى معنى مشهور، ليس بغريب في بابه، فيغرب فيه بزيادة لم يقع لغيره، ليصير بها ذلك المعنى المشهور غريبا، وينفرد به دون كلّ من نطق به"[2].

ويعد الطريقة والأسلوب اللّذين يوظّف وفقهما صياغة المعنى البديعي المناط الأوفى الذي يحدّد درجة المهارة حيث تستوي الدّلالة البلاغية البديعية وفاقا لزاوية الرؤية التي يستطيع الحسّ تحصيلها بناء على درجة التّشبّع التي يتمتّع بها.

ولنا أن نصادف في آراء البلاغيين العرب القدامى ما يترك للتفكير البلاغيّ متنفّسا تأويليا يستطيع السامع أو القارئ أن يمارس خلاله زخما من الممارسة التفهّمية لدلالة الخطاب الأدبي وهم يحيلون في كلّ ذلك على المرجعية النفسية التي لا يمكن تحديد رقعة فاعليتها لأنّ "أصل العلوم كلّها الحسّ"[3]، الذي هو عالم تتلاقى فيه كثير من القيم اللّغوية وتبعا لذلك فإنّ "الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنّفس دون الصيغ" [4]، لذلك فإنّ الدّلالة

---

[1]- عيار الشّعر، ابن طباطبا، ص:53

[2]- المصدر نفسه، ج:2، ص: 3

[3]- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، الشوكاني، ص:.138

[4]- - المصدر نفسه، ص: 99

اللّغوية الفنية الواحدة يمكن أن تتلبّس الصيغ التعبيرية التي تنفتح على المعجمية والترادف والأساليب المختلفة الأنماط النّظمية.

كما لا يمكن للدّلالة الأدبية أي المجازية أن تتجرّد من القياس المعنوي تقريبا للأبعاد الدّلالية التي يمكن أن تتلبّسها، لذلك فقد أحكم التفكير البلاغيّ العربيّ هذه الوظيفة الدّلالية بمرجعية القرينة التي تعتمد في قياس الأبعاد الدّلالية التي تربط بين التفكيرين المجازي والوظيفة الاجتماعية للّغة، فاللّغة في أوج تجرّدها لا تستطيع أن تتخلّى عن المرجعية الاجتماعية الوظيفية، والقرينة [1] في عرف البلاغيين إمّا أن تكون لفظية يتشخّص أثرها التنبيهي على القصد الدّلالي الذي يتوخّى المنشئ إخفاءه توقيعا للمعنى وهزّا للأريحية أو غير لفظية أي معنوية، وهي التي يتلفها الفهم بالاسترواح والتّخمين والتّصوّر والاحتمال. ولا يمكن للصيغة اللّغوية ان تحتوي على الإشعاع الدّلالي المكنون في أمشاج العناصر اللّغوية البانية له إلاّ إذا كان الأديب متمتّعا بمهارة الإلغاز البلاغي البديع بسلوكه المسالك البنائية المفترعة المرتجلة المستطرفة فلا يشاركه فيها أديب آخر.

إضافة إلى أن طبيعة الدّلالة البديعية لا تنحصر في جيل بعينه دون الأجيال الأخرى، أو أن تقتصر على بيئة أدبية دون البيئات الأدبية الأخرى لذلك كانت الأمم تختصّ في كيفيات أوزان أشعارها بينما يمكنها أن تتلاقى على كثير من الخصائص الإيقاعية التي تتجاوز المعايير اللّغوية منفتحة على إعمال ما تشترك فيه الأمم من نباهة وفطنة وحسّ وغريزة مثلما يبدو من تشاكل وزن بحر الرّجز مع كثير من توزينات الشّعر الفرنسي، فالحسّ طبيعة في كلّ الإنسانية يستطيع كلّ فرد استثمار طاقاته الإبداعية

1- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 94،95، وينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص:20 ، حيث أعطى طبيعة خاصة لتفاهم المتراسلين على مرجعية القرينة باعتبارها تستمدّ من الموافقات والتّواضعات .

السحرية وفق المقامات والأحوال التي تسعفه الحياة في تجريبها ، والأحاسيس تستطيع أن تلتقي على ذوقي الفنّ والجمال.

ومن أهمّ ما يمكن ملاحظته على الدرس البلاغيّ البديعي هو تميّزه بالوظيفة النقدية الأدبية التّطبيقية لأنّ كلّ موضوع فيه يستدعي حضور العينة اللّغوية المصدّقة لنظريته لذلك جاءت أبواب الدّرس البلاغي البديعي متكاثرة متنامية كلّما تشخّص منها نزوع إبداعي استدعى تعهّده بالمعاينة والتّطبيق، وقد يكون هذا الوازع هو الذي أثمر جودة النّماء والتّطوّر في أبواب البديع منذ ابن المعتزّ (ت.296هـ) إلى الدّراسات البديعية خلال فترة الأدب المغربيّ مثلما هو الشّأن لدى ابن البناء المراكشي أو السّجلماسي.

7- العلاقة بين البلاغة والبديع :

يبدو للذي يتدبّر في موضوع علاقة علم البديع بعلم البلاغة العربية أنّهما يتداخلان التّداخلين: الاصطلاحي والوظيفي معا من حيث المنشأ والدّلالة والوظيفة، فالبلاغة العربية عبر مظاهرها الدّلالية أو اللّسانية تبدو آثارها ناتجة عن تلك القيم اللّغوية الراقية التي تنطوي على سمتي الفرادة والامتياز، وقد كان اعتماد هذا المنهج في تقييم هذه العلاقة السبيل إلى الكتابة العلمية في هذه الثنائية[1]، حيث يتّخذ مفهوم البديع في سياق تحولاته التاريخية مفهوما فنيا جماليا يتبلور في مفهوم التّحسينات اللّفظية والأسلوبية، ومثلما ترسّخ في الاعتبارات النقدية التداولية فإنّ الظاهرة اللّغوية البديعية ظلّت تحتفظ بطابعها المستصفى والمنمّق أي ذلك الامتياز في صياغة العبارة اللّغوية الأدبية وفق الكيفيات التصويرية أو التخييلية الخاصّة جدّا، بحيث يبدو فيها صاحبها الأديب راقيا متساميا عن الآثار اللّغوية التي سبقت موقفه الأدبي التّعبيريّ.

---

[1]- ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النصية، جمال عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006 ص:75.

PDF-XChange Cliquez pour acheter! http://www.pdfxchange-fr.com

8- أثر الوظائف اللغوية في بنية البديع:

صحيح أنّ كلّ هاجس لغوي خلال تخريجاته اللّفظية أو الصوتية يقتضي من صاحبه التركيز على بثّ خاصية الفرادة والامتياز اللّغوي، غير أنّ هذا الهاجس اللّغوي ظلّ مشتّتا في التفكير النقدي الأدبي، بالرّغم من ترسّخ مساره الإبداعي في حيّز لغة التعبير، فقد توزّع هاجس توظيف لغة البديع بين الوظائف التالية: الوظيفة اللسانية، والوظيفة الدّلالية، والوظيفة الأسلوبية.

1- الوظيفة اللّسانية:

ونعني بها ما اعتمد من الظّواهر اللّغوية ذات الأثر اللّساني الظاهر من مثل: التّجنيس، والتكرار فهذان الصنفان وما جرى مجراهما من أساليب التعبير اللّغوي مرتكز على الخاصية اللّسانية في إصابة أنماط تدويرية معينة، والتركيز على التجنيس والتكرار مشتمل على غايات لغوية استلذاذية تتأدّى عن طريق استعذاب الكيفيات التي يتمّ بها إعمال أسلة اللّسان في تحقيق أصوات حروف اللّغة، ولعل لكلّ صفة صوتية طبيعة فنية جمالية خاصة، فليس كلّ تجنيس أو تكرار قابلا لأن يتّصف بالمواصفات اللّغوية البديعية التي يتّصف بها النّموذج اللّغوي التكراري أو التّجنيسي لدى أديب أو شاعر معيّن، ولولا أنّ هذا صحيح لكان النقاد قد اعتمدوا كلّ صيغة لغوية تعبيرية فيها تكرار أو تجنيس، لأنّ ثمّة قياسات لسانية ، وأبعادا بنائية لا يقوى كلّ حسّ أدبي على إصابة غاياتها البنائية لذلك وانطلاقا من هذا الواقع ألفينا ابن المعتزّ(ت.296هـ)[1] وهو إمام علماء البديع وقائدهم في استنطاق النماذج اللّغوية يشير في كثير من الأحيان إلى سوء إيراد النّموذج التعبيري البديعي فيقول: ومن المعيب في الكلام أو الشّعر... كذا.

[1]- ينظر: كتاب البديع، ص: 53.

ويبدو من استقراء المقولات النقدية الأدبية المتّصلة بالبديع أنّ ثمّة محورين حاسمين يتوزّعان الدّرس البلاغيّ البديعي هما: الوظيفة اللّسانية اللّفظية السماعية والوظيفة المعنوية .ثم وظيفة ثالثة هي الوظيفة الأسلوبية.

وتتحدّد أبعاد الوظيفة البديعية التي ترتكز على الوظيفة اللّسانية من خلال الموضوعات التالية: التّجنيس: الذي تعنى دلالته بالتفريعات التالية: المماثلة، التّصحيف التّحريف التّصريف، الترجيع، العكس، التركيب، التّطبيق، فالذي يتمعّن جوهر دلالات المصطلحات البديعية السابقة يلفيها متّصلة بالوظيفة اللّسانية السماعية لأنّ المادّة المركّز عليها في تقييم دلالات التّجنيس إنّما هي التركيبات اللّسانية والصور اللّغوية السماعية التي تتشكل من كيفيات صوتية ملذوذة لا يمكن إنتاجها إلاّ من خلال توافر الحسّ المبدع في هذا الحقل الإيقاعيّ.

2- الوظيفة الدلالية:

تتعلّق بالكيفيات التي تصور بها المعاني والدّلالات، وتتصدّر الاستعارة هذا النّمط من التفكير البلاغيّ بلا منازع تكاد بفضل رسوخها أن تهيمن على مجمل التّوابع الموضوعية في ميدان أساليب توقيع الدّلالات الأدبية البديعة، مع إمكان إلحاق المستتبعات البديعية التالية: العكس، التّصدير، التتميم، الاحتراس، التتكيت، الكناية والإشارة، التّجاهل وما سواها ممّا يقع من المعاني في دائرة دلالاتها المعنوية.

ويجدر بنا لفت النّظر إلى طبيعة تنامي الوظيفة البديعية في حيّز التفكير النقدي الأدبي العربيّ، حيث توافرت خلال سياق تطور نظرية بلاغة البديع العربيّ أن يبرز رجالات العلم والمعرفة الذين ارتقوا بالمفاهيم البديعية الأولى المقترحة تنشئة لهذا العلم المتميز الجامع بين العلمية والفنية الجمالية، من ذلك تطوير التفكير النقدي الأدبي لكثير من الأفكار الأدبية التي كانت مجرّد فكرة عائمة تائهة لتأخذ أبعادها الفلسفية الوظيفية، لأنّ

علم البديع ها هنا يكون قد استخلص كثيرا من الوظائف النفسية والانفعالية التي فاتت التجارب النظرية البدائية، ولنا على سبيل المثال في موضوع الوظيفة الضدية أو عمل الأضداد على عهد حازم القرطاجني النّموذج النقدي التطبيقي الأوفر نضجا والأقوى حجّة في تشخيص الوظيفتين الفنية والجمالية، حيث قال: "وكلّما كان الكلام مقتصرا به على فنّ واحد من الإبداعات، وإن كان حسنا في نفسه، لم يحسن لأنّ ذلك مؤدّ إلى سآمة النفس فإنّ شيمتها الضّجر ممّا يتردّد والولع بما يتجدّد"[1].

وتظهر لنا دلالة القول بسآمة النّفس أو ضجرها، أو شيمتها، والولع أنّ للأثر اللّغوي ذي الفاعلية البديعية امتدادا نفسانيا هو في نهاية المطاف قوام الانفعال بالأساليب التعبيرية، فمضيّ التعبير اللّغوي على النّسق النموذجي الواحد يكره النفس ويكدّها بالقدر الذي يطرد عنها الأريحية والطّمأنينة ، ويستخلص من هذا أنّ للأثر اللّغوي وظيفة انفعالية لا يمكنها أن تتأدّى بالكيفيات المريحة إلاّ إذا توافرت لها أسباب الاستقبال النفسي الملائم لاستقبال التعبير اللّغوي الأدبي المستوفي للشروط الفنية والجمالية التي حدّدتها نظرية لغة البديع، وفي مخالفة شروط الانبناء اللّساني للوظيفة اللّغوية البديعية تكدير للذائقة اللّسانية الفصيحة المدربة على الذّوق الأدبي السويّ حيث "فإنّ للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها، والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراهما تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأنّ تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد"[2].

---

[1] - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنّي، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط:3 1986، ص:61.

[2] - المصدر نفسه، ص: 44، 45.

PDF-XChange Cliquez pour acheter! http://www.pdfxchange-fr.com

3- الوظيفة الأسلوبية:

تتحدّد أبعاد الوظيفة الأسلوبية البنائية في الدّرس البديعي من خلال المصطلحات النقدية التالية: الازدواج، الترصيع، التّوشيح، التّذييل، التّطريف، الانسجام، الحشو، الأقسام التثليم، الاسهاب والإطناب، التلطيف والتّوليد، التهذيب والترتيب.

ومن أهمّ مميزات الدّرس البديعي هو قابليته للتّفريع والتشظّي والانشطار إلى دواع تأملية تعيش على هوامش الدّلالات الأدبية الأولية إيقاعية استجدادية، تحاول أن تواكب النشاط الحسي الذي يسكن باستمرارالماهية اللّغوية المعتادة ذاتها، حيث لا يمكن الاكتفاء بالمقولات النقدية الأدبية المحدودة المستقرّة، فالمقولة النقدية الأدبية تحاول دائما رسم دائرة التّعاطي بإحكام ليخرقها النّزوع اللّغويّ الإنشائي من جديد مهيّئا أرضية خصبة لتعاطي المجازات المستطرفة، فالحسّ الإبداعي يسعى دائما إلى اكتشاف القيم التّعبيرية والتّوقيعية الطّريفة التي لم يمذلها لسان من قبل.

ويتّفق معظم أهل البديع على أنّ التّوقيعات الدّلالية البديعية ما هي إلاّ سبيل إلى ترقية الوظيفة البلاغية، فبعد استيلاء النظرية البلاغية على طبيعة تقعيدية مثلها مثل الذي في علمي النّحو والتّصريف لأنّ في معدن العربية أن تجري هذا المجرى البديع وأهل اللّغة العربية "ما زالوا يخترعون المجازات عند وجود العلاقة، ومع نصب القرينة" [1] هرع المبدعون إلى اقتراح أسلوب بلاغيّ جديد هو أسلوب البديع حيث فتحت هذه المعرفة الطّريفة الطارئة مجالا رحبا أمام الشّعراء ونقّادهم من الذين أولعوا بتعاطي النقد الأدبي الفنّي والجمالي، فالنّظرية البديعية تظلّ مفتوحة على احتمال الاستجداد، وباستعدادها ذلك فهي تبقى تنتظر الخارق الذي لا يمكن انتقاد طبيعته الأدبية مهما كان مغرقا في التّبعيدات المجازية التي تفوق إغراب أبي تمّام في خروقاته المجازية.

---

[1]- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص: 21

وتحسّسا من لدن البلاغيين لمدى أهمية هذا الوازع اللّغوي الجديد فقد طفقوا يستروحون كلّ جديد، ويحتفلون بكلّ انطباع، لذلك فقد ركّزوا مفهومهم خلال هذا الإجراء الترقوي للوظيفة البلاغية باعتماد نقل اللّغة من الغرض الأصلي الغائي إلى غيره من الوظائف الفنية الجمالية التي أحجم البلاغيون عن تحديده غاية التّحديد، حيث كان تفكيرهم ذاك يرمي إلى العناية بمبدأ الإنشاء والتّلفيظ اللّذين بهما يعذب المنطق ويتأنّق الخطاب حيث لم يعد إتقان الدّلالة منحصرا في مدى إصابة تسمية الأشياء بل هو كامن في أسلوب الإشارة والتّلويح، ممّا يمكن أن تعتمد فيه اللّغة الظّنية لأنّ "اللّفظ ليس بظرف حقيقيّ للمعنى" [1]، لذلك جازت الاستفادة بما هو خارج عنه وواقع في سياق تأويله.

والبديع بكونه طبيعة فنية جمالية رهيفة حساسة ينزع المنزع التّوقيعي الأسلوبي البلاغيّ الخاصّ ، بالطّريقة التي تتجاوز قواعد الكتابة الأدبية قد يعدّ سمة صحيحة إذا ما تعلّق الأمر بدراسته في العصر التّركي لدى عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) لأنّها فترة طالما نعتت بالرّكود والجمود والاحتباس الحضاريّ، ونعتقد أنّ الهاجس البديعي مزية تشترك فيها جميع أحاسيس البشرية قاطبة لا يتأخّر فيها طرف من الأطراف الأخرى.

[1]- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص:25

1- المهاد التاريخي لموضوع البديع:

يبدو للمتفكّر في شأن موضوع الانزياح البلاغي لدلالة الأساليب البديعية أنّ أصل هذا الفنّ مموّه بعدّة تخريجات فنية جمالية وقد تتعدّاهما الوظيفة اللّغوية البديعية حتّى تلحق بكثير من التقديرات البلاغية المتناهية الحساسية من ذلك تصريح ابن المعتزّ (ت.296هـ) إمام هذا الفنّ ذاته بأنّ إحصاء حقول الدلالة البديعية يبدو مستعسرا متفلّتا يتّخذ الأبعاد الانبنائية الطريفة المستمرّة التجدّد والاستحداث، لذلك فقد فرّع ابن المعتزّ (ت.296هـ) حقل الدلالة اللّغوية البديعية وفق مسارين:

المسار الأوّل: موضوعات البديع الراسخة الواضحة وهي: الاستعارة حيث ميّز القدماء بين الاستعارة الحسنة وغيرها من مختلف التّوظيفات الاستعارية أي تلك التي لا تأتي موضعها من سياقي التلفيظ والتمعين، وبذلك الاهتمام البالغ المستحوذ على الموضوعات البديعية الأخرى فإنّ الكلام النقديّ عليها هو الموضوع البلاغي اللّغوي الذي أسهب في تبيان مناحيه التّوقيعية، ثمّ التجنيس، فردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها وهو أن يوافق آخر الكلمةفيه آخر كلمة في نصفة الأوّل[1]، وأما الباب الخامس فهو: المذهب الكلامي[2]، الذي يعني اشتطاط بعض الأدباء في ادّعاء الفرادة والتميّز مثلما هو شأن أبي تمام في بلاغات أشعاره المبهمة.

وبالنّظر إلى قوّة النشاط اللّغوي الذي ينطوي عليه البديع فقد ألفينا الجاحظ (ت.255هـ) سبّاقا إلى التلميح إلى جوهر كون هذا الفنّ حيث ارتآه يمثّل الطبقة العليا الفائقة من أساليب التعبير الأدبي خاصة أساليب التعبير الخاصة بلغة الشّعر عندما قال: "وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولّدين أصوب بديعا من

[1] - ينظر: كتاب البديع، ابن المعتزّ، ص: 47.
[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 55.

بشار"[1]، حيث لا يمكن للتفكير النقدي الأدبي أن يمسك على الظاهرة البديعية كونها متّصلة بجوهر الوظيفة البلاغية القائمة على الاجتهاد في تأوّل الدلالات والمعاني "وليس يعرف حقائق مقادير المعاني، ومحصول حدود لطائف الأمور إلاّ عالم حكيم ومعتدل الأخلاط عليم، وإلاّ القويّ المنّة، الوثيق العقدة، والذي لا يميل إلى ما يستميل الجمهور الأعظم والسواد الأكبر"[2].

وكلّ هذا الذي سعينا إلى بسطه من الآراء والنظريات المختلفة التي يؤكّد جميعها طبيعة النشاط الدّلالي والمعرفي الذي تنطوي عليه بلاغة لغة البديع ألفينا ابن المعتزّ (ت.296هـ) يترك هامشا للمزايدة والمراوحة والاجتهاد كان قد ألحقه بمضامين كتابه في البديع، حيث قال: "قد قدّمنا أبواب البديع الخمسة، وكمل عندنا وكأني بالمعاند المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال: البديع أكثر من هذا، وقال: البديع باب أو بابان من الفنون الخمسة التي قدّمناها فيقل من يحكم عليه لأنّ البديع اسم موضوع لفنون من الشّعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللّغة والشّعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو"[3].

وأما اقتصار ابن المعتزّ (ت.296هـ) على تداول خمسة موضوعات مثلما حدّدها فيبرّر رؤيته النقدية بقوله: "لا ينبغي للعالم أن يدّعي الإحاطة بها حتّى يتبرّأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره، وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدّبين ويعلم الناظر أنّا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختبارا من غير جهل بمحاسن الكلام، ولا ضيق في المعرفة، فمن أحبّ أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ولم يأت غير رأينا فله اختياره"[4].

ويبدو ابن المعتزّ (ت.296هـ) من الوجهة النقدية الأدبية المنهجية أكثر إنصافا لهوية هذا العلم القائم على الاستشعارين الفنّي والجمالي فهو-أي ابن المعتزّ (ت.296هـ)- لم يستحوذ على حقل الدّلالة الأدبية البديعية، من حيث ترك الأبواب

[1]- البيان والتبيين، الجاحظ، ج:1، ص: 40.
[2]- المصدر نفسه ، ج:1، ص: 66.
[3]- كتاب البديع، ابن المعتزّ، ص: 57،58.
[4]- المصدر نفسه، ص: 58.

مفتوحة أمام اجتهاد الأجيال الأدبية اللاحقة به، وربّما يكون هذا الذي عناها باقتراح إضافات لغوية فنية أسماها: المحسّنات، فالذي يتأمّلها يجدها لاحقة بصميم الوظيفة اللّغوية البديعية اقترح تسميتها: باب الالتفات، وباب اعتراض كلام في كلام، وباب الرجوع فباب حسن الخروج، وكذلك تأكيد مدح بما يشبه الذّمّ، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجهل، والهزل الذي يراد به الجدّ، وحسن التضمين، والتعريض والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وحسن الابتداءات.[1]

2-الدرس اللّغوي البديعي لدى الأخضريّ (ت.983هـ):

لعلّ حلول الأخضري (ت.983هـ) ذات المحلّ التاريخي من سياق تطور الأدبية العربية عبر الأجيال والحقب سيعطيه الفرصة الكافية لتقييم الدّرس البلاغي العربي من خلال تاريخ النشاط الفكري في هذا الاختصاص اللّغوي المحبب إلى النفوس، لأنّ البيان وفق التفكير البلاغي على فترة عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) كان ما يزال يصل كلّ فائدة فكرية أو أدبية بخدمة اللّغة العربية الشريفة بكونها لغة الإعجار القرآني ، هذا المعلم الذي ظلّت لغة الأدبية العربية تسترشد به في جميع مراحل تطورها الفكري والفني الجمالي، لذلك فإنّ من أفضال اللّه تعالى على عباده العلماء أنّه:

أَمَدَّ أَرْبَابَ النُّهَى وَرَسَمَا شَمْسَ البَيَانِ فِي صُدُورِ العُلَمَا[2].

متبيّن منَ خلال اعتماد الأخضري (ت.983هـ) لهذه الصيغ المدحية التراثية الدينية أنّه اتجه اتجاها أدبيا يشاكل فيه ما اعتمده مجموع الفقهاء في مدوناتهم، حيث كانوا يصلون كلّ معرفة لغوية أو أدبية أخرى بفوائد أخلاقية دينية لا يستطيعون تجاوزها إلى غايات تفكيرية أخرى, وأيّ شيء ينتظر من العالم الفقيه في فترة العهد التركي سوى إعادة توثيق النية مع اللّه الذي يؤال إليه في الشدائد والصعاب.

كما كان من أخلاق العلماء على فترة عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) أن يتسلّحوا بقوة المعرفة الصوفية التي تعطيهم هذا الزخم الإشراقي الهادي إلى طلب التنوّر بمختلف المعارف الأدبية واللّغوية التي تصبّ جميعها في خدمة الدين والدّنيا، وقد دلت

[1] - ينظر: كتاب البديع، ابن المعتز، ص:58، 75.
[2] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص:717.

على ذلك عبارتا: أرباب النّهى وشمس البيان مثلما ورد في النصّ المنظوم المستشهد به عينة على ذلك.

ويستطيع الذي يستعرض تاريخ سيرورة التّحوّل في الحقل الدّلالي لموضوع البديع أن يقف على خصائص نسقية هي التي تنتظم الاصطلاحات البلاغية في هذا الحقل المتّصل حقيقة بآليات الإبداع الأدبي، فمنذ اقتراح ابن المعتزّ (ت.296 هـ) أو اختراعه لهذا الاختصاص البلاغي الطّريف طال هذا المسلك اللّغوي نشاطا إبداعيا ملحوظا، وهو وإن كان يتّصل في النظريات البلاغية الحديثة بمتابعة لغة الشّعر باعتبارها الأقرب إلى التفاعل الوظيفي أو الفنّي الجمالي مع متطلبات ابتداع المواقف الأدبية التعبيرية اللاّئقة بهذا الفنّ النادر العزيز، فإنّه - أي علم البديع- كان قد صدر عن حسّ بلاغي قرآني أي من أجل البصر بمعجزة القرآن البيانية، باكتشاف الأسرار التّوقيعية التي تسلكها الأساليب التّعبيرية البديعية[1].

وقد اجتمعت لدى الأخضري (ت.983هـ) أسباب معرفية علمية وإبداعية متنوعة كثيرة، ساهمت كلّها في إنتاج شخصيته الأدبية الدينية العلمية، فهو علم من أعلام شعراء الجزائر المشهورين تناقلت أشعاره جلة من المؤرّخين والدّارسين، وقد أضاف الأخضري (ت.983هـ) إلى شعريته أو شاعريته تجربة روحية هي تجربة التّصوّف الجزائري المحض المقترن بالبيئة الثقافية والدينية الجزائرية، فما كان له أن يشذّ عن النّسق العامّ الذي انتظم سيرورة التفكير الأدبي الجزائري خاصّة بتميّزاته الجغرافية في العهد التركيّ ونحسب أن فئة المتصوّفة قد كانت تعكس في أعماق انطباعاتها الثقافية وجهة سياسية بالغة الأهمية، فانقطاع الصوفي الجزائري عن الظّهور السياسي، هو في نظرنا ضرب من العزوف المقصود عن المشاركة في تأييد الموقف السياسي التركي الذي غالبا ما كان لا يتفاهم مع المكوّنات الروحية الثقافية للبلاد ، حيث طغى النشاطان العسكري والسياسي

[1] - عبّر الأخضري عن هذا الاحساس بقوله: فأبصروا معجزة القرآن واضحة بساطع البرهان.
ينظر: الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 717.

وهو الأمر الذي أوحى للمؤرّخين أن يسمّوا الدايات الأتراك في الجزائر بالطّغاة وعديمي الحرية [1].

واجتمعت للذّات العربية الإسلامية في الجزائر على العهد التركي كلّ الأسباب التي تنتج الأدباء والمفكّرين حيث صارت أكثر مناسبة لنشوء التفكير الانتقادي الرافض لمعطيات الواقع وتلك هي الأدوات الناجعة التي تنهض عليها الرؤية الأدبية فالأديب أو اللّغوي غالبا ما يستثمر قوة طاقة المقاومة من أجل تكريس حس الانطباع والتّعبير الذي غالبا ما يقود إلى إنشاء الحسّ الأدبي، فالمحمول الثقافي الذي تبلور في شكلّ التعليم الأدبي الذي هو ذاته التعليم اللّغوي سرعان ما تلاءم مع منهج التعليم المنظوم أي حمل المعارف والأفكار عن طريق نظمها في الأراجيز، فالوقت أكثر مناسبة لهذا النّمط من التلقين حيث يسود القلق ويسود الارتحال وعدم الاستقرار.

وكان في منهج عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) أن يترعرع ناهلا من التعليم العائلي فجدّه محمد عامر كان فقيها عالما أديبا لتتوالى الطبيعة الثقافية في والده الصغير محمد بن محمّد فكانا معا يتناجزان في صياغة المنظومات، وقد كانت منطقة الزيبان والحواضر العلمية مساحة خصبة يترعرع فيها هذا العالم الشابّ الذي يستحوذ على خصال الدين والعلم معا، لقد كانت خارطة العلم والمعرفة أكثر انسجاما تتراءى أبعادها المتكاملة بين حواضر الجزائر وجوامع تونس وهي مسالك غالبا ما يسترشد بها الساعون إلى قضاء مناسك الحجّ، فتكون الدّور والمعالم والحواضر محطات تنشط في مناسبات بعينها تتلاقح خلالها الأفكار وتتلخّص فيها التّجارب على اختلاف مشاربها البيئية والسياسية.

ولعل الذي يفسّر مدى ارتباط عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) بانتهاج النهج الفقهي العلمي الجامع بين المعارف الفقهية المنطقية وبين علوم اللّغة العربية هو

[1] - ينظر: تاريخ أفريقيا الشمالية، شارك أندريه جوليان، تعريب: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ج:2، ص: 374.

اختصاصه بمقارعة أفكار الدّجاجلة وهو منهج التمدرس العائلي الذي تشرّبه الأخضري أبا عن جدّ.[1]

ولاشكّ في أنّ بين الأدب عامّة وفنّ البلاغة خاصة وعلى أخصّ تقدير علم البديع الصلة المعرفية والانفعالية الوثيقة، فالحسّ الشاعريّ كان على فترة عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) سبيل للمناجاة وسرد الهموم الشخصية ، ورسم الآفاق التي يراها الشّخص ، لذلك فإنّ الأخضري (ت.983هـ) قد ظلّ يختصّ في تأليف المنظومات الشّعرية التي تدور في مجملها حول موضوع الذّات والنّفس ومختلف الروحانيات، أي بممازجة الأفكار الروحية الفلسفية والمنطقية ، ولعلّ من أهمّ ما نقوى على استخلاصه من هذا المسار هو تمتّع الأخضري (ت.983هـ) بالمعرفة الروحية المنطقية مستعينا في المجالين بالمنطق والتّصوّف.

وقد استرعى تفكيرنا مدى انخراط الأخضري (ت.983هـ) في سلوك ذات المسالك النظمية التي عادة ما تنتهج في كتابة الشّعر الصوفي نعني بذلك قوله قصيدة القدسية على إيقاع وزن البسيط: "مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن" الذي يمتلك أجواء توقيعية ترقيصية مزهوة تحيلنا على سياق تقصيدي تاريخي رائد مثلما عرف على يد كعب بن زهير ثمّ البصيري فأحمد شوقي في معارضته لهذه الأجواء التشعيرية الصوفية المديحية المشهورة.

وقد اجتمعت لعبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) جملة من الخصال والخلال أهّلته إلى بلوغ المرامي النظرية اللاّزمة لممارسة التفكير البلاغيّ العميق، حيث جمع بين التعليمية والإبداع بين الدّرس اللّغوي وفق التقاليد المعرفية التي كانت سائدة إبانها وبين مقتضيات الأدبية واللّغوية التي يحتاج إليها كلّ علم من أعلام الأدب في تأثيث نظريته اللّغوية، لذلك واستئناسا بهذا المنهج الذي رأيناه جامعا بين التعليمية والإبداع بقي الأخضري (ت.983هـ) يفصح عن مكوّناته المنهجية منذ أن يقول في بداية المنظومة البديعية:

[1] - ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:1، ص:507.

الحَمْدُ لِلَّـــهِ البَدِيعِ الهَـــادِؤِي إلى بَيَـــــانِ مَهيعِ الرَّشَادِ[1].

فالسرّ إذا يكون من المبدئيّ راسيا في جوهر الطاقة الروحانية التي خلق اللّه عليها الإنسان الشاكر لأنعم ربّه، وقد دلّت على ذلك مقولة: مهيع الرّشاد .

ويتّضح لنا انطلاقا من هذا التّأسيس الروحي للمزاولة اللّغوية في إطار التبصر البياني البديعي أنّ عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) يصدر عن حسّ روحي مفعم بالشّكر التعبّدي والعرفان وهما الطاقتان القائدتان إلى التنوّر بالرؤية الربانية، فالفراسة التي يرى بها المؤمن أسرار الخالق هي في ذاتها قبس من أنوار اللّه التي يغمر بها قلوب عباده الصالحين، وهنا يتراءى لنا مليا كيف أنّ الروح الصوفية قد استعان بها الأخضري (ت.983هـ) في ريادة هذه المعارف اللّغوية الممزوجة بالمعرفة الإسلامية، فالمهيع هو السبيل والرشاد هو السّداد، ونظن أنّ الأخضري (ت.983هـ) يعني هنا الرشاد القائد إلى المعرفة الحقانية أي تلك المعرفة التي تطمئنّ إليها قلوب المريدين.

ونستطيع أن نقويّ سياقنا التحليلي هذا بالرجوع إلى مصادر المعرفة اللّغوية العربية منذ الجاحظ (ت.255هـ)، فالذي يقرأ "البيان والتبيين" قراءة تأملية تدبرية تستطيع أن يقف على كثير من معالم التأثر المذهبي أو المدرسي أو الفلسفي هي ذاتها التي خوّلت للجاحظ (ت.255هـ) الموسوم بالاعتزال أن يتنازل عن صرامة التفكير المنطقي ليقول حاكيا عن عامر بن عبد قيس: "الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللّسان لم تجاوز الآذان"[2].

كما أنّ الإخلاص في التّواصلين المعرفي والروحي سبيل راسخة في توطيد المعرفتين الروحية واللّغوية، ولنا في هذا السياق التداولي شواهد فكرية ونقدية نستطيع توثيقها مرجعية منهجية في موضوع خصائص الرؤية اللّغوية في تفكير عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) اللّغوي، حيث توطّدت الحميمية بين المعلّم وبين المتعلّم لتكون الأبعاد التواصلية الراسخة في مثل هذه المعارف الأدبية الجامعة بين التّدين واللغّة، وقد اجتهد العرب القدامى كثيرا في توضيح هذا السياق التّداولي حيث ذهب الجاحظ

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون ص: 717.
[2] - البيان والتبيين، الجاحظ، ج:1، ص: 61.

(ت.255هـ) إلى تشخيص العلاقة بين المرسل والمتلقي حين قال: "إنّك إن أوتيت تقرير حجّة اللّه في عقول المكلّفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشّواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب، واستوجبت على اللّه جزيل الثّواب"[1].

3- منهج منظومة البديع:

يبدو أن الأخضري (ت.983هـ) شديد العناية باحتذاء مشايخه الذين سبقوه في تعاطي علوم اللّغة العربية، لذلك فهو يحرص على ذكر الثلاثة فنون: علم المعاني، علم البيان، ثمّ البديع، وهي الفنون المقترنة في سياق المعارف اللّغوية الاقتران المنهجي فلا يستطيع أحد أن يتكلّم عن حقل من الحقول الثلاثة دون اكتمال دائرة هذه المعارف مجتمعة.

وقد صادف الأخضري (ت.983هـ) في طبيعة منظومته اللّغوية أسلوبا تصنيفيا لموضوعات البديع هي الجديرة بتفصيل الدرس البديعي، منها أنّه عنون مدخلا لفنّ البديع أسماه الفنّ الثالث يأتي بعد فنين من فنون البلاغة العربية هما: الفنّ الأوّل في علم المعاني، والفنّ الثاني في علم البيان، وهو إذا يتوجّه هذا التّوجّه في تقسيم المؤثرات اللّغوية في الأساليب الأدبية إنّما ينزع إلى تبيان المؤثرات اللّفظية والمؤثرات المعنوية، فالتشاكل الحاصل بين طرفي اللّفظ والمعنى هو العامل الحاسم المستملي للصيغ والأساليب، والأخضري (ت.983هـ) إذ يسبّق العلمين أو الفنين السابقين علم المعاني وعلم البيان، إنّما يجنح في كثير من المناسبات الدرسية لإمساس القضايا اللّغوية ذات الصلة المباشرة بعلم النّحو عندما يتكلّم على مسائل الإسناد، ومتعلّقات الفعل[2]، غير أنّ الأخضري (ت.983هـ) يداخل جملة هذه المعارف اللّغوية الجامعة بين الغرضين: غرض التفكير، وغرض التعبير البلاغي المائل إلى جهتي الفنّ والجمال، ويذكر ثمّة

---

[1] - البيان والتبيين، الجاحظ، ج:1، ص: 81.

[2] - ينظر: الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 724،725.

عاملا حاسما يدرجه البلاغيون فصلا مميزا لوجهتي الدلالة، الدلالة المنطقية والدلالة الأدبية نعني بذلك موضوع القرينة المفيدة تأدية المراد باللّفظ الأنيق.

ويكرّر الأخضري (ت.983هـ) دلالة النكتة باعتبارها المقياس الدلالي الأوثق لدى الكلام على لغة الأدب الاستطرافية: لنكتة ونية السؤال[1]، وليست البلاغة التي هي الوسيلة المنتهجة في توقيع الدلالات الأدبية المستطرفة إلاّ غاية ذلك التلاحم ما بين وجهتي الائتلاف بين المتخيل والملفوظ ففي خلال تفاعل الجانبين التمعين والتلفيظ تتوافى آليات بناء لغة الأدب سواء أكان شعرا أم نثرا، حيث يولج به الخاطر إلى اللّسان موزونا منّسقا الاتساق الذي يلبي حال الانفعال بالأفكار والقيم [2]التي ترتئيها نفسية الذات المبدعة، أي الذات المنشئة للأساليب والعبارات الأدبية بما يمكن أن يندرج تحت أثر فنّ البديع المنتجة لضروب الترتيبات والوضع[3].

ولعلّ شيوع اعتماد أسلوب النظم في تبليغ الدّرس اللّغوي في الجزائر على عهد التركي عائد إلى مطالب موضوعية من أهمّها اتّصاف المرحلة بممارسة التعليم سبيلا إلى تثقيف الأجيال، ثمّ كون الوسائل التعليمية لتلك المرحلة قد كانت تتطلب اعتماد أساليب التحفيظ والتلقين عملا على ترسيخ المعارف اللّغوية بما يوافق وظيفة الكتاب والجوامع والزوايا الجزائرية، فالارتحال كان طبيعة حياتية راسخة في سير العلماء ورجال المعرفة وبذلك فقد كانوا يستأنسون بالمحفوظات سبيلا لتخريج طلبة العلم من فقه وشريعة ونحو وبلاغة ومختلف حقول الدرس الأدبي، لذلك فقد ألفينا الأخضري (ت.983هـ) يشهد له ببراعته وتفوّقه في تعاطي نظم العلوم والمعارف وارتجازها[4] على اختلاف مشاربها المعرفية.

ويبدو أنّ الأخضري (ت.983هـ) كان متّصفا بخصوصية سلوكية أو معرفية جديرة بأن تؤهّله للريادة والظّهور بين أقرانه فبالرغم من اتّصاف المراجع الأدبية والتاريخية على أنه كان تكتنفه أجواء التصوف والزهد، إلاّ أنّه كان يمقت الرهبانية

---

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 726.
[2] - ينظر: منهاج البلغاء، ص: 208.
[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 209.
[4] - ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد اللّه، ج:1، ص: 509.

والتقاعس والحياة السلبية التي تقعده بمعزل عن الحركة الاجتماعية، لذلك وانطلاقا من مختلف الشهادات التي أوردها المؤرخون العرب والجزائريون على السواء، فإنّه يكون قد استفاد من التصوف طاقته الروحية في التصوّر والتّأمّل والتخييل وهي جميعها أدوات يحتاج إليها الأديب الشاعر من مثل عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ)، حيث كانت نبرته الشعرية تتّسم أبدا بالمسحة الرومانسية أو لنقل الصوفية العاشقة لجمال الكون والمتعبّدة بمختلف أساليب التفكر في آيات اللّه، فهو إذا لا يتوانى في استدعاء معجمية لغوية تؤكّد هذا الذي ذكرنا من أمور التخييل، والتعشّق، والتّحبّب، والرسم، والشغف، والطّلل، والجلالة، الشواهد، الزيارة، وليس هذا السياق بمستغرب لأنّ الأخضري (ت.983هـ) شاعر صوفي متفتّح على واقع الحياة وليس بمنقطع عنها.

كما نجد أنّ عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) يداخل في تدوير الكلام على الفنون الثلاثة باعتماد مدخل هو طبيعي إذا ما نظرنا إلى السياق التاريخي للمعرفة التي انتظم عليها فكر الأخضري (ت.983هـ)، حيث ثبت في منهج علماء الأندلس والمغرب العربيّ، حيث يتموضع الأخضري (ت.983هـ) أن يوردوا مدخلا يسلكون فيه سبل الإبانة عن الأغراض والدّوافع الروحية والأخلاقية، التي أهّلتهم إلى مزاولة هذا النمط من التّأليف، وهي -أي المقدّمة- لا تخلو من التواضع ومديح الرسول صلى اللّه عليه وسلّم ثمّ الإتيان على ذكر مكارم لغة القرآن الكريم، والأخضري (ت.983هـ) لا يتوانى في أن يشير إلى طبيعة تسييره لهذه المعارف اللّغوية فهو يوضّح اعتماد وسيلة التدوين :

وَاللهِ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ نَافِعَا لِكُلِّ مَنْ يَقْرَؤُهُ وَرَافِعَا[1].

يبسط الأخضري (ت.983هـ) مقدّمة يداخل فيها منهج تداول المعارف اللّغوية التي سترد في المنظومة الأخضرية، حيث يعتمد مناطات تقعيدية تتوزّع وفق ما يلي:

فصاحة المفرد، مفهوم الكلام، مفهوم البلاغة الذي يقتضي مطابقة الكلام لمقتضى المقام، أي لسان الكلام ولسان الحال، ثمّ يلخّص الأخضري (ت.983هـ) مجموع هذه الاهتمامات بقوله:

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 718.

وَمَا بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الكَلَام تُعْرَفُ يُدْعَى بِالبَدِيعِ والسَّلَام .[1]

لقد أورد عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) تنبيها ضمنيا أشار فيه إلى كونه ينتمي إلى مدرسة البديع العربية المشرقية نعني بذلك انتهاجه سبيل تلخيص المفتاح الذي هو للخطيب القزويني (ت.739هـ):

وقَدْ دَعَا بَعْضٌ مِـنَ الطُّلَّاب لِرَجْزٍ يَهْدِي إِلَى الصَّـــوَاب.
فَجِئْتُهُ بِـرَجْزٍ مُفِيـــــد مُهَـذَّب مُنَقَّـــحٍ مُفِيـــــد.
مُلْتَقِطاً مِنْ دُرَرِ التَّلْخِيـص جَواهِراً بَدِيعَـة التَّلْخِيـص.
سَلَكْتُ مَا أبدى مِنَ التَّهْذِيب وَمَا أَلَوْتُ الجُهْدَ فِي التَّهْذِيب[2].

فواضح من جراء استقصاء المرامي النقدية التي يتبعها الأخضري (ت.983هـ) أنّه يعوّل مليا على مواصلة الأساليب الدراسية العربية في علوم اللّغة العربية، والذي يراجع تلخيص المفتاح للقزويني (ت.739هـ) سيقف على المعالم ذاتها التي انتهجها الأساتذة السابقون في علوم اللّغة العربية[3]، لذلك فإنّ مدرسة البديع العربية تتبلور في الرؤية الدرسية الموحّدة، حيث تتكامل فيها الجهود، وتتلاقى فيها المعارف بالكيفية التي ربّما لا نصادفها في باقي علوم اللّغة العربية الأخرى، ولعلّ الذي يجدر تبيانه هنا هو اهتمام علماء اللّغة العربية بتقديد النّظر في الآليات التي تضبط تواشج علوم اللّغة العربية من بيان ومعان وبديع حيث اجتهد القزويني في القول: "مقدمة في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في المعاني والبيان"[4].

كما تتوحّد الرؤية المنهجية للدرس اللّغوي لدى علماء البلاغة العرب منذ نشأته عبر رؤية درسية ظلّ الالتزام بمبادئها جوهر العمل النقدي والفلسفي، من ذلك توحّد جلّ المساهمات الدرسية في مسألة التسمية حيث يصطلح الجميع على تسمية الوظيفة اللّغوية في أبعادها الأدبية البلاغية الإبداعية بمصطلح الفنّ مثلما أشار إلى ذلك عبد القاهر

[1] - المصدر نفسه، ص: 718.
[2] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص:718.
[3] - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج: 1، ص: 52.
[4] - المصدر نفسه، ص:9.

الجرجاني (ت.471هـ)[1] حين قال بالمعاني الموجودة في طبيعة الإنسان فهو جدير بأن يتفهّمها وينفعل بها ومرجع ذلك كلّه إلى فنّ القول، فهي أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها.

ولعلّ من أرسخ أساليب تسيير الأخضري (ت.983هـ) للمواضيع اللّغوية التي تضمّنتها منظمته الثلاثية أي في الثلاثة فنون كفاءته في الإلمام بتقديم فصول مواضيع البلاغة العربية، وفق أبوابها المعتمدة لدى أعلام علم البلاغة العربية، وتبعا لهذه الإحاطة بتجدّر جلّ الموضوعات الدّرسية المتّفق عليها في تاريخ البحث البلاغي فإنّ الأخضري (ت.983هـ) يسلك سبيل تقديم الموضوع الرئيس أوّلا ثم يشفعه بالتفريعات والتفاصيل التي تبين عن مدى كفاءة الأخضري في الأستاذية اللغوية، من ذلك أنّه يأتي في كلّ مقدّمة للفنّ من الفنون اللّغوية الثلاثة بذكر عموم ما يشتمل عليه حقل الدرس في الموضوع البلاغي المقصود تبيانه ثمّ يعرّج على تسطير الموضوعات البلاغية التي سيفصّلها في المنظومة لاحقا، وذلك كأن يقول في تقديم علم البديع معرّفا لماهية هذا الفنّ الطريف:

وَمَا بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الكَلَام ... تُعْرَفُ يُدْعَى بِالبَدِيـــعِ والسَّلَام.
ثُمَّ وُجُوهُ حُسْنِهِ ضَرْبَـــــان ... بِحَسَبِ الأَلْفَاظِ وَالمَعَانِـــــــــي[2].

والذي يتفحّص طبيعة نظم المعارف البديعية التي أوردها الأخضري (ت.983هـ) في هذا التقديم المنمّ عن براعة في السيطرة على بسط أسباب التعبير النّظمي غير المخلّ بما يقتضيه الإلمام بالمعارف البلاغية المتعارف عليها في الدّرس اللّغوي البديعي، فهو في هذه المقدّمة المنظومة يسطّر المرامي النّظرية العامّة حيث يرجع كلّ أسباب التحسينات البديعية إلى وجهتين دلاليتين هما الوجهة اللّفظية، والوجهة المعنوية، وهو الثابت الراسخ الذي لا يمكن لدارس محدث أن يحيد عن مبادئه المنهجية، وليس من وجهة بلاغية قاضية بتحسين الكلام البليغ سوى وجهتي: اللّفظ والمعنى، فأمّا اللّفظ فما تزال معارفه دائمة السيران منذ القديم إلى أيام حداثتنا هذه، وكذلك شأن المعنى فهو حقل معرفي ما فتئ

[1] - ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، ص: 20، 21.
[2] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 731.

يتواصل في المعارف اللّغوية القديمة والحديثة معا، ويثرى بثراء الرؤيتين الفلسفية والتطبيقية.

4- أساليب التحسينات البديعية اللّفظية:

لعلّ لغة التّحسينات مثلما أسماها علماء البلاغة العربية خاصّة منهم أصحاب البديع [1] تختصّ بإصابة بنيات لفظية معيّنة دون أخرى، وفنّ التوقيعات اللّغوية البديعية مرتكز في كثير من جوانبه اللّفظية التحسينية على هذه الخاصية التي تتصل بالوظيفتين اللسانية السماعية، فقد أشار أهل البديع إلى نكتة هذا الجانب العزيز من الاستعمالات اللّغوية الشّعرية حين قالوا: "واعلم أنّ من الكلام ما يستعمل بعض أبنيته دون بعض، مثل: التّعاطي، واستعمال الألفاظ العربية دون الحضرية، فإنّ الشّيح والثّمام في الشّعر أحسن من الخوخ والرمّان"[2]، إذا فإنّ للوظيفة الدّلالية، والخصائص التركيبية أهمية بالغة في تقدير الأبعاد التشعيرية للغة الشّعر، أو الأدب عامّة، ومصداقا لهذا التوجّه اللّغوي اللّساني أو الدلالي المخصوص، ألفينا الأخضري (ت.983هـ) يثبّت آراءه البلاغية منطلقا ممّا يقتضيه جانب اللّياقة اللّفظية، هذا فهو- أي الأخضري (ت.983هـ)- يعوّل على المرجعية الصوفية باعتبارها العامل الحاسم والحقل الوظيفي الذي خيّم على الأدبية العربية في المغرب، وبالتحديد الذي ظلّ يملي خصائصه الأدبية على مشايخ الأدبية الجزائرية خلال العهد التركي، والأخضري (ت.983هـ) لا يتوانى في أن يضرب المثل تلو المثل مرتكزا على الفلسفة الصوفية في تفهّم الأبعاد اللّفظية والدلالية للغة الأدب مثلما يقول في تحديد حقول الدلالة:

وَذَاتُ مَعْنَى ثَابِتٍ بِحِسٍّ أوْ ... عَقْـلٍ فَتَحْقِيقِـــيَة كَذَا رَأَوْا.

كَأَشْرَقَتِ بَصَائِرُ الصُّوفِيَــة ... بِشَمْسِ نُورِالحَــضْرَةِ القُدُسِيَة[3].

---

[1] - لعلّ عبد الرحمن الأخضري لا يشذّ عن السياق التاريخي لتطور علم البلاغة العربية، فهو يتمدرس مستوثقا بالعلماء العرب وخاصة منهم المغاربة في اعتبار الوظيفة البديعية وظيفة تحسينية للغة التعبير الأدبي خاصة منه الشّعر، فقد ذكر حازم القرطاجني هذه الحقيقة حين قال: بالاجتهاد في بذل قوى التّحسين. ينظر: المنهاج، ص:321.

[2] - البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، ص: 416.

[3] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 730.

فالإشراق والنورانية والحضرة القدسية، هي معالم يهتدي بها الصوفي في تحديد الأبعاد الدّلالية للغة الأدب، وليس ثمّة أفضل من هذه الأجواء الأدبية الكفيلة باكتناف بلاغة التعبير الأدبي، خاصّة حينما يتعلّق الأمر بلغة الشّعر الذي يمتزج الامتزاج الكامل والوظيفي الفني والجمالي بالدّلالات الأدبية الصوفية، وبالرّغم من تكرير الأخضري (ت.983هـ) لاعتماده المرجعية سبيلا لرؤية العالم والكون معا وتفهّم الحقائق الربانية في تدبّر آي اللّه التي فطر الإنسان عليها، فإنّه-أي الأخضري (ت.983هـ)- ما ينفكّ يسترشد بالوازع العقلي باعتباره الإطار المنطقي الذي يوحّد حقيقة الوجود حين يميّز بين المجاز الوظيفي الهادف الدّالّ وبين المجاز الذي لا ينتهي إلى سبب من أسباب الحياة باتّفاق العقلاء[1].

ولعلّ من أوفى مبالغ المنهج اللّغوي لدى عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) هو حديثه في مواضيع فنّ البديع عن التحسينات البديعية اللّفظية، فاللّفظ في الوظيفة اللّغوية عامّة أمر أساسي وحاسم، فبدونه لا يمكن تبلور الدّلالة وكذلك نحسب الجاحظ (ت.255هـ) قد عني بقوله: "والصوت هو آلة اللّفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التّأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلاّ بظهور الصوت، ولا تكون كلاما إلاّ بالتقطيع والتّأليف"[2].

وسواء أكان هذا الصوت المنشئ للفظ اللّغوي مكتوبا أو ملفوظا، فهو الذي يسترعي انتباه المتكلّم أولاً أو السامع ثانيا، حيث ينزع كلّ من اللسان اللّافظ والأذن المستمعة إلى تذوّق أساليب التعبير اللّغوي وفقا لقيم الاستخفاف والاستثقال، ومراعاة مبادئ توزينات كلّ من الفصاحة والخطابة والبيان العربي، وإنّ في إشارة الجاحظ (ت.255هـ) إلى الربط بين الصوت واللّفظ توضيحا لأواصر التراسل الدلالي أو الفني

---

[1] - ينظر: الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 731، ولا ينفكّ الأخضري (ت.983هـ). يؤكّد في سياق توالي أبيات المنظومة على ضرورة احترام القياس العقلي باعتباره المرجع الحاسم الفارق بين الوظيفي والعبثي اللاّمجدي خاصّة وأنّ الأخضري (ت.983هـ) ينحى منحى منطقيا قياسيا على شاكلة حازم القرطاجني في تصنيفاته البلاغية حين يقول: في الفنّ تقديم استعارة على تشبيه أيضا باتفاق العقلا ص:731.

[2] - البيان والتبيين، ج:1، ص: 58.

الجمالي بين الوظيفة اللّغوية كونها مادّة إنسانية للتّواصل بالإضافة إلى كونها وسيلة ترفيه وفنّ وجمال للنفس البشرية جمعاء.

كما أنّ للاسترشاد بالأخلاق الإسلامية الهادية إلى تحصيل المعارف الأدبية معالم دلالية يزدهي بها الخطاب البلاغي في التفكير اللّغوي لدى الأخضري (ت.983هـ)، فالرشاد، والهداية، وسطوع شمس البيان في الصّدور، والإبصار بالحجّة القرآنية البالغة، وسطاعة البرهان، هي من أجل المراجع الانفعالية والروحية التي تقوم عليها المعرفة اللّغوية لدى الأخضري (ت.983هـ).

5- أسرار المعارف القلبية:

لاشكّ أنّ في طبيعة التّواصل اللّغوي قيمة روحية تتجاوز الأبعاد المادية للظاهرة اللّغوية، هذه القيمة الروحية هي التي تعتمد في تنشيط القيم الدّلالية للوظيفة اللّغوية، والذي يراجع نظريات فقه اللّغة العربية يستطيع أن يستشفّ مدى عمق روحانية اللّغة لأنّ هذه المرجعية غالبا ما يحتكم إليها في ضبط آليات الدّلالة اللّغوية من ذلك قولهم بإخراج الكلام مُخْرج ما قد استقرّ في النّفوس[1]، وكذلك هم يحيلون على شاهد الحال[2] من أجل ضبط آليات الاستدلال باللّفظ على المعنى المقصود.

ويعوّل أدباء الصوفية على إرجاع كلّ القيم الأدبية إلى مرجعياتها النفسية والشعورية فالكلمة "إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللّسان لم تجاوز الآذان"[3]، لأنّ من شأن التّلطّف في ترقيق اللّفظ أن تتخرط الذّات المنشئة في مجاذبة الأساليب بعد أن اجتمع للنّفس كلّ أسباب الانطباع والارتجال ومناقلة الكلام حيث ينبسط القلب لتجريب التّآليف على اختلاف موازينها وتنوّعها، فالنّظم بخلود الفكر إلى التّأمّل، هي من أقوى دواعي الإبداع التي يعدّ البديع أحد مظاهرها الفنية الجمالية.[4]

---

[1] - ينظر: الخصائص، ابن جنّي، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، ط:2، 1983، ج:1، ص: 19.
[2] - ينظر: المصدر نفسه، ج:1، ص: 19.
[3] - البيان والتبيين، الجاحظ، ج:1، ص: 61.
[4] - ينظر: مقدمة في صناعة النظم والنّثر، شمس الدين محمد بن حسن النّواجي، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص:39، 40، 41.

وتتمثّن الثقافة الأدبية على عهد عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) بما سبقها خلال القرون الأولى التي أورد ها أبو العباس الغبريني في كتاب "عنوان الدراية"، حيث تحفل تلك الفترة التي تؤسّس للعهد التركي في الجزائر بغزارة النتاجات الفكرية واللّغوية والأدبية بالقدر الذي يمدّ مرحلة عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) بالمعين الطيب الذي يكفل لأعلام المرحلة مواصلة الاجتهاد في طلب مختلف مظاهر الإبداع وقد تكون الإشارة إلى "أبي محمد القاسم الأنصاري" صاحب "المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع" كافية للاستدلال على أقدمية الاهتمام بالدرس البديعي مثلما يكون توافقهما -أي الأخضري (ت.983هـ) والسجلماسي- في النزعة الصوفية مدعاة لاستخلاص سمات سيرورة التكامل التاريخي بين جيل عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) وبين الأجيال الأدبية واللّغوية والفكرية التي تتلمذ على معينها الأخضري (ت.983هـ) لاحقا.

كما شهدت المرحلة الأدبية في العهد التركي ثورة على مستوى كلّ مناهج المعرفة منها فنّ البديع، وقد برع أهل المغرب قاطبة في الاعتناء بهذا الفنّ من بلاغة الأدب العربي حتى صارت لهم المكانة المرموقة التي تحتذى وتُنتهج، وكيف يغيب عن عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) تآليف "المنزع البديع للسجلماسي"[1]، "والروض المريع في صناعة البديع"، و"منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجنّي؟[2].

ولاشكّ في أنّ الثقافة العربية الأندلسية آدابا ولغة كانت قد هاجرت مع ما تبقى من العلماء بعد سقوط غرناطة، ولعلّ من الاستراتيجيات الضمنية التي كانت تتوخّاها الذّات العربية المهاجرة هي العمل على استنقاذ الرصيدين الأدبي واللّغوي الذي توصّل إليهما التفكير العربي الإسلامي في المجتمع الأندلسي، لذلك فإنّ من الطّبيعيّ جدّا أن تتواجد في ثقافة الأخضري (ت.983هـ) السيرورة الثقافية ذاتها التي انتقلت مع أعلامها إلى الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسّط، وقد توثق هذا المسعى وتوطّد نظرا لكون الثقافة المغربية عامة والجزائرية خاصّة، على تلك الفترة من سيرورة التاريخ العربي الإسلامي

---

[1] - ينظر: عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، أبو العباس الغبريني ، تحقيق: عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر بيروت، ط:1، 1969، ص:359.

[2] - ينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبي القاسم الأنصاري السجلماسي، تحقيق: أمجد الطرابلسي مكتبة المعارف، المغرب، ط:1 ، 1980، ص: 12، 13.

قد دأبت على ثقافة المتون والمنظومات، وتلقين المحفوظات واحترام آليات ثقافة المشيخة التي لها ضوابط منهجية وأخلاقية لا تستطيع الانفكاك عن اتّباعها، لذلك فلا غرابة في أن تجتمع عدّة مؤثّرات في تشكيل ثقافة الأخضري (ت.983هـ) الفقهية واللّغوية والأدبية فهو بذلك يلخّص مجموعة من التجارب الثقافية واللّغوية العريقة حيث قضى حياته في التعليم والكتابة والتلقين.[1]

وقد سقنا قبيل هذا الموضع من هذا البحث مقولة الجاحظ (ت.255هـ) التي يؤكّد فيها على ضرورة التمسك بالكوامن الروحية في تبليغ أم تفهّم كثير من القضايا الأدبية وذلك عائد إلى تلك الحميمية من وسيلة لتقريب الأذهان، وتساهم العقول، وتراسل الأرواح، ففي توحّد الكيانات سبيل واضح إلى تقوية سبل التفاهم، والتناجز، والتوارد ونرى أنّ هذا الذي نحن الآن نجتهد في ثبت دلالاته من العوامل التبليغية المساعدة على تقوية التفاهم بين المتخاطبين، إنّما هو واقع في صميم الوظيفة البديعية، فالبديع في حدّ ذاته فنّ تعبيريّ لغوي يرقى إلى طبيعة المخاطبات المألوفة ، وتتقوى فيه هذه الخاصية البلاغية وتتركّز حتّى يغدو قريبا من الوظيفة السحرية بالكنايات والتلويحات والإيماءات والإشارات التي عادة ما تستحلى في الأساليب الأدبية الراقية، لذلك وانطلاقا من هذا الفهم فإنّ التعبير اللّغوي البديعي باعتماده كلّ هذه الطاقات الروحية الغنية بالثراء الانفعالي والنفسي والشّعوري، يصير ضربا من الطاقة السحرية التي يمارسها الأدباء وخاصة منهم الشّعراء حين يخرقون المألوف، ويطالون المستغرب والمستبعد عبر علاقات لغوية مجازية لا يستطيع تحمّلها من الوظائف اللّغوية سوى ما كان منها واقعا تحت تأثير آليات التعبير اللّغوي البديعيّ بادّعاء الخوارق.[2]

ثمّ إنّ في التعبير اللّغوي البديعي مناسبات تعبيرية تصادف فيها السياقات اللّغوية التعبيرية من الشجاعة والاسترسال والانطلاق لطول القيم التعبيرية التجريبية أي الانشائية البالغة الحساسية، بحيث يمثل الحيّز السياقي الفرصة الأنسب من أجل تشجّع التعبير للانطباع بالأساليب والتعابير الجديدة الطريفة، أي تلك التي لم تبلغها الألسنة سابقا ولا

[1] - ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:1، ص: 507، 509.
[2] - ينظر: محاضرات في علم المعاني، محمد بدري عبد الجليل، مكتبة كريدية، بيروت، ص: 15، 16.

يمكن للغة أن تنبي هذا الانبناء الإنشائي التجريبي إلاّ ببلوغ اللّسان اللّغوي درجة من الانفعال أو التفاعل البالغين وهو الذي أسماه القدماء شجاعة العربية[1]، وليست اللّغة الأدبية في نهاية المطاف سوى تلك الصيغ والأساليب التعبيرية التي تقارب مشاكلة القيم الانفعالية التي يشعر بها المنشئ، فيحاول الانبصام بها في مكونات الخطاب الأدبي عن طريق توقيع الأساليب، وتوزين العبارات بالكيفيات التي يرى هو -أي المنشئ- أنّها كفيلة بحمل المعنى وإبرازه إلى الفكر أو الوعي لأنّ "الانفعال الكامن في بعض الصيغ والعبارات والاشتقاقات لهي المنهل الأساس الذي تنهل منه"[2].

وتسلك لغة البديع سبيل هذا التشاكل اللّفظي والدّلالي ولعلّنا لا نغالي إذا ما قلنا: إنّه "إذا وجب لمعنى أن يكون أوّلا في النّفس وجب للفظ الدالّ عليه أن يكون مثله أوّلا في النّطق"[3].

وتجتمع كلّ المبرّرات اللّفظية والمعنوية من أجل توثيق أواصر التشاكل أو التراسل بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المتأوّل، والذي لا يستطيع مقاطعة سياق الدّلالة التي يمكن أن تجتمع عليها قلوب المستمعين لذلك وتوثيقا لعرى هذا التّواصل الدّلالي بين اللّفظ والمعنى، ألفينا أهل البديع من أمثال الأخضري (ت.983هـ) يولون الأهمية البالغة لترسيم الدّلالات المجازية أي تلك المعاني الأدبية القائمة على الانحرافات البلاغية التي يحتضنها علم البديع حيث لا يتحقق ذلك إلاّ بتقييد الخطاب بالحال.[4]

إنّ الأعرابي مبدئيا أو العربي يمكنه أن يبلغ مستوى من النضج اللّساني تقوى على تأهيله إلى ابتكار التعابير اللّغوية الاستجدادية، فالفورة أو حرارة الانفعال بالقول تمكّن اللّسان المعبّر من الطيران أو الحومان، باختراق الفضاءات المرصومة عادة من أجل أن يرفرف في الآفاق البكر التي يكتشفها من خارطة المعارف اللّغوية الطارئة الجديدة، لذلك فقد حفل تاريخ اللّغة العربية بمثل هذه المناسبات التي أرّخت لمثل هذه النزوعات أو

---

[1] - ينظر: الخصائص، ابن جنّي، ج:2، ص: 447.
[2] - الإبلاغية في البلاغة العربية، سمير أوب حمدان، منشورات عويدات الدولية، بيروت، باريس، ط:1، 1991، ص: 37.
[3] - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 43.
[4] - ينظر: إرشاد الفحول ، الشوكاني، ص: 160 .

الفتوحات اللّسانية، فقد روي عن رؤبة وأبيه العجاج أنّهما كان يرجزان ويرتجلان اللّغة ما سبقهما إليها أحد من المنشئن وليس ذلك إلاّ لكونهما تهضّما اللّغة فأصبحا قويين على تشقيق الكلام وارتجال النّحو واختراع القياس الموافق لطبيعة اللّسان العربي[1].

وقد كان التفكير اللّغوي لدى الأخضري (ت.983هـ) قائما على المعايير الروحية قبل العقلية المنطقية مثلما تشخّص في التي يستهلّ بها منظوماته على طريقة مشايخ اللّغة والدين الجزائريين في هذه الفترة، فالعالم الصوفي المتنوّر بنور اللّه يهتدي بمعالم الآيات الربانية التي يبصرها، فهو المستيقن الراسخ في سعيه لا يرجو وراء ذلك مبتغى دنيويا فالقلوب منزّهة عن تلك المطالب الدّنيوية، وهي -أي القلوب- إذا تحرّرت من الغايات المادية أمكنها أن تصل إلى مكامن الروح ، وتستولي على أسباب المكاشفات الكونية الربانية، وتلك هي إذا قوامة التفكير اللّغوي الصوفي لدى عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) لا يستطيع أن ينفكّ عنها كونها المنهاج الذي يسطر كلّ مدارج المعارف التي يرقاها، وإنّ من أهمّ الأسباب الواقفة وراء المطلب المعرفي اللّغوي لدى الأخضري (ت.983هـ) هي: الإبصار بحجة الإعجاز، والإبصار بسطاعة البرهان الرباني، ومشاهدة الأنوار، والسعي إلى مكاشفة الأسرار، وتنزيه القلوب، ورياضة الروح، وتزدان جميع هذه المعارف بعشق صوفي فعّال تتجسد علاماته في حبّ الرسول صلى اللّه عليه وسلّم، ونحسب أنّ كلّ المعارف اللّغوية والأدبية لدى العلماء الجزائريين في هذه الفترة من التاريخ الجزائري الطّويل تمتاز بهذه الخصائص التفكيرية الراسخة، حيث تآلف فيها العقل مع القلب وتواشجت أسباب إعمالهما في التبليغ المعرفي الذي ظلّ حسب اعتقادنا يختصّ بالكتاتيب والزوايا والمساجد كونها الفضاءات الأكثر تناسبا مع هذه الأجواء التعليمية التعبدية المتميزة.

وتتصل المعرفة اللّغوية وفق المنهج الذي وسم التفكير اللّغوي لدى الأخضري (ت.983هـ) بجملة من الوسائط التاريخية والروحية هي القائدة إلى أسباب مدارج العرفان، فالثقافة اللّغوية التي ينهج سبيلها عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) تتميّز

[1] - ينظر: إرشاد الفحول ، الشوكاني ، ج: 1، ص: 369.

بإشارات وإمارات يمكن تلخيصها في ما يلي: إنّ درر البيان وغرر البديع والمعاني يهدي جوهره العرفاني إلى الموارد النبيلة الشريفة، والنبذ الأدبية اللّطيفة، وصولا إلى: علم أسرار اللّسان العربيّ، ومعرفة السحر العجيب الذي تنطوي عليه مهرة إعماله، ولا يمكن تصور حقيقة هذا الأمر إلا بالرجوع إلى القاعدة اللّغوية العربية الإنسانية الفطرية التي تفيد بأنّ لا سبيل إلى إعراب الكلام إلاّ بفهمه أو تفهّمه فالإعراب فرع المعنى، وهو المناط اللّغوي الذي يقوم عليه علم التّأويل والبصر بغريب اللّغة[1].

ولو عدنا إلى جوهر المبدأ أو المبادئ التي نتج عنها الحسّ البديعي في سياق تطوّرات لغة الأدب لألفيناه قائما على الرغبة في تحسين الكلام[2]، فالغاية إذاً فنية جمالية تتعدّى الوظائف الدّلالية المعتادة من علم التصريف وعلم النّحو أو علم البلاغة في مستوياته القديمة، وبما أنّ التحديد والتحديث هما سمتان غالبتان على الوظيفة الدّلالية في حيّز لغة الأدب عامّة ولغة الشّعر خاصة، فقد ألفينا علماء البلاغة العربية يجتهدون في تخريج القيم وإحصاء الأساليب وترسيم المناهج التّعبيرية، لأنّ من شيم العرب أن تحفظ بلاغاتها فالانفعال بالأساليب الطريفة يستحوذ على الاهتمام البالغ في الأعراف الأدبية العربية بالقدر الذي يصيّر كلّ جدّة أو طرافة تقوم مقام الشاهد اللّغوي في أدبية صاحبها.

ويحفظ لنا تاريخ الأدب العربيّ مزية اختصّ بها أعلام البديع العربيّ فهو أي -علم البديع- وإن كان ظهر على يد عبد اللّه بن المعتزّ (ت.296هـ) الشاعر، إلاّ أنّه عريق الهاجس قديم المبدأ، كان قد بدأ ويبزغ بين الخروقات اللّغوية التي ما فتئ المتحفّظون يستبعدون الاعتداد بها في قواعد اللّسان العربيّ المبين من جهة التقديرين المعنوي واللّفظي، ولا يقوى عالم على تحسّس مواطن التوقيعات البديعية، إلاّ إذا كان حائزا على الذّوق الراقي المجرّب الذي يؤهّله إلى تقدير الأبعاد الدّلالية الخفية السحرية لذلك فإنّ عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) مثله مثل عبد اللّه ابن المعتز (ت.296هـ) كان قد جرّب تعاطي لغة الشّعر بكلّ مسوّغاتها الدّلالية والبنائية ممّا مكّنه من ذوق أسراره، وحسب هؤلاء الأعلام أنّهم وإن كانوا لم يبرعوا في كتابة الشّعر وتعاطيه، إلاّ أنّ ذلك

---

[1] - ينظر: الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 718.
[2] - ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص:179 .

التعاطي يكون قد أكسبهم خبرة النّظر، وعمق التحسّس، وسعة أفق النّظر، وقد كان للممارسة الشّعرية عهد عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) أن تبقى هي الوسيلة الرئيسة الحاسمة التي يمكن أن تسعف الذّات الأدبية الجزائرية على هذه الفترة بممارسة اللّغة والتفنّن في إبداع أساليبها، فالمخاطبات البلاغية ظلّت في هذه الفترة متّصلة الاتصال الوثيق بالتّواصل الديني الذي ظلّت بيئتها تحفظ للأخضري (ت.983هـ) وباقي العلماء المناسبات التعليمية والأدبية والخطابية مانحة إياهم فرصة الانطباع الأدبي الملائم لطبيعة هذه الرقعة من العالم العربي والإسلامي على هذه الفترة بالتّحديد ، خاصة وأنّ الأخضري (ت.983هـ) قد ظلّ يجد في الوسط التعليمي الوسيلة الأنجع لتنشيط مهاراته اللّغوية حتى كأنّه الفضاء الأنسب لإبراز المخاطبات البلاغية.

إنّ فنّ البديع بكونه المستوى الراقي في الوظيفة البلاغية للغة الأدب وخاصة منها لغة الشّعر لا يستطيع التفطّن لمظاهره الفنية الجمالية، إلاّ إذا أوتي المتفحّص ذكاء متوقدا ونباهة بالغة تمكنه من الاهتداء إلى أسرار توقيعاته البيانية حيث "يزداد حظوة بين الكلام المرتجل"[1]، فاسم البديع إذا مشتقّ من الخصوصية اللّغوية التي يمتاز بها هذا الفنّ من التّوقيع الكلامي، وهو إذا -أي فنّ البديع- مثلما ورد التعاطي مع ظاهرة التّأريخ لسيرورته البلاغية، أصبح غير مقصود إليه بين الانشاءات والانطباعات اللّغوية التي شقّ سبيلها شعراء مغامرون مجرّبون، لم يجدوا الفسحة الكافية في اللّغة العادية من أجل توقيع أساليبهم اللّغوية الشّعرية، فانبروا يجاذبون هذا المناط التعبيريّ البالغ الحساسية بين مختلف التجارب اللّغوية الأخرى، وهو -أي فنّ البديع- ما فتئ يزداد ويتقوّى بشيوع هذا المسلك اللّغوي الأكثر تناسبا مع ما تحتاج إليه لغة الشّعر الشاعر أي الشّعر الحقيقي، لذلك التمسوا له صيغا تنظيرية تلائم هذا الاختصاص اللّغوي النادر العجيب الطّريف بقولهم: يأتي بين الكلام، ومسلك سبيل، والمحدث.

كما كان البديع في أوليات ظهوره قيمة لغوية نادرة، وتعاطيا لغويا شجاعا ألهم ذوي الحسّ اللّغوي المتطوّع من الشّعراء مزية التجريب والقول خارج دائرة المألوف هذا

[1] - كتاب البديع، ص: 1.

لأنّ من عادة الشّعراء الانفعال بطبيعة الأساليب النادرة الجذابة المستغربة حتى كأنّ هذه الميول التعبيرية هي ذاتها التي وصفها الجاحظ (ت.255هـ) بقوله: "لأنّ الشيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلّما كان أطرف كان أعجب، وكلّما كان أعجب كان أبدع، وإنّما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين"[1].

ولعلّ من أهمّ المؤثّرات النفسية العاملة على استدعاء الأساليب البديعية هي المخاطبات القلبية، فالأدبية العربية منذ نشأتها ظلّت مقترنة مع هذا الشّرط الروحي لا تكاد تتخلّى عنه لدى ابتداع الأساليب التعبيرية المتميّزة، لذلك نرى أنّ التّوقيعات البديعية قبل أن تصل إلى عهد الأدبية العربية الجزائرية في عهد عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) كان قد قدّر لها أن تبعث على أيدي مجموعة من الأدباء الشعراء هم: كبشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبو نواس الذين امتازوا بالمغامرة والتجريب اللّغوي حيث ظلّ هذا الامتياز الشّعري محفوفا بالمكاره والملاحظات النقدية الأدبية التي سعت جميعها إلى إبطال هذا التّوجّه، ولعلّ هذا الذي يسترعي الانتباه لدى الكلام على فنّ البديع في ثقافة الأخضري (ت.983هـ) الموسومة بالتديّن والزّهد والتّصوّف بالنّظر إلى ما لها من جاذبية سحرية لا يمتلك الأدباء الحقيقيون التملّص منها أو التّفلّت من سحر جاذبيتها فدلالة الحال الناطقة بغير صوت تلهم الذّات المنشئة المرتجلة صور الألفاظ وأوزان العبارات لأنّ "الكلام أجناس إذا أتى منه شيء مع غير جنسه باينه ونافره وأظهر قبحه" [2]، لهذا فإنّ الأخضري (ت.983هـ) ومن جاراه في اكتساب حكم التلطّف في مجاذبة فنّ البديع، والذي يتدبّر عجائب التوقيعات البديعية يستطيع أن يقف على حقيقة الخطورة التي تقف عليها بلاغتها لأنّ حدود الاستعارة في البلاغة العربية معلومة محدوسة يستطيع الراسخ في تعاطيها تسطير أبعادها الأدبية، غير أنّ المشكل في فنّ البديع هو انفتاح بلاغة البديع على عوالم إبداعية يكتنفها الغموض والتّلاشي، فقد جاء في التفكير النقدي الأدبي العربي القديم أنّ أبا تمام كان يريد البديع فيخرج إلى المحال فكيف يستطيع أن يترسّم

[1] - البيان والتبيين، ج:1، ص: 65.
[2] - الموازنة، الآمدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، ص: 421.

الحدود الفارقة الفاصلة بين الحالين وهو الذي بات معروفا بالبلاغة، فقد أدخل اللّغة بهذا الصنيع في عوالم التّأويلات البعيدة التي لا يجدي معها التحفّظ والقياس فلا تدرك إلاّ بالظّنّ والحدس.[1]

وقد سعى الأخضري (ت.983هـ) في "الجوهر المكنون" سعي علماء البلاغة العرب الأوائل في تصنيف الموضوعات الدراسية، حيث ظلّت هذه العلوم منذ بكارتها تختصّ بعلم اللّغة العربية فهناك من ينطلق مبدئيا من توثيق المعارف الصرفية النّحوية مثلما سلك السكاكي (ت.626هـ) في "مفتاح العلوم" سائرا بالدراسة النحوية وجهة بلاغية ملحوظة، فهو يبدي العناية الفائقة بالبنية والعبارة والأسلوب، مع تفصيل واضح في الكلام على فلسفة النّحو[2]، وقد أهمل ابن المعتزّ (ت.296هـ) هذا الأمر سابقا مع تركه الباب مفتوحا للاجتهاد والتّطوّع تفريعا لهذا العلم وتفتيقا لثرائه الفني الجمالي حيث قال: "ولعلّ بعض من قصّر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدّثه نفسه وتمنّيه مشاركتنا في فضيلته فيسمّي فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به أو يزيد في الباب من أبوابه كلاما منثورا أو يفسّر شعرا لم نفسّره أو يذكر شعرا قد تركناه ولم نذكره إمّا لأنّ بعض ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره فألقيناه أو لأنّ فيما ذكرنا كافيا ومغنيا"[3].

وإذا فرغ المصنّفون من التأسيس الصرفي النحوي لمداخلة علم البديع، انتقلوا من ذلك إلى ذكر علم المعاني الذي غالبا ما يداخله التراثيون ببحث المسائل النفسية الفلسفية خاصة ما يتعلّق بمقتضى الحال ومشاكلته للأساليب والتعابير اللّغوية، ولا يمكن مداخلة هذا الموضوع إلاّ ببسط الكلام في موضوع التمييز أو الفصل بين الحقيقة والمجاز، حيث يكون من الواضح الظاهر أن الدّلالات البلاغية البديعية لا تنجع إلاّ في الأساليب اللّغوية المجازية حيث يكون المنطلق الراسخ من درس الاستعارة، وكذلك ألفينا الأخضري (ت.983هـ) يعطي موضوع الاستعارة الأولوية والتقدمة، فلا يخالف منهج مشايخ البلاغة العربية والدّرس اللّغوي على العموم، وإذا ما سعينا إلى توثيق هذه المبادئ

[1] - ينظر: الموازنة، الآمدي، ص: 125.
[2] - ينظر: مفتاح العلوم، ص: 179.
[3] - كتاب البديع، ابن المعتزّ، ص: 3.

PDF-XChange Cliquez pour acheter! http://www.pdfxchange-fr.com

الدرسية الأولية أليفنا الأخضري (ت.983هـ) يصل موضوع التفريق بين الحقيقة والمجاز بالعينة اللّغوية التي تحتضن النّموذج الأسلوبي الواحد فيذكر الأخضري (ت.983هـ) طبيعتين هما اشتغال الدرس البلاغي حقيقة ومجازا بين المفرد والمركّب وهو إذ يؤسّس المنطلق الكمّي يورد التمثيل للدّلالتين: دلالة الحقيقة ودلالة المجاز بالمقولة التالية:

كَلِمَة غَايَرَتِ المَوْضُوعَ مَعْ قَرِينَة لِعَلْقَـــة نـــِـلْتَ الوَرَعْ.

كَاخْلَعْ نِعَالَ الكَوْنِ كَيْ تَرَاه وغُضُّ طَرْفَ القَلْبِ عَنْ سِوَاه[1].

ومن أبرز المقاييس التي سنقيّم في ضوئها الدرس البديعي لدى الأخضري (ت.983هـ) هي كيفية تعامله مع الظاهرة البديعية، حيث يبدو لنا الأخضري (ت.983هـ) معتدا بقيمه العلمية يسعى دائما إلى كسب صفات السبق والريادة والتميّز لذلك ووفاقا لهذا السياق التفرّدي، نصادفه يسرد العينات من الشواهد الدرسية ذات الخصوصية البالغة من ذلك تمييزه المنهجي بين الوظيفتين اللّغويتين الوظيفة الشرعية والوظيفة العرفية، فالارتقاء للحضرة الصوفية شاهد فكري معنوي قلّما يتنبه إليه الدارسون، وانطلاقا من هذه الخصوصية يبدو الأخضري (ت.983هـ) مستحوذا على كثير من سمات الفرادة والتميّز.

ربّما عني الأخضري (ت.983هـ) بإيراده موضوع التمييز بين الشرعي والعرفي ذات القصد الذي سجّله القزويني (ت.739هـ) لدى كلامه الافتتاحي في كتاب "الإيضاح في علوم البلاغة" في موضوع "الخبر والإنشاء"، ممنهجا درسه اللّغوي البديعي بين المسارين: المسار الحقيقي والمسار المجازي، وإذا ما نقدنا منهج الأخضري (ت.983هـ) ومحّصناه، ألفيناه من هذه الوجهة بالغا مبلغا متفرّدا من حيث سعى في درسه البلاغي إلى توظيف الخصوصيات الثقافية والروحية التي امتاز بها عصره وتهيّأت لها بيئته الجزائرية، وللتّدليل على ذلك فقد اجتهد الأخضري (ت.983هـ) ،لأن يضرب مثلا تطبيقيا أشار فيه إلى أجواء الثقافة الصوفية التي كانت تهيمن على عقول

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص : 728.

أهل المنطقة، لهذا وانطلاقا من شجاعة الأخضري (ت.983هـ) في اقتراح المعرفة ذات الصبغة الجزائرية الصرفة، يكون قد أعطى أبعادا فكرية قوية تترجم رفعة مكانته بين علماء المشرق والمغرب العربيين .

وأما تعريج الأخضري (ت.983هـ) في المنظومة فقد أتى تاليا للموضوع التمهيدي المبسوط مداخلة للكلام في العلوم الثلاثة علم المعاني، علم البيان وعلم البديع، وجميع هذه الثلاثة إذا تمعّنا في جوهر الفائدة اللّغوية التي ينطوي عليها هاجسهما، نجدها تنبثق من وازع واحد موحّد هو تزيين اللّفظ والمعنى باستلهام التّأثيرات الصوتية المكيفة والمعدّلة وفق مقتضيات السياق التعبيريّ، وهنا يمكن التنبيه إلى أمر حاسم ألا وهو طبيعة اعتماد اللّغويين العرب لشهرة الأديب أو الشاعر، وبالأحرى عامل تسويغ للصيغة اللّغوية الجديدة أي البديعة. ويصحّ هذا أو يفسد بالقياس إلى كون المهارة اللّغوية في نهاية المطاف هي من صميم المهارة اللّسانية، فإن صلح اللّسان صلح الأسلوب، وإن هو فسد واعتلّ -أي اللّسان- جاء كلّ نزوع تعبيريّ لغوي غير سويّ ولا سلس، فهو مرتبك مهتزّ غير مقبول.[1]

6- موازنة بين عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) وغيره من علماء البديع:

يظهر من اعتناء الأخضري (ت.983هـ) بتناول الطرح القزويني (ت.739هـ) في موضوع البديع، أنّ الدرس البديعي في هذه الفترة قد ترسخت معالمه الجمالية الوظيفية، فقد سلك علماء الدرس البديعي خلال هذه المرحلة سبيل التفريق بينه وبين الدرس البلاغي، من حيث عدّ البديع قيمة فنية جمالية تحسينية فقد قال السكاكي (ت.626هـ) "ليس من الواجب في صناعة وإن كان المرجع في أصولها وتفاريعها إلى مجرّد العقل أن يكون الدخيل فيها كالناشئ عليها في استفادة الذّوق منها، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحكّمات وضعية واعتبارات إلفية فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلّد صاحبه في بعض فتاواه إن فاته الذّوق هناك إلى أن يتكامل له على مهل

[1] - ينظر: كتاب الاقتراح في علم أصول النّحو، السيوطي، تحقيق: أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط:1، 1976، ص: 65.

موجبات ذلك الذّوق"[1]، وقد كان التفكير اللّغوي في الجزائر في عهد عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) يسعى جاهدا لإثبات مرجعية التمتّع بالذّوق اللّغوي العربي الأصيل.

ويبدو لنا الأخضري (ت.983هـ) متفرّدا في تصنيفاته الموضوعاتية لعلم البديع فهو حين يعقد فصلا لبديع الموازنة يشرح الفائدة البنائية مركزا على بنية انسجام التسوية لفاصل في وزن الكلام داخل بين الشعر الواحد في إطار بنية لغة الشّعر البيتية لا التقصيدية كلّها، لأنّ ثمة حقيقة مفادها أن بيت الشّعر الواحد يستوعب في مضماره كثيرا من قيم المهارات الأسلوبية التي يستلذّها اللسان المنشد للشّعر، والمتذوّق للأساليب الشّعرية، فهو -أي اللّسان- يستطيع تحسّس قيم الانسجام أو التنوّع خلال مروره بتلفيظ لغة البيت الشّعريّ، لذلك فإنّ قيمة بديع الموازنة واقعة في متن البيت لا في قافيته، فالتناظر الذي يتموقع بين شطري البيت الواحد يمنح الوظيفة اللّسانية أناقة وجمالا وقد قال الأخضري (ت.983هـ) باتّفاق وزن لفظ الفقرتين أي الشطرين من بيت الشّعر الواحد.[2]

ويستتبع الأخضري (ت.983هـ) عدّة تسميات اصطلاحية في إطار الكلام على الموضوع البديعي الرئيس الواحد فهو يقرن بين مفهوم الموازنة باعتباره البنية اللّغوية البديعية التي تحتضن أو تشتمل على مكوّنات لغوية أو توزينية جزئية هي: المماثلة، والقلب، والتشريع، وقد اعتنى السابقون من أهل البديع بذلك طبيعة خاصة في تركيب لغة البيت من الشّعر عرّفوها بأنّها "إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى"[3]، فالظاهر أن نكتة الموضوع البديعي القائم على هذا البناء اللّفظي والمعنوي معا يكمن في إدراك الحسّ المنشد لطبيعة الائتلاف اللّفظي والاختلاف الدلاّلي المعنوي في الآن الواحد، ففي هذا التنازع فنّ وجمال يستغوي النفس العربية الفصيحة، فالتقاطع الوظيفي القائم على الائتلاف والاختلاف يدفع الحسّ إلى بذل قوى شدّ التوازن بين المنزعين معا، لذلك فإنّ أهل البلاغة والبديع من علماء العربية نزعوا إلى سياقات تفريعية

---

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 17، 18.
[2] - ينظر: الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 734.
[3] - الصناعتين، أبي هلال العسكري، ص: 307.

بذلوا فيها الجهود الاصطلاحية التي تحاول إثبات دلالة التشاكل أو التقارب بين جملة من التسميات الاصطلاحية من مثل: المطابقة، والتكافؤ، وهما البنيتان المنتسبتان إلى صنف التكرير اللّغوي، حيث لا يمكن توظيف بنية لغوية في حيز التكافؤ أو التطابق، إلاّ من خلال تكرير الألفاظ في مواضع من البيت الشّعري يستشعرها الحسّ الناظم أو الشاعر.

وقد أسهب الأخضري (ت.983هـ) في نظم التفاصيل المشخّصة لموضوع البديع، بكفاءة وإحكام بالغين، وهو الانطباع الذي صرّح به في كتابة خاتمة المنظومة حيث قال:

بِمَطْلَـــعِ حَسَنٍ وَحُسْنِ الفَـــــالِ وَسَبْكٍ أو بَرَاعَـــــــةِ اسْتِهْـــلاَلِ.

والحُسْنُ فِي تخلّص أو اقْتِضَاب وَفِي الذي يَدْعُونَهُ فَصْلَ الخِطَاب.[1]

وترتكز فاعلية درس البديع على قوّة النشاط التفكيري التوليدي الذي ينتظم سيرورة تاريخ هذا الحقل اللّغوي الجامع بين العلم والفنّ ، فالذي يستعرض بعض الكتب المؤلّفة في الدرس البديعي يستطيع أن يقف على كثرة الطفرات أو القفزات الاصطلاحية أو الاستكشافية التي ما فتئت الأجيال اللّغوية العربية تسديها لهذا الحقل اللّغوي، فقد بلغ بهم شدة تحسس الأساليب التعبيرية إلى تدقيق وظيفة التشخيص البنائي مثلما يتّضح لدى أسامة بن منقذ (ت.584هـ) الذي نراه حاشدا لجملة من التشاكلات اللّغوية البنائية يكمل بعضها بعضا من مثل: التقسيم، والتجزئة، التطريز، الاستطراد، التوشيح، التشعيب، الازدواج الانسجام، فهي جميعها موضوعات دالة على اتّساق بنائي في لغة الشّعر تفيد طبيعة خاصة في الفصل والوصل كفيلة بأن تضفي على الخطاب طبيعة لسانية خاصة هي بدورها مؤهلة بأن تكون مؤشّرا صادقا لمدى الكفاءة الإبداعية التي يتمتّع بها هذا الأديب عن ذلك.[2]

ويبدو لنا مبدئيا من المنهجية ضرورة التمييز بين الدراسة النقدية العادية وبين الدراسة النقدية المنظومة، فالمتكلم أو المنشئ يبدو أكثر حرية وعفوية وطلاقة من الناقد الناظم من أمثال الأخضري (ت.983هـ)، وقد قال ابن سلام منذ القديم حين وصف ليونة وعذوبة شعر النابغة الذّبياني عندما قال: "كأنّ شعره كلام ليس فيه تكلّف، والمنطق على

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 736.
[2] - ينظر: البديع في البديع في نقد الشّعر، أسامة بن منقذ، ص: 98-192.

المتكلّم أوسع منه على الشاعر والشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي والمتكلّم المطلق يتخيّر الكلام"[1]، ولعلّ ابن سلام عني بهذا التخريج النقدي لتراوح لغة الأدب بين الحرية والعفوية والترسل والإنشاء وبين تقيّد الأساليب التعبيرية بضرورات التقصيد وهو العلم المتعارف عليه بالضرورة الشّعرية، حيث "لا حاكم في هذه الصناعة إلاّ استقامة الطبع وتفاوت الطباع"[2]، فبتوجيه من ذائقة الحسّ البلاغي المدرب على إصابة الخصوصيات الأسلوبية الواقعة في نطاق فنّ البديع يستطيع الشاعر أن يبتكر القيم التعبيرية التوقيعية الطريفة، وإنّ التذاذ الطرافة والجدّة هو المعيار الفردي الذي تعلن فيه قيم الاستجداد اللّغوي الذي يمكن أن ينسب إلى بلاغة الكلام المستطرف .

ونحسب أنّ عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) بفضل اطلاعه على تراث الأدبية العربية، واستصفائه للظواهر اللّغوية البلاغية يكون قد استوعب شروط الانفعال بالقيم التعبيرية المتميّزة أي تلك الأساليب التي تشخّص الانبصام الإيقاعي لأديب من الأدباء العرب، لأنّ القيمة الفنية الجمالية هي في حدّ ذاته "مطرب متورّد بين الناس"[3] تتلاقى عليه الفطرة ويوافقها الحسّ وتقرّ بها الطّبيعة المركوزة في جبلة الخلق، ونعني بذلك خصوصية انفعال الفطرة العربية بتوقيع الأساليب اللّغوية الفنية، فالتفرّد والفرادة والامتياز [4]، هي جميعها المعيار الذي تتألّق خلاله لغة الأدب وتتأوّج حتى تغدو النمط المحتذى والعينة البالغة الأثر في نفوس الناس.

وعلى أوثق تقدير، فإنّ فنّ بلاغة البديع أضحى يفرض على الذّوق الأدبي العربيّ ترقية للحسّين الفني والجمالي يشترط ضرورة التمييز بين الذّوق العامي والذوق الراقي المهذّب الذي يقوم على شروط ثقافية فلسفية كفيلة ببلورة الامتياز المعرفي لدى الأدباء ونقاد الأدب على السواء، "فالمزاج فرع من البيئة، وهو خاصّ بالأفراد، وبما أنّ الأفراد يختلفون في الآراء والأهواء، في كثير من الطبائع والمشارب، سواء أكانوا في عصر

---

[1] - طبقات فحول الشّعراء، اللّجنة الجامعية لنشر التراث العربيّ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص: 17.
[2] - مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 219.
[3] - الخصائص، ابن جنّي، ج:1، ص: 135.
[4] - ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، ص: 179.

واحد، أم في طبقة واحدة، أم من بلد واحد، أم من أب وأمّ وظروف متشابهة كلّ التشابه، فالألفاظ تتأثر بهذا الاختلاف جدّا"[1].

تكمن جرأة الأخضري (ت.983هـ) في تناوله المواضيع النقدية الأدبية ذات الحساسية المفرطة مثلما يتجلى من طرحه موضوع السرقات في منظومة البديع، فهو قد أتى به في سياق تسميات فصول البديع حيث أسمى هذا الفصل السرقات[2].

وأعطى الأخضري (ت.983هـ) في مدخل موضوع السرقات بصيغة الجمع تقدمة تمهيدية داخل بها المفاهيم الشاملة الشائعة باعتباره موضوعا حساسيا ينمّ عن صراعات تاريخية بين المبدعين العرب، حيث يتّسم موضوع السرقات بميزة التواجد عبر كلّ الأجيال الأدبية العربية ولعلّنا لا نخطئ إذا قلنا: إنّ هذا الموضوع يطرح بكلّ واقعية ومصداقية عبر جميع التجارب الأدبية والفكرية الإنسانية بدون استثناء.

ويعرف الأخضري (ت.983هـ) السرقة على أنّها عبارة عن أخذ الشاعر كلاما سبقه غيره إليه:

وَأَخْذُ شَاعِرٍ كَلاَمًا سَبَقَهْ هُوَ الذِي يَدْعُونَه بِالسَّرِقَهْ.[3].

ولا يدع الأخضري (ت.983هـ) دلالة نقدية عربية تراثية في الموضوع الذي يتناوله إلاّ وضمّنها منظومته، من ذلك براعته في المجيء على كلّ ما يقتضيه تناول موضوع السرقات الأدبية، فهو مبدئيا يميّز بين المحمود في الموضوع والمذموم، لأنّ هذا الموضوع النقدي ذا النزعة الأخلاقية في الفكر النقدي الأدبي العربيّ كثيرا ما شكّل حرجا حضاريا أمام قوى الإبداع، من ذلك ضرورة وواجب التمييز بين التّوارد الذي هو سلوك إبداعي فطري جبل اللّه تعالى عليه مخلوقاته البشرية على اختلاف بيئاتها وأزمانها وقد دعاه الأخضري ما قرّر في الألباب وسطر في النفوس.

ثمّ يعود الأخضري (ت.983هـ) مفصلا في الموضوع حين يصنّف باب السرقة إلى قسمين هما: السرقة الخفية والسرقة الجلية، وكذلك سلك ابن رشيق القيرواني قبل

---

[1] - المرشد على فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، ج: 2، في الجرس اللّفظي، ص:25.
[2] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 734.
[3] - المصدر نفسه، ص: 734.

الأخضري (ت.983هـ) مداخلة موضوع السرقة، فقد أعطى لهذا الباب اهتماما واضحا جراء التفصيلات الدقيقة التي شعّب إليها موضوع السرقات[1]، فالكلام مبدئيا يفتح بعضه بعضا.[2]، وقد كان ابن رشيق أكثر حرصا ومبالغة حين قال: "هذا باب متّسع جدّا، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدّعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلاّ عن البصير الحاذق بالصناعة" [3]، ونرى أنّ موضوع السرقة الأدبية ملتبس بكثير من المزاولات الأدبية، نظرا لكون الإبداع الأدبي في صميمه قائم على المحفوظات وتأثر الأدباء بعضهم ببعض فالأساليب بلذاذتها الاستطرافية تستهوي المنشئ ليقع في مطبّاتها وأشراكها، فالملكة الأدبية إذا هي في أصلها تنحى منحى تأثريا بالغا قد لا تستطيع الذات المنشئ تجنّب الوقوع في تقليد التراث البلاغي السابق لها سواء أكان ذلك عن قصد أم دونه.

وقد تلطّف بعض النقاد العرب من القدامى في مداخلة الجانب الأخلاقي لموضوع السرقات من حيث أسموه: حسن الأخذ.[4]

وأما عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) عند تناوله موضوع السرقات فقد أورد التسميات الجاري اعتمادها في الموضوع، حيث ذكر: الانتحال، والإغارة، والسّلخ، وهي جميعها مصطلحات نقدية كانت متداولة في الثقافة النقدية الأدبية العربية التراثية.

ويعدّ من أهم ما اهتمّ به الأخضري (ت.983هـ) عند تناوله موضوع السرقات السرقة الخفية باعتبارها قائمة على التخفي، فالأديب الذكيّ هو الذي يستطيع إخفاء ما قد يستجلبه من الصيغ والأفكار حتى يعمى عن رؤيتها النقاد الآخرون.

وتختلط السرقات بكثير من المواضيع النقدية أو الأدبية التي يمكنها أن تلتبس بها منها تشابه الدلالات الإبداعية، حيث يتعسّر على المتفحّص إدراك الفوارق في تأليف الأدبيات المعرضة للنقد الأدبي، والاقتباس هو أقوى تلك الدّواعي التي تحدث التشكيك في

---

[1] - ينظر: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط:5، 1981، ج: 2، ص: 281.
[2] - ينظر: المصدر نفسه، ج:2، ص: 238.
[3] - المصدر نفسه، ج:2، ص: 280.
[4] - ينظر: الصناعتين، أبي هلال العسكري، ص: 196 .

الأدبيات المتشابهة، لأن ثمة حقوقا إبداعية تحتاج إلى صيانة، فالملكية الإبداعية جديرة بأن تعلن وتحفظ لأصحابها كيفما كانت حقول نشاطاتهم المعرفية.

كما أنّ في إشفاع الأخضري (ت.983هـ) لموضوع السرقات بموضوع التضمين فائدة جلية، قوامها أنّ التضمين الذي هو التوظيف الصريح للأفكار والمعاني والأساليب بالقدر الذي يحوّل ذلك الاعتماد إلى قيمة أدبية تحويلية جديرة بالاهتمام، وعلى أفضل تقدير فإنّ على الناقد الأدبي أن يحتاط ويحترس من أمر الخلط العشوائي ما بين السرقة والتضمين والحلّ والعقد.[1]

ومن هنا نجد أنّ الأخضري (ت.983هـ) يولي أهمية بالغة لمسألة توظيف النثر في الشّعر، أو توظيف الشّعر في النثر، الذي يسميه الحلّ والعقد، فما كان نثرا وشُعِّر يسمى عقدا، وما كان شعرا ونُثِّر يسمى حلاً، أي تحليل الأبيات إلى سطور نثرية أو عقد الأبيات الشّعرية في أبيات شعرية، وتلك حرفة ما يزال الأدباء يجرونها في أدبياتهم يجدون فيها المتعة الخاصة والنكتة المتميزة، ثمّ ما يفتأ الأخضري (ت.983هـ) يلحق موضوعا ثالثا بالموضوعين المشار إليها: السرقة[2] والتضمين ليتكلم على انحراف دلالي آخر هو التلميح الذي هو مشاكل للاقتباس والسرقة والتضمين.

فهذه نماذج عن المصطلحات التي وظفها الأخضري (ت.983هـ) في منظومته البديعية، وسنتطرق إلى هذه المصطلحات بالتفصيل في الفصل الثالث

لنحاول معرفة ما إذا استقاها الأخضري (ت.983هـ) من القدامى، أم أنه أبدع في استعمالها.

---

[1] - ينظر: الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، مجموع مهمّات المتون، ص: 735.
[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 735.

أولا: موضوعات البديع الراجعة إلى المقاصد المعنوية من الكلام:

قسم عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) البديع إلى ضربين، ضرب معنوي وآخر لفظي، وأما المعنوي فيتناول الموضوعات التالية:

1- المطابقـــــة:

استعمل ابن المعتز (ت. 296 هـ) مصطلح المطابقة ويعرّفه بقوله: "قال الخليل رحمه الله يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد، وكذلك قال أبو سعيد فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب"[1].

ووظّفه – أيضا- قدامة بن جعفر (ت.337 هـ) حيث يقول: "فأمّا المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها"[2]. ويقول فيه أبو هلال العسكري (ت.395 هـ): "المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد ... والليل والنهار..والحر والبرد"[3].

فمن خلال هذه التعاريف، يظهر أن قدامة بن جعفر (ت.337 هـ) يخالف ابن المعتز (ت.296 هـ) وأبو هلال العسكري (ت.395 هـ)، إذ لا يعدّ المطابقة في الجمع بين لفظين متضادين، وإنما في لفظ واحد يجتمع معنيان.

ومن أمثلة المطابقة قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[4].

والشاهد في قوله تعالى هو: الحياة والموت أي الجمع بين الضدين.

---

[1]– البديع، ابن المعتز، ص: 36.
[2]– نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: 162، وينظر: جوهر الكنز في البديع، نجم الدين بن الأثير، ص: 75.
[3]– الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص: 339.
[4]– سورة الملك، الآية: 2.

ويستعمل يحي بن معطي (ت.628 هـ) مصطلح الطباق عندما يقول:

فَهَاكَ فِي ذِكْرِ الطِّبَاقَ وَحَدُّه مُقَابَلَة الضِّدَيْنِ، مِنْهُ أَتَى لِيَا[1].

وقد وظّف عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) مصطلح المطابقة عندما عدّد فنون الضرب المعنوي للبديع، ولكنّه لم يعرّفه. يقول:

وَعُدَّ من ألقابه المطابقـــة تَشَابُهُ الأطْرَافِ والمُوَافقـــه[2].

ومن هنا نجد تعدد المصطلحات لمعنى واحد وهي: المطابقة والطباق والمطابق.

2- تشابه الأطراف:

يطلق القزويني (ت.739 هـ) على هذا المصطلح "مراعاة النظير"، ومعناه "أنْ يُخْتَم الكلام بما يناسب أوّله في المعنى"[3].

ويوّضح أحد العلماء قول القزويني (ت.739هـ) أنّ تشابه الأطراف هو قسم من أقسام مراعاة النظير لأن المراعاة تعني الجمع بين المتناسبين سواء اجتمعا معا في الابتداء أو الاختتام أم كان أحدهما في الابتداء والآخر في الختام، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[4]، ففي هذه الآية يظهر تشابه طرفين: أولهما اللطيف الذي يناسب عدم إدراك الأبصار لله سبحانه وتعالى، وثانيهما الخبير الذي يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار[5].

وسمّى البعض هذا الفن بالمناسبة أمثال علي بن محمد الجرجاني (ت. 729 هـ)[6] وأطلق عليها البعض الآخر الائتلاف ومعناه "أن يجمع الناظم بين أمر وما يلائمه مطلقا على غير تضاد"[7].

---

[1] – البديع في علم البديع، يحي بن معطي، تحقيق: محمد مصطفى أبو شوارب، دار الوفاء، ط: 1، 2003، ص: 91، وينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، ص: 235، وإتمام الدراية لقراء النقاية، السيوطي، ص: 137.

[2] – الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 731.

[3] – الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 392، وينظر: الجهود البلاغية للتفتزاني في كتابه المطول، ثناء نجاتي محمود عياش، دار وائل، الأردن، ط:1،2006،ص: 120.

[4] – سورة الأنعام، الآية: 103.

[5] – ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد المغربي، ج: 2، ص: 499.

[6] – ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 239.

وقد وظّف عبد الرحمن الأخضري (ت. 983هـ) مصطلح تشابه الأطراف عندما قال:

وعُدَّ مِنْ أَلْقَابِهِ المُطَابَقَة تَشَابُه الأَطْرَافِ والمُوَافَقَه[1].

ومن هنا نجد تعدد المصطلحات التي أطلقت على هذا الفن كالمناسبة والتناسب والائتلاف، وتشابه الأطراف، وقد اختار عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) (ت.983هـ) المصطلح المركب منها، وهو تشابه الأطراف والذي وظّفه قلة من العلماء أمثال القزويني (ت. 739 هـ).

3- الموافقة:

وتسمّى أيضا الإتفاق ومعناه أن يذكر الناظم اسما مطابقا لشيء يستدل به عليه ومثاله قول الشاعر:

وكَمْ لُؤْلُو مِنَ البَحْرِ مَسَحْتَه والدُّرُّ في البَحْرِ لا يُحْشَى مِنَ العَيْنِ.

فأشير باللؤلؤ إلى حسام الدين الذي ظهر على الإفرنج الذين قصدوا الحجاز[2].

ولا نجد أثرا لمصطلح الموافقة إلاّ عند الخوري عوّاد من علماء القرن الثاني عشر الهجري، ويسبقه في استعماله عبد الرحمن الأخضري (ت.983 هـ) الذي اكتفى بالإشارة إليه فقط دون تعريفه أو التمثيل له فقال:

وَعُدَّ مِنْ أَلْقَابِه المُطَابَقَة تَشَابُه الأَطْرَاف والمُوَافَقَه[3].

4- العكس:

العكس كما يعرّفه أبو هلال العسكري (ت.395 هـ) هو "أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول... وبعضهم يسميه التبديل"[4].

ويعرّفه أسامة بن منقذ (ت. 584 هـ) بقوله: "هو أن تأتي الجملتان إحداهما عكس الأخرى"[5]، ويسمّى أيضا بمصطلح المغايرة[6].

---

[7] – العقد البديع في فن البديع، الخوري بولس عوّاد، ص: 57.
[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 731.
[2] – ينظر: العقد البديع في فن البديع، الخوري بولس عوّاد، ص: 101.
[3] – الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 731.
[4] - الصناعتين، ص: 411، وينظر: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص: 145.

ومن أمثلة هذا الفن قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

وقوله عز وجلّ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[2].

فالشاهد في الآية الثانية واقع بين متعلقي فعلين في جملتين وهو الحي من الميت والميت من الحي[3].

واستعمل عبد الرحمن الأخضري (ت.983 هـ) مصطلح العكس عندما عدد فنون الضرب المعنوي للبديع، ولكنه لم يتطرق إلى تعريفه أو التمثيل له، وإنما اكتفى بذكره فقط، وتعددت المصطلحات في هذا الفن منها: التبديل والمغايرة والعكس، واقتصر الأخضري (ت. 983هـ) على استعمال المصطلح الأخير منها.

5- التسهيم:

من المصطلحات التي ذكرها عبد الرحمن الأخضري (ت. 983 هـ): التسهيم عندما قال:

وَالعَكْسُ والتَّسْهِيم والمُشَاكَلَهْ .....[4].

ومعنى التّسهيم "أن تعلم القافية لما يدّل الكلام في أول البيت"[5]، ويطلق عليه العلماء مصطلحا آخر وهو التوشيح، يقول يحي بن معطي (ت. 628 هـ):

وَاسْمَعِ التَّسْهِيمَ الذِي قَدْ يُسَمَّى أَيْضًا التَوْشِيحُ الذِي فِيهِ قِيلا.

فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيـــــــزًا وَإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّوا ذَلِيـــلا[6].

---

[5] – البديع في البديع، ابن منقذ ، ص: 78، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 399.
[6] – ينظر: جوهر الكنز في البديع، نجم الدين بن الأثير، ص: 248.
[1] – سورة فاطر: الآية: 2.
[2] – سورة الروم، ص: 19.
[3] – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 399.
[4] – الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري"، ص: 731.
[5] – البديع في البديع، ابن منقذ، ص: 187.
[6] – البديع في علم البديع، ابن معطي، ص: 141، 142.

فالتسهيم هو "من نعوت الألفاظ، مأخوذ من الثوب المسهَّم الذي يَدُلُّ أحَدُ سِهَامه على الذي يليه لكون لونه يقتضي أنّ الذي يليه لون مخصوص له بمحاورة اللون الذي قبله أو الذي بعده. وقال آخرون: التسهيم هو أن يكون ما تقدم من الكلام دليلا على ما تأخر"[1].

ومثال التسهيم أشار إليه ابن معطي (ت.628 هـ) في البيت السابق، وله مصطلح آخر وهو الإرصاد الذي ذكره القزويني (ت.739 هـ) الذي يقول: "الإرصاد ويسمّى التسهيم أيضا، وهو أن يُجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدّل على العجز إذا عُرف الرّوي"[2].

ونخلص إلى استعمال العلماء لعدّة مصطلحات وهي التسهيم والتوشيح والإرصاد التي تطلق على ما تقدم من الكلام الذي يدّل على مؤخره، وقد اكتفى الأخضري (ت.983هـ) بذكر مُصْطلح التسهيم دون تعريفه أو التمثيل له.

6- المشاكلة:

من الفنون البديعية المعنوية التي ذكرها الأخضري (ت. 983هـ) المشاكلة حيث قال:

والعَكْسُ وَالتَّسْهِيمُ وَالمُشَاكَلَة :. .....[3].

ومعناها "التعبير عن المعنى بلفظ غيره لوقوع المعنى في صحبته تحقيقا أو تقديراً"[4].

ويعرّفه ابن معطي (ت. 628 هـ) في نظمه:

وَفِي المُشَاكَلَة المَعْنَى لمُتَّحِدٌ لَفْظَاهُ مُخْتَلِفٌ كَالسَّاقُ وَالسَّاق[5].

---

[1]– جوهر الكنز في البديع، نجم الدين بن الأثير، ص: 219.
[2]– الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 394.
[3]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 731.
[4]– البديع في علم البديع، ابن معطي، ص: 239، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 395.
[5]– المصدر نفسه، ص: 239.

فمثال المشاكلة ما ذكره ابن معطي (ت.628 هـ) في الساق الأولى والساق الثانية، ومثالها أيضا قوله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[6].

ففي الآية الكريمة أقامت سيّئة الثانية مقام عقوبة لتشاكل السيّئة الأولى[1].

واستعمل الأخضري (ت.983هـ) مصطلح المشاكلة دون التطرق إلى تعريفه أو التمثيل له.

7- التزاوج:

أطلق عليه عدّة مصطلحات منها الازدواج الذي يوظّفه أسامة بن منقذ (ت.584 هـ): وهو "أن يُزاوَجَ بين الكلمات والجمل كلامٌ عَذْبٌ وألفاظ عذبة حلوة"[2].

ويسميه على بن محمد الجرجاني (ت. 729 هـ) بالمزاوجة وهو " أن تزاوج بين معنيين في الشرط، ويبنى الجزاء عليهما"[3].

ويقول زكريا الأنصاري (ت. 926 هـ): "المزاوجة وهي أن يزاوج بين معنى في الشرط ومعنى في الجزاء في أن يترتب على كل ما يترتب على الآخر"[4].

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[5].

فالشرط والجزاء في الآية ترتب عليهما معنى واحد وهو الاعتداء، الأول للظلم، والثاني للقصاص.

وأيضا قول البحتري:

إذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بي الهَوَى :. أصاخت إلى الواشي فلجَّ بها الهجر[6].

---

[6]– سورة الشورى، الآية 40.
[1]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 243.
[2]– البديع في البديع، ابن منقذ، ص: 165.
[3]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 248، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 398.
[4]– أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، زكريا الأنصاري، ص: 21، مخطوط، وينظر عقود الجمان في علم المعاني والبيان، السيوطي، ص: 2، مخطوط.
[5]– سورة البقرة، الآية: 193.

ولم يعرّف الأخضري (ت. 983هـ) بهذا المصطلح، بل اكتفى بذكره عندما قال:

والعَكْسُ وَالتَّسْهِيمُ والمُشَاكَلَـــــهْ :. تَـــزَاوُجٌ رُجُـــــوعٌ أو مقابَلَـــــةْ[7].

فمصطلح التزاوج وَظّفه الأخضري (ت. 983هـ)، وكانت له مرادفات أخرى وهي الازدواج والمزاوجة.

8- الرجوع:

معنى الرجوع "أن يذكر شيئا ثم يرجع عنه ... كقول القائل.. ليس معك من العقل شيء، بل بمقدار ما يوجب الحجة عليك"[1].

ويسمّيه ابن منقذ(ت. 584هـ)، بالاستثناء أيضا يقول: "اعلم أنّ الرجوع والاستثناء هو أن تذكر شيئا ثم ترجع عنه، مثل قولك: ليس له عقل، بل مقدار ما يوجب الحجّة عليه"[2].

ويصطلح عليه العلماء أيضا بالاستدراك وهو "الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى زائدا يعدّ من محاسن الكلام"[3].

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[4].

فأخرج إبليس وهو القليل من الملائكة وهو الكثير، فتم الكلام بـــ (إلاّ إبليس) والاستكبار هو تعظيم للمعصية التي ارتكبها، وهذا معنى زائد على الاستثناء[5].

ومنه قول الشاعر:

أَلَيْسَ قَليلاً نَظْرَةٌ إنْ نَظَرْتُها إلَيْكِ، ولكِنْ ليس منك قَلِيلُ[6].

---

[6]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 248.
[7]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص:731.
[1]– الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص: 443، وينظر: البديع، ابن المعتز، ص: 60.
[2]– البديع في البديع، ابن منقذ، ص: 177، وينظر: البديع في علم البديع، ابن معطي، ص: 191.
[3]– جوهر الكنز في البديع، ص: 217.
[4]– سورة الحجر، الآية: 30، 31.
[5]– ينظر: جوهر الكنز في البديع، ص: 217.
[6]– البديع في البديع، ابن منقذ، ص: 177.

فمعنى الرجوع يتم من خلال استعمال أدوات الاستثناء والاستدراك التي تخرج قليل الشيء من كثيره.

وقد أشار عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) إليه بمصطلح الرجوع. حيث يقول:

والعكس والتسهيم والمشاكلة :. تزاوج رجوع أو مقابلة[1].

وهنا نجد تعدد المصطلحات للدلالة على معنى واحد، فقد وظّف العلماء: الرجوع والاستدراك والاستثناء دون اختلافها في المعنى.

9- المقابلة:

يقول قدامة بن جعفر (ت.337هـ): "المقابلات هي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض"[2]، ويضيف أبو هلال العسكري: (ت.395 هـ) "المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة.. فأمّا ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل... مثاله قوله تعالى ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾[3]. فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم"[4].

ويجمع أحد العلماء وهو نجم الدين بن الأثير (ت.737 هـ) بين مصطلحي الطباق والمقابلة في موضع واحد، في حين يفرّق بينهما كثير من العلماء أمثال قدامة بن جعفر (ت.337 هـ)، وأبو هلال العسكري (ت.395 هـ) وغيرهما.

يقول نجم الدين بن الأثير (ت.737 هـ): "وحد الطباق: ذكر الشيء وضدّه...أما حد المقابلة: فهو أن تكون اللفظة مقابلة لأختها ومعناها مختلف"[5].

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾[6].

---

[1]- الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 731.
[2]- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: 133.
[3]- سورة النمل، الآية : 52.
[4]- الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص: 371.
[5]- جوهر الكنز في علم البديع، ص: 76، وينظر الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 388.
[6]- سورة التوبة، الآية: 82.

وذكر محمد بن علي الجرجاني (ت.729 هـ) أن المقابلة قد تأتي ثنائية، كما مر في قوله تعالى في الآية السابقة، أو ثلاثية ورباعية، ومن الرباعية قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[1]، ومعناه الذي يستغني بنعيم الدنيا عن نعيم الآخرة، فيقابله (اتقى) الذي هو عكس ذلك[2].

وقد ذكر عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) هو الآخر مصطلح المقابلة ولكنه لم يمثل له أو يعرّفه كما فعل مع المصطلحات السابقة. يقول:

..... :. تَزَاوُجٌ رُجُوعٌ أو مُقَابَلَهْ [3].

10- التورية:

معنى التورية كما قال أسامة بن منقذ (ت.584 هـ) " أن تكون الكلمة بمعنيين فتريد أحدَهما، فتورّي عنه بالآخر"[4]، وهي عند علي بن محمد الجرجاني (ت.729 هـ) "أن يراد من لفظ له معنيان: أبعدهما"[5].

ويرادف التورية مصطلحا آخر وهو الإيهام الذي ذكره القزويني (ت.739 هـ) يقول: "التورية وتسمى الإيهام أيضا وهي أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويراد به البعيد منهما"[6].

ويوظّف عبد الرحمن الأخضري (ت. 983 هـ) مصطلحي التورية والإيهام. يقول:

تَوْرِيَةٌ تُدْعَـــــى بإِيهَامٍ لِمَا :. أُرِيدَ مَعْنَاهُ البَعِيدُ مِنْهُمَا.

وَرُشِّحَتْ بِمَا يُلاَئِمُ القريب :. وجُرِّدَتْ بِفَقْدِه فَكُنْ مُنِيب[7].

---

[1]– سورة الليل، الآية: 5، 6، 7، 8، 9، 10.
[2]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 238، 239.
[3]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 731.
[4]- البديع في البديع في نقد الشعر، ص: 97، وينظر: شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلي، ص: 75.
[5]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 247.
[6]– الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 400، وينظر: أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، زكريا الأنصاري، ص: 21، مخطوط، وعقود الجمان في علم المعاني والبيان، السيوطي، ص: 2، مخطوط.
[7]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 731.

ويعدّ مصطلح التورية أوّل المصطلحات التي عرّف بها الأخضري (ت.983هـ) ومعناها أن تحتمل الكلمة معنيين أحدهما قريب، والآخر بعيد، إلاّ أنّ المقصود هو البعيد وهذا يفهم من خلال قوله (أريدَ معناه البعيد منهما)، وهي مجردة، في حين إذا كانت مقترنة بمعنى قريب فهي مرشحة.

ومن هنا فإنّ معنى التورية الذي ذكره الأخضري (ت. 983هـ) "أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد مرادا منهما البعيد اعتمادا على قرينة خفية وهي مجردة إن لم تقترن بما يلائم القريب... ومرشحة إن اقترنت بما يلائم القريب مذكورا قبله"[1].

ومثال ما أريد به المعنى البعيد قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[2] فلفظ (استوى) يراد به استولى لا جلس، واقترن بقرينة خفية لا تلائم القريب، وأما إذا اقترنت بما يلائم القريب والذي ذكر قبله فنحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[3]، إذ المراد بالأيدي ليس الأيدي الجارحة وإنما القدرة المخصوصة المعروفة مقرونة بالبناء المناسب لها[4].

ويقول السيوطي: (ت. 911 هـ):

وَمِنْهُ الإيهَامُ وَيُدْعَى التَّوْرِيَة .:. وَفَضَّلُوا ذَا النَّوْعِ ثُمَّ بَالِيه.

اطْلاقُ لَفْظٍ شركـــة ويُقْصَدُ .:. بَعِيدُهُ فَتَـــــارَة يُجَـــــرَّدُ.

مِمَّ يُلائِمُ القَرِيب كـــاسْتَوَى .:. ثُمَّ المُرَشّحُ الذِي لَهُ حَوَى[5].

11- الجمع:

أشار عبد الرحمان الأخضري (ت. 983هـ) إلى مصطلح الجمع قائلا:

جَمْعٌ وَتَفْرِيقٌ وتَقْسِيمٌ وَمَعْ .:. كِلَيْهِمَا أَوْ وَاحِدٌ جَمْعٌ يَقَعْ[6].

---

[1]– الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، محمود العالم المنزلي، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط: 1، 1322 هـ، ص: 307.

[2]– سورة طه، الآية: 5.

[3]– سورة الذاريات، الآية: 47.

[4]– ينظر: الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع في النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع، المنزلي، ص: 307.

[5]– عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص: 2، مخطوط.

[6]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 731.

ففي هذا البيت يذكر ست مصطلحات وهي: الجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، ولكن لم يعرّف بها الأخضري (ت.983هـ) أو يمثّل لها، وإنما اكتفى بذكرها فقط، كما عوّدنا مع المصطلحات السابقة، إلاّ مصطلح التورية الذي عرّف به، وكأنه رأى أنّ هذه الفنون واضحة ومصطلح التورية أو الإيهام يمكن أن لا يظهر لأي قاريء عادي فوضّحه في بيتين من نظمه.

وتستخلص هذه المصطلحات من خلال قوله في البيت السابق (جمع وتفريق وتقسيم) يعني أنها مستقلة عن بعضها، البعض، وعندما أضاف (ومع كليهما أو واحد جمع يقع) أي اجتماع مصطلحين منهما كالجمع والتفريق، أو الجمع والتقسيم، أو جمعها كلها (جمع يقع) يعني الجمع والتفريق والتقسيم، فالحاصل ست مصطلحات.

فالجمع معناه " أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روّي متهيّء لأن تكون قافية آخر البيت بحسبه، فتأتي بخلافه"[1].

ويطلق عليه قدامة بن جعفر (ت.337 هـ) مصطلح التجميع بدلا عن الجمع، أي أنّه يحمل معنى التكثير، ومثاله قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2] فالجمع إذن هو "أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد"[3].

12- التفريق:

ويسمّى أيضا التفرقة وهو "إيقاع التفرقة بين أمرين في نوع واحد"[4] أو هو "أن يدخل شيئان في معنى ويفرق بين جهتي الإدخال"[5].

ومثاله نحو قول الشاعر:

مَا نُوَالُ الغمامِ وَقْتَ رَبِيعٍ ... كَنُوالِ الأَمِيرِ يَوْمَ سَخَـــاءِ

فَنُوَالُ الأَمِيـــرِ بَدْرَةُ عَيْنٍ ... وَنُوَالُ الغَمَامِ قَطْرَةُ مَـــاءِ.

---

[1]– نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: 185.
[2]– سورة الكهف، الآية: 46.
[3]– الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 406.
[4]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، علي بن محمد الجرجاني، ص: 248.
[5]– مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد المغربي، ج: 2، ص: 528.

حَسِبْتُ جَمَالَه بَدْرًا مُنِيرًا وَأَيْنَ البَدْرُ مِنْ ذَاكَ الجَمَالِ[6].

فالشاعر جمع بين النوالين ثم فرّق بينهما إذ نوال الأمير كيس دراهم وهو ما سماه بالبدرة فهو كثير، ونوال الغمام قليل وهو قطرة ماء فقط، وكذلك جمع بين جمال الأمير وجمال البدر ثم فرّق بينهما إذ الأول أجمل من الثاني[1].

13- التقسيم:

ومعناه "ذكر متعدد ثم ذكر كل واحد منه بصفة"[2]. أي ذكر المتعدد ثم إضافة شيء ما إليه مع التعيين، نحو قولنا: لا ينجح إلاّ متأدِّب ومتعلِّم هذا باجتهاده وذاك بحسن سيرته، فإشارة الأول وهو المتأدب هي الثانية وهو حسن سيرته، وإشارة الثاني وهو المتعلم هي الأولى وهو اجتهاده. فاحتوى المعنى على قرينة القرب والتوسط[3].

14- الجمع والتفريق:

ومعناه "أن يُجمع معنيان في لفظ واحد، ثم يُفَرّق"[4].

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[5]. فجمع الله سبحانه وتعالى الليل والنهار في موضع واحد، ثم فرّق بينهما فجعل الليل على حدة، والنهار على حدة.

15- الجمع مع التقسيم:

ومعناه "أن يجمع متعدد في حكم ثم يقسم، أو يقسم ثم يجمع"[6].

فمثال الجمع ثم التقسيم قول الشاعر:

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ :. تَشْقَى بِـهِ الرُّومُ والصُّلْبَانُ البِيَـعُ.

لِلسَّبْيِ مَا نَكَحُوا، والقَتْلِ مَا وَلَدُوا :. والنَهْبِ ما جَمَعُوا والنَار مَا زَرَعُوا.

---

[6]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 248، 249، والأصول الوافية، المنزلي، ص: 308.
[1]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 248، 249، والأصول الوافية، المنزلي، ص: 308.
[2]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 249، وينظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: 131.
[3]– ينظر: الأصول الوافية، ص: 308.
[4]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 249، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 406.
[5]– سورة الإسراء، الآية: 12.
[6]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 249.

فأجمل الشاعر في البيت الأول شقاء الروم والصلبان والبَيع، ثمّ فصله وقسمه في البيت الثاني[7].

ومثال التقسيم ثم الجمع قول الشاعر أيضا:

قَوْمٌ إذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُم .: أو حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِم نَفَعُوا.

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُم غَيْرُ مُحْدَثَـــةٍ .: إنَّ الخَلاَئِقَ – فاعلم- شَرُّها البِدَعُ.

فصفة الممدوحين مقسمة ومفصلة في البيت الأول، ثم جمعها في البيت الثاني عندما أشار بقوله (سجية تلك)[1].

16- الجمع مع التفريق والتقسيم:

وهو اجتماع الجمع والتفريق والتقسيم في موضع واحد.

ومثاله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[2].

فالجمع في هذه الآيات يتمثل في قوله (لا تكلم نفس) فـــ (نفس) واقعة في سياق النفي وهي عامة.

والتفريق وهو قوله (فمنهم شقي وسعيد)، وأما التقسيم فقوله (فأمّا الذين شقوا إلى آخر الآية الثانية)[3].

وهذه المصطلحات – كما سبق وذكرنا- أجملها عبد الرحمان الأخضري (ت.983 هـــ) في بيت واحد عندما قال:

جَمْعٌ وَتَفْرِيقٌ وتَقْسِيمٌ وَمَعْ كِلَيْهِمَا أَوْ وَاحِدٌ جَمْعٌ يَقَعْ[4].

17- اللف والنشر:

---

[7]– المصدر نفسه، ص: 249، 250.

[1]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 250.

[2]– سورة هود، الآيات: 105، 106، 107، 108.

[3]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، علي بن محمد الجرجاني، ص: 250، والإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 408، ومواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح، أحمد المغربي، ج:2، ص: 528، 529.

[4]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 731.

ومعناه "أن يذكر متعدد، ثم يُتمّ بمتعدد آخر إما على ترتيبه...أو على غير ترتيبه"[5].

ويعرّفه الخطيب القزويني (ت. 739 هـ) بقوله: "هو ذكر متعدد على جهة التفصيل، أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأنّ السامع يرّده إليه"[1].

واللّف أنواع مرتب، ومعكوس ومختلط، فالأول مثاله قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[2].

وإنما قيل عنه مرتب لأن السكن يناسب الليل، وابتغاء الفضل والاسترزاق يناسب النهار، ومثال الثاني قولنا: محمد شمس وأسد وبحر جودا وشجاعة وبهاء، فالشمس وقعت أولا يُقابلها البهاء ووقع آخرا، وبعكسه البحر الذي وقع آخراً ويقابله الجود الذي جاء أولا، وأما مثال الثالث نحو قولنا: محمد شمس وأسد وبحر جواد وبهاء وشجاعة[3].

وأما النشر فمثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾[4] معناه أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان يهوديا، وقالوا النصاري لن يدخل الجنة إلاّ من كان نصرانيا[5].

ويذكر الأخضري (ت.983هـ) مصطلح اللف والنشر في قوله:

واللَّفُ والنَّشْرُ والاسْتِخْدَام :. .....[6].

ولم يمثل لهما أو يشرحهما بل اكتفى بذكرهما فقط.

18- الاستخدام:

معناه "أن يكون للكلمة معنيان فتحتاج إليهما، فتذكرها وحدها تخدم للمعنيين"[7]، ويعرّفه الخطيب القزويني (ت.739 هـ) بقوله: "أن يراد بلفظ له معنيان أحدَهما، ثم بضميره معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميَريْه أحدُهما وبالآخر الآخر"[8].

---

[5]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 250، 251.
[1]– الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 403.
[2]– سورة القصص، الآية: 73.
[3]– ينظر: الأصول الوافية، المنزلي، ص: 308، وينظر: عقود الجمان في علم المعاني والبيان، السيوطي، ص: 4، مخطوط.
[4]– سورة البقرة، الآية: 111.
[5]– ينظر: الأصول الوافية، المنزلي، ص: 308.
[6]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 731.

ومثاله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[1].

ففي هذه الآية، تحتمل الصلاة أن تكون موضعا أو فعلا، فاستخدم الله سبحانه وتعالى الصلاة بلفظ واحد لأنه أضاف إلاّ عابري سبيل الذي يحمل دلالة موضع الصلاة، وعندما قال (حتى تعلموا ما تقولون) فدّل على فعل الصلاة[2].

فالاستخدام يدل على استعمال لفظ له معنيان فأكثر بمعنى وإعادة الضمير أو الإشارة إليه بمعنى آخر أو ذكر أحد ضميريه بمعنى، والآخر بمعنى آخر، وقد تكون المعاني حقيقية أم مجازية أم مختلفة نحو قولنا: شربت من العين وتصدقت منها بدينار فالعين التي شُرب منها تدل على العين الجارية، والعين التي تُصدِّق منها تدل على الذهب وأشير إليها بـــالضمير (منها)[3].

وأشار الأخضري إلى مصطلح الاستخدام بقوله:

واللف والنشر والاستخدام:. .....[4].

19- التجريد:

ويعني "أن يقدّر لشيء صفات ثم ينزع منها صفة "[5].

ويعرّفه القزويني (ت.739 هـــ): "هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كما لها فيه" [6].

---

[7] – البديع في البديع، ابن منقذ، ص: 126، وينظر: أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، زكريا الأنصاري، ص: 21، مخطوط.

[8] – الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 402، وينظر: منظومة في علمي البيان والمعاني، لمجهول، ص:41.

[1]– سورة النساء، الآية: 43.

[2]– يتنظر: البديع في البديع، ابن منقذ، ص: 126، 127.

[3]– ينظر: الأصول الوافية، المنزلي، ص: 308.

[4]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 731.

[5]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 252، وينظر: أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، زكريا الأنصاري، ص: 22، مخطوط، وينظر: شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلي، ص: 207.

[6]– الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 410.

ومثال التجريد قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[1]، أي من جملة صفات جهنم أنها دار الخلد للكفار، أي يخلدون فيها.

وللتجريد أقسام، منه ما ذكرناه في هذه الآية، ومنه قولنا: لي من فلانٍ صديقٌ حميمٌ، أي أنّه بلغ من الصداقة مبلغا صحّ معه أن يستخلص منه صديق آخر، أو له صفات من جملتها الصداقة.

ومنه قسم قد يذكر فيه المنتزع منه ويضمر المنتزع كقولنا: لئن سألت فلانا لتسألنّ به بحرًا، معناه جرّد وانتزع حاجتك من صفاته، لأنه بحر، والبحر يوجد فيه كل الحوائج[2].

وقد أشار عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) بقوله:

وَاللَّفُ والنَّشْرُ والاسْتِخْدَامُ :. أَيْضًا وَتَجْرِيدٌ لَهُ أَقْسَامُ [3].

ولم يتطرّق الأخضري (ت.983هـ)، إلى تعريف هذا المصطلح أو التمثيل له إلاّ ما قاله في أنّ له أقسام.

20- المبالغة:

وهي "أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له"[4].

ويعرّفها ابن منقذ (ت. 584 هـ) بقوله: "اعلم أنّ المعنى إذا زاد عن التّمام سمّي مبالغة وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم، فسمّاه قوم: الإفراط والغلّو والإيغال والمبالغة وبعضه أرفع من بعض"[5].

---

[1]– سورة فصلت، الآية: 28.
[2]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 252، والإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 410.
[3]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 731.
[4]– نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: 141، وينظر: الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص: 403.
[5]– البديع في البديع، ص: 155.

ويعرّفها الخطيب القزويني (ت. 739 هـ): " أن يُدَعَّى لوصف بلوغه في الشدّة أو الضعف حدّا مستحيلا، أو مستبعدا، لئلا يُظّن أنّه غير متناه في الشدة أو الضعف"[1].

ويشير الأخضري (ت. 983هـ) إلى مصطلح المبالغة قائلا:

ثُمَّ المُبَالَغَةُ وَصفٌ يُدَّعَى .: بُلُوغُهُ قَدْرًا يُرَى مُمْتَنِعًا.

أَوْ تَابِعًا وهْوَ عَلَى أنحاءِ .: تَبْلِيغٌ إغْرَاقٌ غُلُوٌّ جَائِي.

مَقْبُولاً أو مَرْدُودًا..... .: .....[2].

إذا كان الأخضري (ت.983هـ) في معظم المصطلحات السابقة يجمعها في بيت واحد، فإنه يتطرق إلى مصطلح المبالغة في بيتين وأزيد، فهو يشير إلى تعريف هذا المصطلح بداية عندما يقول (وصف يُدَّعى بلوغه قدرًا) فقد يكون ممكنا أو يكون ممتنعا أو مستحيلا.

ثم يتطرق إلى أنواعها في البيت الثاني عندما يقول (وهو على أنحاء) وهي: التبليغ والإغراق والغلو، ثم يضيف (مقبولا أو مردودًا) يعني أن الوصف المدعّى قد يكون ممكنا مقبولا، أو مستحيلا مردودًا، ومنه تأتي المبالغة المقبولة.

ومعنى التبليغ " أن يكون ممكنا في العادة "[3].

ومثاله قول امرؤ القيس:

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ دراكًا ولم يُنْضَحْ بماء فَيُغْسَلِ.

ففي البيت وصف للفرس الذي أدرك ثورًا ونَعْجَةً وحشيين في مضمار واحد ولم يَعْرَق وهذا ممكن عادةً وعقلا[4].

ومعنى الإغراق ما " لم يمكن في العادة وأمكن في العقل"[5].

---

[1]– الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 412.
[2]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 732.
[3]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 253.
[4]– ينظر: المصدر نفسه، ص:253، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 413.
[5]– المصدر نفسه، ص: 253.

ومثاله قول الشاعر:

وَنُكْرِمُ جَرَنَا مَا دَامَ فِينَا ... وَنُتْبِعُه الكَرَامَةَ حَيْثُ مالا.

فهو يدّعي أنّ جاره لا يميل عنه إلى جهة إلاّ ويتبعه بالكرامة، وهذا غير ممكن عادة، وغير ممتنع عقلا، فهما إذن مقبولان يعني التبليغ والإغراق[1].

وهذا ما أشار إليه الأخضري (ت.93هـ) بقوله (مقبولا)، وقد يأتي مردوداً ومنه: الغلّو: وهو المبالغة في الأوصاف الممتنعة عادة وعقلا.

ومن أمثلته قول أبي الطيب المتنبي:

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهِ عَثِيرًا ... لَوْ تَبْتَغِي عَنَقًا عليه لأَمْكَنَا[2].

ففي هذا البيت تظهر المبالغة في شدة الغبار التي لا يمكن تصوره عادة ولا عقلا.

وقد يخرج الوصف عن حد الغلّو إلى المبالغة المقبولة، منها "ما أُدخل عليه ما يقرّبه الى الصحة، نحو: لفظة « يكاد»"[3].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[4].

ومنها أيضا ما تضمّن نوعا حسنا من التخييل، ومثالها قول الشاعر:

يُخَيَّلُ لي أَنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فِي الدُّجَى ... وَشُدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي[5].

21- التفريع:

ومعناه "أن يثبت المتكلم لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق آخر، وذلك بأن يقصد الشاعر وصفا ما، ثم يفرع منه وصفا آخر يزيد الموصوف توكيدا، على نحو ما نجد في قول ابن المعتز:

---

[1]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 253، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 413.
[2]– المصدر نفسه، ص: 253.
[3]– الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 413.
[4]– سورة النور، الآية: 35.
[5]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 254، والإيضاح في علوم البلاغة، ص: 414.

كَلاَمُهُ أَخْدَعُ مِنْ لَحْظِهِ وَوَعْدُهُ أَصْدَقُ مِنْ كِذْبِهِ"[1].

ففي هذا البيت فرّع الشاعر خداع لَحْظ معشوقه من خداع كلامه، وفرّع كذب طيفه من كذب وعده عندما وصفه[2].

والتفريع عند الخطيب القزويني (ت. 739 هـ) هو "أن يُثْبَت لمتعلق أمرٍ حكمٌ بعد إثباته لمتعلَّقٍ له آخر"[3].

وقد تطرق الأخضري (ت.983هـ) إلى مصطلح التفريع عندما قال:

مَقْبُولاً أَوْ مَرْدُودًا التَّفْرِيعُ :. .....[4].

22- حسن التعليل:

وهو " أن يذكر لوصف علة مناسبة لا في نفس الأمر"[5]، أو هو "أن يُدَّعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي"[6].

ويذكره الأخضري (ت.983هـ) فيقول:

..... :. وحُسْنُ تَعْلِيلٍ له تَنْوِيعُ[7].

ولكنه لم يعرّف مصطلح حسن التعليل أو يمثل له، بل اكتفى بذكره والإشارة إلى أنّ له أنواع عندما قال (له تنويع).

وأنواع حسن التعليل أربعة وهي:[8]

الأول: ما لا يظهر له في العادة علة كقول أبي تمام:

لا تُنكري عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنَى فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكان العالي.

---

[1] – البديع في علم البديع، ابن معطي، ص: 218.
[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 218.
[3]– الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 419، وينظر: عقود الجمان في علم المعاني والبيان، السيوطي، ص: 4، مخطوط.
[4]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 732.
[5]– الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 255.
[6]– الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 415.
[7]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 732.
[8]– ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 255- 257، والإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 415- 419.

ومن خلال البيت يظهر جَعل كون السيل حربا للمكان العالي، علةً لكون الغنى حربا للكريم، ونسبة الغنى إلى الكريم كنسبة السيل إلى المكان العالي كالجبال والتلال.

الثاني: ما يظهر له علة غير المذكورة، كقول أبي الطيب المتنبي:

ما به قتْل أعاديه، ولكن يَتّقى إخلافَ مَا تَرْجُو الذِئَابُ

ويظهر في البيت جعل علة قتل الممدوح أعداءه ما فيه من طبيعة الكرم حتى يقصد في قتله الأعداء ضيافة الذئاب، لا الانتقام من الأعداء.

والثالث: أن يراد إثبات صفة ممكنة بعلة غير معهودة. كقول مسلم بن الوليد:

يَا وَاشِيًا حَسُنتْ فينا إسَاءَتُهُ نَجّى حِذَارُكَ إنْسَاني مِن الغَرْق.

فالشاعر يريد إثبات إحسان الواشي، وهو صفة ممكنة معللة بعلّة غير معهودة، لأن حذاره منه كان سببا لسلامة إنسان عينه من الغرق في الدموع.

والرابع: أن يراد إثبات صفة غير ممكنة بعلة معهودة، ومثاله قول الشاعر:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الجَوْزَاء خدمتَهُ لما رأيت عليها عِقدَ مُنْتَطِق.

معناه أنّ الشاعر أراد أن الجوزاء منطوقة على نيّة خدمة الممدوح، وهي صفة غير ممكنة ومعللة بعلّة غير معهودة، وهي عقد المنطقة في وسطها، وذلك هو المعهود من الخدّام.

23- المذهب الكلامي:

يقول ابن المعتز (ت. 296 هـ): "الباب الخامس من البديع وهو مذهب سمّاه عمر والجاحظ المذهب الكلامي. وهذا باب ما أعلم أنّي وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علُوّا كبيرا"[1].

ويقول الخطيب القزويني (ت. 739هـ): "هو أن يورد المتكلم حجة لما يدّعيه على طريق أهل الكلام"[2].

فمن خلال هذين التعريفين، نستخلص أن المذهب الكلامي هو فن من الفنون البديعية المعنوية، وأول من أطلق هذا المصطلح هو الجاحظ (ت.255 هـ) وأنكر وجوده

[1]– البديع، ابن المعتز، ص: 53، وينظر: الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص: 461.
[2]– الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 414.

في القرآن الكريم، ومعناه الإتيان بحجة على طريقة أهل الكلام بحيث تكون بعد تسليم المقدمات فيها مستلزمة للمطلوب[1].

ومثاله قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2].

فالسماء والأرض لو كان فيهما غير الله الواحد لفسد نظامهما، لأن تعدد الحكام يؤدي إلى فساد المحكوم فيه، فالاستلزام بين التعدد والفساد عادية، والدليل مقنع لحصول بالمقدمات المشهورة، ولو أريد بالفساد عدمهما أي وجود التعدد يستلزم انتفاء السموات والأرض وهو محال للمشاهدة، ووجه الاستلزام لزوم صحة العجز عند التمانع كان الدليل برهانيا[3].

وقد تناوله عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) عندما قال:

وَقَدْ أَتَوْا فِي المَذْهَبِ الكَلاَمِي :. بِحُجَجٍ كَمَهْيَعِ الكَلاَمِ[4].

وكعادته الأخضري يشير إلى المصطلح دون التعريف به، وهو المذهب الكلامي ويذكر ما يأتي ضمنه وهو الحجج.

24- تأكيد المدح بما يشبه الذم:

يستعمل قدامة بن جعفر (ت.337 هـ) مصطلح المدح بما يشبه الذم، ويقول: "لمّا كنّا قدّمنا من حال المديح الجاري على الصواب ما أنبأنا أنّه الذي يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصية، لا بما هو عرضي فيه، وجعلنا مديح الرجال مثالا في ذلك، وذكرنا أن من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية الخاصية كان مصيبا، وجب أن يكون ما يأتي به من المدح على خلاف الجهة التي ذكرناها في النعوت معيبا"[5].

يعني انتقال المدح من أجل المدح إلى المدح من أجل الذم الذي يتصوره القاريء.

ومن أمثلته ما ذكره ابن المعتز (ت.296 هـ) في قول الشاعر:

---

[1]– ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد المغربي، ج: 2، ص: 559.
[2]– سورة الأنبياء، الآية: 22.
[3]– ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد المغربي، ج: 2، ص: 559.
[4]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 732.
[5]– نقد الشعر،ص: 189، وينظر: الجهود البلاغية للتفتزاني في كتابه المطول، ثناء نجاتي محمود عياش، ص:122.

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم بِهِنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الكَتَائِبِ[1].

ومعناه "أن يكون الإنسان آخذا في مدح فيستثني في بعضه فيعتقد السامع أنّ ما بعد الاستثناء يكونُ نوع ذم أو عيب في الممدوح استُثنِيَ منه المادح في مدحه فإذا تكملة الاستثناء توجب تأكيدا للمدح الأول قطعا له"[2].

فمن يقرأ البيت الشعري يظنّ أن الاستثناء الذي ذكره الشاعر وهو (غير أنّ سيوفهم بهن فلول...) هو ذم للمدوحين، إلاّ أنّ ما جاء بعد الاستثناء هو تأكيد للمدح وليس عيبا في الممدوح.

وذكر هذا المصطلح الأخضري (ت.983هـ) حيث قال:

وَأَكَدُّوا مَدْحًا بِشِبْهِ الذَمّ .....[3].

دون أن يعرّفه أو التمثيل له، ثم أشار إلى مصطلح آخر في الشطر الثاني من هذا البيت وهو تأكيد الذم بما يشبه المدح، والذي أشار إليه بقوله (كالعكس) عندما قال:

..... وكالعكس .....[4].

25- تأكيد الذم بما يشبه المدح:

ويتفرع إلى ضربين: أولهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كقولنا: فلان لا خير فيه إلاّ أنه يسيء إلى من يحسن إليه، وثانيهما: إثبات صفة ذم للشيء، والتعقيب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له، كقولنا: فلان فاسق إلاّ أنّه جاهل[5].

---

[1]– البديع،ابن المعتز، ص: 62.
[2]– جوهر الكنز في البديع، ص: 186.
[3]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 732.
[4]– المصدر نفسه، ص: 732.
[5]– ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 422.

فالقاريء ينتظر بعد الاستثناء أن يأتي مدح إلاّ أنه يأتي ذم.

26- الإدماج:

يذكر الأخضري (ت. 983هـ) مصطلح الإدماج قائلا:

..... :. كالعكس والادْمَاجُ مِنْ ذا العِلْمِ[1].

والإدماج يسمّيه ابن قنفذ (ت.584 هـ) بالتعليق أيضا، ومعناه "أن تعلّق مدحا بمدح أو هجوا بهجو، ومعنى بمعنى"[2].

فهو مصطلح أعمّ يعني "تضمين الكلام معنًى غير ما سيق له"[3].

ومثاله قول أبي الطيب المتنبي:

أُقَلِّبُ فِيهِ أجْفَانِي، كَأَنِّي :. أعُدُّ بها على الدَّهْرِ الذُّنُوبَا.

فهو يصف طول الليل، وضمّنه السّكاية عن الدّهر.

27- الاستتباع:

ومعناه "مدح الرجل بشيء على وجه يستلزم مَدْحًا آخر"[4].

ومثاله قول أبي الطيب المتنبي:

نهبْتَ مِنَ الأعْمَارِ مَا لَوْ حويتَهُ :. لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ.

فالشاعر وصف ممدوحه بالشجاعة التي استلزمت كثرة القتل، ثم أضاف إليه لو أنه حوى تلك الأعمار التي نهبها لنفسه لعُمَّر تعميرا في الدنيا يهنيء به الدّهر، لأن سبب صلاح الدهر يكون بقتل مفسديه[5].

وتناول الأخضري (ت. 983هـ) مصطلح الاستتباع. فقال:

وجاء الاستتباع والتوجيه ما :. .....[6].

---

[1] – الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 732.
[2] – البديع في البديع في نقد الشعر، ص: 94.
[3] – ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 258، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 423.
[4] – المصدر نفسه، ص: 258.
[5] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 258، والإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 422، 423.
[6] – الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 732.

PDF-XChange Cliquez pour acheter! http://www.pdfxchange-fr.com

28- التوجيه:

تبع مصطلح الاستتباع عند الأخضري (ت.983هـ) مصطلح التوجيه الذي عرّفه في الشطر الثاني من البيت:

وَجَاءَ الاسْتِتْبَاعُ وَالتَوْجِيهُ مَا .: يَحْتَمِلُ الوَجْهَيْنِ عِنْدَ العُلَمَا[1].

فالتوجيه يحتمل الوجهين عند العلماء، أي "أن يكون الكلام محتملا لوجهين مختلفين"[2] يعني المدح والذم.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾[3].

ففي هذه الآية احتمالان: المدح، أي اسمع حال كونك غير مسمع مكروها من قولهم أسمعت فلانا مكروها، والذم، أي اسمع مدعوّا عليك بلا سمعت[4].

وكذلك قولنا: يا له من شجاع، فقد تدل على الشجاعة، وقد تدل على الجبن إذا ما كان يصارع أحدا وخاف منه.

29- قصد الجد بالهزل:

ومعناه "أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمّه فيُخْرِجُ ذلك مخرج المُجُون"[5]، ويقول ابن معطي (ت. 628 هـ):

وَهَاكَ فِي الهَزْلِ المُرَادُ بِذِكْرِه .: هُنَا الجِدُّ فَانْظُرْ تَسْتَبِنْهُ مِنَ السَّبِ.

إِذَا مَـــــا تَمِيمِيٌّ مُفَاخِـــرًا .: فَقُلْ عَدَّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكْلُكَ لِلضَّبِّ[6].

فهو يشير إلى تعريف الهزل المراد به الجد، ثم يمثّل له في البيت الثاني، والشاهد قوله: (كيف أكلك للضب) فسؤال التميمي عن أكله للضب هو استهزاء به، وهو في الحقيقة جدّ لأن تميما يكثرون من أكل الضبّ ويعيرون به، وأشراف الناس كانوا يعافون أكله[7].

---

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 732.
[2] – الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 259.
[3] – سورة النساء، الآية: 46.
[4] – ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 259، والإيضاح في علوم البلاغة، ص: 424، 425.
[5] - جوهر الكنز في البديع، ص: 190.
[6] - البديع في علم البديع، ص: 235، وينظر: البديع، ابن المعتز، ص: 63.
[7] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 235.

يعني أنّ الكلام يتضمن الهزل الذي يأتي للاستهزاء، والجدّ الذي هو في الحقيقة موجود، وإليه أشار عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) بقوله:

وَمِنْهُ قَصْدُ الجَدَّ بالهَزْلِ كَمَا .: يُثْنَى على الفَخُور ضِدَّ ما اعْتَمَا[1].

يعني (الثناء على الفخور ضدما اعتما) فظاهره الهزل إلاّ أنه في باطنه جدّ.

30- التَجَاهُلُ:

ويسميه العلماء "تجاهل العارف"، فأبو هلال العسكري (ت.395 هـ) يفرد له فصلا في كتابه تحت اسم (تجاهل العارف ومزج الشك باليقين) ويعرّفه بقوله: "هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيدا .. ومثاله من المنثور.. ما كتبته الى بعض أهل الأدب.. سمعت بورود كتابك، فاستفزني الفرح قبل رؤيته، وهز عطفي المرح أمام مشاهدته. فما أدرى أسمعت بورود كتاب، أم ظفرت برجوع شباب"[2].

ويعرّفه ابن منقذ (ت.584 هـ): "هو أن يقول الشاعر لا أدري، وأمثال ذلك من الكلام أو يستفهم ببعض حروف الاستفهام"[3].

وله مصطلح آخر وهو الإعْنَاتُ، ويختص تجاهل العارف ويطلق "على ما يأتي نوعه من النّظم والنثر، وأما الثاني فيطلق على ما يأتي من هذا النوع في الكتاب العزيز أدبًا مع الآيات الكريمة، إذ لا يصحّ إطلاق تسمية تجاهل العارف على شيء من آيات الكتاب العزيز"[4].

ومثّل له ابن المعتز (ت. 296 هـ) بقوله:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي .: أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[5].

وقد تطرق الأخضري (ت.983هـ) إلى هذا المصطلح قائلا:

وَسَوْقُ مَعْلُومٍ مَسَاقَ مَا جُهِلْ .: لِنُكْتَةٍ تَجَاهُلٌ عَنْهُم نُقِلْ[6].

---

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 732.
[2] - الصناعتين، ص: 445.
[3] - البديع في البديع في نقد الشعر، ص: 141.
[4] - جوهر الكنز في البديع، ص: 188.
[5] - البديع، ص: 62، وينظر: البديع في علم البديع، ابن معطي، ص: 232، 233.
[6] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 732.

فاستعمل الأخضري (ت.983هـ) المصطلح المفرد (تجاهل) ونبه قبله الى التعريف وهو سوقُ مَعْلُومٍ مساق ما جهل، ويلتقي في تعريفه مع تعريف السكاكي (ت.626 هـ): " سوق المعلوم مَسَاقَ غيره لِنُكْتَةٍ"[1].

وهو عدّة أقسام منها [2]: التوبيخ ومثاله قول الشاعر:

أَيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا؟ كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ على ابن طَرِيفِ.

ومنها: المدح، كقول البحتري:

أَلَمَعُ بَرْقٍ سَرَى، أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ .: أَمْ ابْتِسَامَتُهَا بِالمَنْظَرِ الضَاحِي.

ومنها: الذم، كقول زهير:

وَمَا أَدْرِي – وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي .: أَقَــوْمٌ آلُ حِصْــنٍ أَمْ نِسَــــاءُ.

ومنها: التشبيه، كقول ذي الرّمة:

أَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جَلاجِــلٍ .: وَبَيْــنَ النقا، أَأَنْتَ أَمْ أُمُّ سَالِــمِ ؟

ومنها: التعريض، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[3].

ومعنى الآية أنّكم لو افتكرتم في أنفسكم وطرحتم الهوى فيما أنتم عليه من ارتكاب المحرمات والفواحش، وفيما النبي وأصحابه عليه من الطاعة وأعمال الخير والأمور النافعة في الدين والدنيا، لعلمتم أنّكم في ضلال مبين، ونحن على الهداية[4].

31- القول بالمُوجَبِ:

وقد أشار الأخضري (ت.983هـ) إلى هذا المصطلح قائلا:

وَالقَوْلُ بِالمُوجَبِ قُلْ ضَرْبَــانِ كِلاَهُمَــا في الفَــنِّ مَعْلُومَــانِ[5].

فهو يذكر المصطلح ويضيف إلى أنّ له ضربان معلومان، ولم يذكرهما لبساطتهما.

والضربان هما:

---

[1] - مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 226.

[2] - ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص:259،260، وينظر: والإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 426، 427.

[3] - سورة سبأ، الآية: 24.

[4] - ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 260، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 427.

[5] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 732.

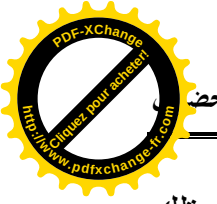
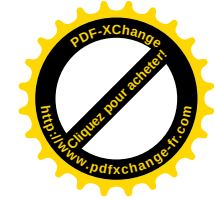

"أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أُثْبِتَ له حُكْمُ، فثَبَت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء، من غير تعرّض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه"[1].

ومثاله قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ففي هذه الآية كناية بالأعز عن فريقهم، وبالأذل عن فريق المؤمنين، وأشبوا الإخراج للأعز، فأثبت الله سبحانه وتعالى في الرد عليهم أنّ صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرّض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا بنفيه عنهم.[3]

والضرب الثاني "حمل لفظٍ وَقَعَ في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلّقه"[4].

ومثاله قول الشاعر:

قــلتُ: ثَقَّلْــتُ إِذْ أَتَيْتُ مــِــرَارًا :. قَالَ: ثَقَّلْتَ كَهلِي بِالأَيادِي.

قُلْتُ: طَوَّلْتُ، قَالَ: لاَ، بَلْ تَطَوَّلْتَ :. وَأَبْرَمْتَ، قَالَ: حَبْلَ ودَادِي.

والشاهد في قوله (ثَقَّلتُ) و (أَبْرمتُ) دون (طَوَّلتُ) و(تطولت)[5].

32- الاطّراد:

ويضيف له ابن منقذ (ت. 584 هـ) مصطلح الاتفاق، وهو "أن يتّفق للشاعر شيء لا يتفق عاجلا كثيرًا"[6]، وهو أيضا" أن يطّرد المتكلم في أسماء متوالية تزيد الممدوح بها تعريفا وتأتي متسقة صحيحة التسلسل، غير منقطعة، ولا متكلفة"[7].

أو "هو ذكر نسب إنسان على الترتيب"[8].

---

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 428.
[2] - سورة المنافقون، الآية : 8.
[3] - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 428، وينظر: أقصى الأماني في علم البيان والمعاني، زكريا الأنصاري، ص: 24، مخطوط.
[4] - المصدر نفسه، ص: 428.
[5] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 428.
[6] - البديع في البديع في نقد الشعر، ص: 134.
[7] - جواهر الكنز في البديع، ص: 213، وينظر: عقود الجمان في علم المعاني والبيان، السيوطي، ص: 8.
[8] - الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 261.

ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم: "الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"[1].

ومثاله أيضا كقول الشاعر:

إنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُم .: بِعُتَيْبَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ شِهَابِ [2].

ويذكر الأخضري (ت.983هـ) مصطلح الاطراد في آخر بيت له في الأبيات التي أفردها للحديث عن فنون الضرب البديعي المعنوي فيقول:

الاطِّرَادُ العَطْفُ بالآبَاء .: لِلشَّخْصِ مُطْلَقًا عَلَى الوَلاَء[3].

فمصطلح الاطراد عنده هو العطف بالآباء للشخص مثل قولنا: محمد بن زيد بن عمرو بن محمد.

وبهذا المصطلح يختم الأخضري حديثه عن الضرب المعنوي لينتقل بعده إلى الضرب اللفظي، وما يلاحظ عنه في هذا الضرب أنه كان يشير إلى المصطلحات فقط دون التعريف بها أو التمثيل لها، وقلما عرّف ببعضها أو مثّل لها كما فعل بمصطلحات: التورية، والمبالغة، والمذهب الكلامي، قصد الجد بالهزل، والتجاهل، والاطراد.

ثانيا: موضوعات البديع الراجعة إلى المقاصد اللفظية:

كان لموضوعات البديع الراجعة إلى المقاصد اللفظية حصة الأسد في منظومته، لأنه خصص في نظمه ستة عشر بيتا للضرب المعنوي، وما يزيد عن ضعفي هذا العدد خصصها للضرب اللفظي.

أولا: الجناس:

أولى المصطلحات التي ذكرها هو مصطلح "الجناس" الذي خصّص له خمسة عشر بيتا من المنظومة والتي يفصّل فيها حديثه عن أنواعه، يبدأ بقوله:

مِنْهُ الجِنَاسُ وَهْوَ ذُو تَمَامِ .: مَعَ اتِّحَادِ الحَرْفِ وَالنِّظَامِ.

ومتماثلا دُعِي إن ائْتَلَفْ .: نَوْعٌ ومُسْتَوْفًى إذَا النَّوْعُ اخْتَلَفْ [4].

---

[1] - الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 261، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 430.
[2] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 430.
[3] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 732.
[4] - المصدر نفسه، ص: 732.

يبدأ الأخضري (ت.983هـ) بذكر مصطلح الجناس ثم ما يتفرع عنه وهو: التام الذي أشار إليه بمصطلح (ذو تمام)، وتعريفه هو اتحاده في الحرف والنظام، وثاني نوع وهو المتماثل، والثالث هو المستوفى ومعناه اختلاف نوعه، والرابع وهو ذو التركيب والذي يأتي منه المتشابه، والمفروق، وذكر المحرّف، والناقص، والمضارع، وجناس القلب يتفرع إلى المجنح والمزدوج ثم ما يلحق الجناس وهو: الاشتقاق، وشبه الاشتقاق.

ومن الجناس أيضا رد العجز على الصدر والذي يكون إمّا مكررا أو مجانسا أو ملحقا بهما. وبالتالي يكون عدد المصطلحات التي ذكرها الأخضري (ت.983هـ) في الجناس فقط هو: أربعة وعشرون مصطلحا يذكرها في باقي أبياته الخاصة بالجناس وهي:

لَنْ يَعْرِفَ الـــــوَاحِدُ إلاّ وَحـــــدًا ... فاخْرُجْ عَنِ الكَوْنِ تَكُنْ مُشَاهِدًا.
وَمِنْهُ ذُو التَّرْكِيبِ ذُو تَشَابُـــــــهِ ... خَطًّا ومَقْـــــرُوقٌ بِلاَ تَشَابُـــــهِ.
وَإِنْ بِهَيْئَـــــةِ الحُـــــرُوفِ اِخْتَلَفَا ... فَهْـــــوَ الَّذِي يَدْعُونَـــهُ المُحَرَّفَا.
وَنَاقِصٌ مـــــعَ اخْتِلاَفٍ فِي العَدَدْ ... وَشَرْطُ خُلْفِ النَّـــــوْعِ وَاحِدٌ فَقَدْ.
وَمَع تَقَـــــارُبٍ مُضَارِعًـــا أُلِفْ ... وَمَـــــعَ تَبَاعُدٍ بِلاَ حـــقٍ وُصِفْ.
وَهْوَ جِنَـــــاسُ القَلْبِ حَيْثُ يَخْتَلِفْ ... تَرْتِيبُهَا للكـــــُلِّ والبَعْضَ أَضِفْ
مُجَنَّحًا يُدْعَـــــى إذَا تَقَاسَمَـــــا ... بَيْتًا فَكَانَـــا فَاتِحًـــا وَخَاتِمَـــا.
وَمَـــــعَ تَوَالِـــي الطَّرَفَيْنِ عُرِفَا ... مُزْدَوِجًـــا كُلُّ جِنَـــاسٍ أُلِفَا.
تَنَـــاسُبُ اللَّفْظَيْـــنِ باشْتِقَـــاقِ ... وشِبْهِـــــهِ فَذَاكَ ذُو اِلْتِحَـــاقِ.
وَيَـــرِدُ التَّجْنِيسُ بِـــالإِشَـــارَةِ ... مِـــنْ غَيْرِ أَنْ يُذْكَرَ فِي العِبَارَةِ.
وَمِنْهُ رَدُّ عَجُـــزِ اللَّفْظِ عَلَـــى ... صَدْرٍ فَفِـــي نَثْرٍ بِفَقْرَةٍ جَـــلاَ.
مُكْتَنِفَـــــًا والنَّظْـــمُ الأَوَّلُ أَوَّلاَ ... آخِرَ مِصْرَاعٍ فَمَـــا قَبْلُ تَـــلاَ.
مُكَرَّرًا مُجَانِسًا وَمَـــــا اِلْتَحَقْ ... يَأْتِي كتَخْشَى النَّاسَ واللَّهُ أَحَقْ.[1]

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 732،733.

فالمصطلحات التي ذكرها الأخضري (ت.983هـ) هي: الجناس، وذو التمام والمتماثل، والمستوفى، وذو التركيب، وذو التشابه، والمفروق، والمحرّف، والناقص والمضارع، واللاحق، وجناس القلب، وقلب الكل، قلب البعض، والمجنّح، والمزدوج والاشتقاق، وشبه الاشتقاق، ذو التحاق، والتجنيس بالإشارة، وردّ عجز اللفظ على الصدر المكرر، المجانس، وما التحق. والجناس هو " أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"[1].

وهذا المعنى أشار إليه عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) عندما ذكر الجناس، ومن أنواعه:

1- التام: ومعناه "أن تتفق الكلمتان في الحروف عددا وهيئة وترتيبا"[2].

وسماه الأخضري (ت. 983هـ) بمصطلح "ذو تمام" ويكون فيه الحرف والنظام متفقين أي متحدين في الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها.

ومثالها كلمة "مثال" التي تطلق في علم التصريف على الفعل الذي اعتلت فاؤه، وعلى الميزان الصرفي.

وفي الجناس التام أنواع منها:

أ- المتماثل: ويطلق عليه العلماء المماثل، وهو ما كان فيه الكلمتان متماثلتين أي اسمين معا أو فعلين معا، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[3].

ب- المستوفى: ويسميه ابن منقذ (ت.584هـ) بالمغاير، "وهو أن تكون الكلمتان اسما وفعلا"[4].

ومثاله قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[5].

---

[1]- البديع، ابن المعتز، ص: 25، وينظر: الصناعتين، ص: 353.
[2]- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 262، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 431.
[3]- سورة الروم، الآية: 55.
[4]- البديع في البديع في نقد الشعر، ص: 26، وينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 263، وينظر: أسرار البلاغة، الجرجاني، ص: 8.
[5]- سورة الروم، الآية: 43.

وهذان النوعان أشار إليهما الأخضري (ت.983هـ)، فالأول دعي متماثلا إن ائتلفت فيه اللفظتان، أما الثاني، فمستوفى إذا اختلف فيه اللفظتان.

ت - المركب: وينقسم التام أيضا إلى بسيط ومركب، فالبسيط، ما تقدم ذكره، المركب وهو "أن يكون أحد اللفظين أو كلاهما مركبا"[1].

ويتفرع بدوره إلى نوعين. أحدهما ما كان مركبا من كلمة وبعض كلمة أخرى، ويسمّى مرفوّا عند القزويني (ت. 739 هـ).

ت-1 - **المتشابه**: وهو ما اتفق فيه اللفظان في الخط، نحو قول الشاعر:

إذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ[2].

ت-2-المفروق: وهو ما اختلف فيه اللفظتان في الخط، ومثاله قول الشاعر:

لاَ تَعْرِضَنَّ عَلَـــى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً :. مَا لَمْ تَكُنْ بَالَغْتَ في تَهْذِيبِهَا.

فَإِذَا عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ :. عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِي بِهَا[3].

وقد ذكر هذه الأنواع الأخضري (ت.93هـ) عندما قال:

ومِنْهُ ذُو التَّرْكِيب ذُو تَشَابُـــــهِ :. خَطًّـــا وَمَفْرُوق بِلاَ تَشَابُـــهٍ[4].

2- الجناس المحرّف:

وهو الذي قال فيه الأخضري (ت.983هـ) أنّ اللفظين تختلف هيئة حروفهما. أي "يختلف اللفظان المتجانسان في شكل الأحرف"[5]، ويسمّى أيضا التحريف ومثال قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ،

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾[6].

---

[1]– البديع في علم البديع، ابن معطي، ص: 102، وينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 263، وينظر: ألفية العربية شعبان الآثاري، ص: 42، مخطوط.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 102: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 432.

[3]– ينظر: المصدرين نفسيهما، ص: 432، 433 وص:102 على الترتيب.

[4]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 732.

[5]– البديع في علم البديع، ص: 103، وينظر: البديع في البديع في نقد الشعر، ص: 39.

[6]– سورة الصافات، الآية: 73.

3- الجناس الناقص:

ويطلق عليه محمد بن أبي بكر الرازي (ت. 673 هـ) بالمختلف والتحريف أيضا "وهو مثل الأوّل في اتفاق الكلمتين في الحروف، إلاّ أنهما تختلفان في حركات بعض الحروف بالحركة والسكون والتخفيف والتشديد"[1].

ولكن نجد التعريف الذي يذكره الرازي (ت. 673 هـ) يخص تعريف المحرّف الذي يتفق عليه معظم العلماء، كابن معطي (ت. 628 هـ)، والقزويني (ت. 739 هـ) ومن ثمّ فتعريف الجناس الناقص فهو ما اختلفت فيه اللفظتان في عدد الحروف فقط[2].

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾[3] فالناقص عند الأخضري (ت.983هـ) ما اختلفت فيه أعداد اللفظتين، وشرط الاختلاف أن يكون في حرف واحد فقط.

وللجناس الناقص نوعين:

أ- **المضارع**: وهو ما أشار إليه الأخضري (ت.983هـ) بلفظ (مع تقارُبِ) أي "الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين"[4]. وهذا التقارب قد يكون في مواضع مختلفة من الكلمة سواء في الأول، أو الوسط أو الآخر، ومثاله: (مسمار ومزمار).

ب- **اللاحق**: وهو ما أشار إليه الأخضري (ت.983هـ) بلفظ (مع تباعد) أي "إن كانا غير متقاربين"[5].

وهذا التباعد أيضا قد يكون في مواقع مختلفة من الكلمة، في الأول، أو الوسط أو الآخر، ومثاله: (سائل ومائل)، و(رَفْضٌ ورَفْع).

---

[1] - روضة الفصاحة، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: خالد عبد الرؤوف الجبر، دار وائل، ط:1، 2005، ص: 85، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص: 1.

[2] – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 434، وينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 264.

[3] – سورة القيامة، الآية: 29، 30.

[4] – الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 435.

[5] – المصدر نفسه، ص: 436.

4- جناس القلب:

وهو "ما اختلفا في ترتيب الحروف"[1]، ويتفرع بدوره إلى فرعين:

أ- **قلب الكل**: وهو ما كان القلب في جميع الأحرف، نحو: (كتف وفتك).

ب- **قلب البعض**: وهو ما كان القلب في بعض الأحرف، نحو قول الشاعر:

مُمَنَّعَةٌ مُنَعّمَةٌ رَداحُ .: يُكَلِّفُ لَفْظُهَا الطَيْرَ الوُقُوعَا[2].

ويظهر أن جناس القلب يتفرع إلى كل وبعض من قول الأخضري (ت.983هـ)

وَهْوَ جِنَاسُ القَلْبِ حَيْثُ يَخْتَلِفْ تَرْتِيبُها لِلْكُلِّ وَالبَعْضَ أَضِفْ[3].

ت- **المجنّح**:

وهو "ما وقع أحد المتجانسين من جناس القلب في أول البيت، والآخر في آخره سمي مقلوبا مجنحا"[4].

وكأن الكلمتين بمثابة الجناحين اللذين يقوم عليهما البيت الشعري وقد ذكر هذا النوع الأخضري (ت.983هـ) فقال:

مُجَنَّحًا يُدْعَى إذَا تَقَاسَمَا .: بَيْتًا فَكَانَا فَاتِحًا وخَاتِمًا[5].

ث- **المُزْدَوج**:

وهو ما كان فيه اللفظتان مقترنتين، كقوله تعالى ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[6].

ويقول فيه الأخضري (ت.983هـ):

وَمَعَ تَوَالِي الطَرَفَيْنِ عُرِفَا .: مُزْدَوِجًا كُلُّ جِنَاسٍ أُلِفَا[7].

ما يلحق بالجناس:

---

[1]– الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 436، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص: 4.
[2]– ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 437.
[3]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 733.
[4]– الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 437.
[5]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 733.
[6]– سورة النمل، الآية: 22.
[7]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 733.

قال الأخضري (ت.983هـ):

تَناسُبُ اللَّفْظَيْنِ باشْتِقَاقِ .: وَشِبْهِه فَذَاكَ ذُو التِحَـــاقِ[1].

أي أن لواحق الجناس هي: الاشتقاق، وشبه الاشتقاق.

يعني أن "يجمع اللفظين الاشتقاق"[2].

ومثاله قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[3].

وشبه الاشتقاق وهو "أن يجمعهما المشابهة"[4].

5- التجنيس بالإشارة:

قال الأخضري (ت.983هـ):

وَيَرِدُ التَجْنِيسُ بالإِشَارة .: مِنْ غَيْرِ أَنْ يُذْكَرَ فِي العِبَارَه[6].

ويظهر من خلال هذا البيت أنَّه يعرّف التجنيس بالإشارة وهو الذي لا يظهر في الجملة أو العبارة، بل يُشار إليه فقط.

ومعناه "أن لا يظهر باللفظ، بل بالإشارة"[7].

ومثاله قول الشاعر:

حُلِقَتْ لِحْيَةُ مُوسَى بِاسْمِهِ .: وَبِهَارُونَ إِذَا مَا قُلِبَـــا.

ومعناه حلقت لحية موسى بموسى، وهو تجنيس تام، وقلب هارون هو نوره وهو مقلوب الكل، فيكون الجناس هنا هو إشارة تَامّة ومقلوبا[8].

وقد عدّ الرازي (ت. 673 هـ) أن هذا الفن من البديع هو "أشرف فنون البديع، وأعلاها رتبة ومنزلة، وما عداها من الفنون فهو في بحرها كما الوشل، وفي وابلها كالطلّ، وفي ربعها كالطلل"[1].

---

[1]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 733.
[2]– الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 437، وينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 267.
[3]– سورة الروم، الآية: 43.
[4]- الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 438، وينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 268.
[6]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 733.
[7]– روضة الفصاحة، ص: 95، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص: 5.
[8]– ينظر: المصدر نفسه ، ص: 95.

فهو يشبه فن التجنيس بالإشارة بالبحر، والفنون البديعية الأخرى هي بمثابة الماء الذي يَنِزُّ أسفل الجبل على سطح الصخور، بسبب الانزلاق الذي يأتي من أعلى الجبل، فيلامس سطحا صخريا لا تراب عليه[2].

ويظهر أن هذا المصطلح جاء متأخرًا، إذ أول ما نجده عند محمد بن أبي بكر الرازي (ت. 673 هـ).

6- ردّ عجز اللفظ على الصدر:

يقول ابن المعتز (ت. 296 هـ): "ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها، وهذا الباب ينقسم على ثلاثة أقسام فمن هذا الباب ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأوّل ... ومنه ما يوافق آخر كلمة منه أوّل كلمة في نصفه الأول ... ومنه ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه"[3].

ويسمّيه الرازي (ت. 673 هـ) بالتصدير والتطبيق أيضا ومعناه "أن يعيد الشاعر أو الكاتب في آخر كلامه كلمة ذكرها في أوّله، إمّا بلفظه، أو بما يقارب لفظها أو بمعناها"[4].

وله مصطلح آخر وهو الترديد وقد ذكره ابن منقذ (ت. 584 هـ)، ويحي بن معطي (ت. 628 هـ)، وهو "رد أعجاز البيوت على صدورها، أو ردّ كلمة من النصف الأول إلى النصف الثاني"[5].

ويقول الأخضري (ت.983هـ):

وَمِنْهُ رَدُّ عَجُزِ اللَّفْظِ عَلَى ... صَدْرٍ ففي نَثْرٍ بفَقْرَةٍ جَلاَ.

مُكْتَنِفًا والنَّظْمُ الأوَّلَ أوَّلاَ ... آخِرَ مِصْدَاعٍ فَمَا قَبْلُ تَلاَ[1].

---

[1]- روضة الفصاحة ، ص: 95.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 95.

[3]– البديع، ص: 47، 48، وينظر: الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص: 429، 430.

[4]– روضة الفصاحة، ص: 106، وينظر: البديع في البديع في نقد الشعر، ص: 85.

[5]– البديع في البديع في نقد الشعر، ص: 85، وينظر: البديع في علم البديع، ابن معطي، ص: 101، 102.

وهو عنده "ردّ عَجُز اللفظ على الصدر" أي أنّه فضّل هذا المصطلح عن باقي المصطلحات الأخرى.

ومن أمثلته في الشعر، قول الشاعر:

تَلْقَى إذَا الأَمْرُ كَانَ عَرَمْرَمًا فِي جَيْشِ رَأى لا يُفَلُّ عَرَمْرَمِ[2].

فتكررت كلمة (عَرَمْرَم) في آخر الصدر والعجز.

وقول الشاعر:

عَمِيدُ بَنِي سُلَيْم أقصدَتْهُ سِهَامُ المَوْت وَهْيَ لَه سهامُ[3].

وقد جاءت كلمة (سهام) في بداية وآخر العجز.

ويقول الشاعر:

سَرِيعٌ إلى ابْنِ العمِّ يَشْتِمُ عِرْضَهُ وَلَيْسَ إلى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ[4].

فرد العجز على الصدر في الشعر "أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حَشْوه، أو آخره، أو صدر الثاني"[5].

وفي النثر هو "أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين، أو الملحقين بهما، في أول الفقرة، والآخر في آخرها"[6].

وهذا ما أشار إليه الأخضري (ت.983هـ) في قوله:

مُكَرَّرًا مُجَانِسًا وَمَا اِلْتَحَقْ يأتِي كتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أحَقْ[7].

فالمكرر ما تكرر فيه اللفظ، والمجانس ما كان بين اللفظين جناس، والملحق بهما ما كان بينهما اشتقاق أو شبهه[1].

فمثال المكرر(أتخاف المعلم وأبوك أحق أن تخافه)

---

[1]– الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص:733.
[2]– البديع، ابن المعتز، ص: 48.
[3]- المصدر نفسه ، ص:48.
[4]- المصدر نفسه، ص: 48، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 439.
[5]- الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 439.
[6]- المصدر نفسه، ص: 438، 439.
[7]- الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 733.
[1]- ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 269، 270.

[2]، ومثال المجانس. كقولهم: سائل اللئيم يرجع معه سائل.

ومثال الملحق قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[1].

وقد مثّل عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) إلى المكرر في البيت السابق.

ثانيا: السجع:

مصطلح السجع هو ثاني المصطلحات التي خصص لها الأخضري (ت.983هـ) سبعة أبيات من المنظومة.

يقول:

والسَّجْعُ في فَوَاصِلٍ في النَثْر مُشْبِهَةٍ قافِيَةً في الشِّعْر[2].

يقول أحد شرّاح منظومة المكودي في البديع: "من الجناس اللفظي السَجع وهو توافق الفاصلتين من النثر على حرف"[3].

أي أن الفاصلة في النثر هي السجع وتشبه القافية في الشعر.

ومثال السجع: "اللهم هب لي حمدا، وهب لي مجدا، فلا مجد الا بفَعالٍ، ولا فعال إلاّ بمال"[4].

فالسجع هو "تَوَاطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[5].

ويتفرع السجع إلى ثلاثة أنواع:

أ- السجع المُطَرَّف:

وهو "أن تكون الكلمتان متفقتين في حرف التسجيع لا في الوزن"[6].

---

[2] - سورة الأحزاب، الآية: 27.
[1] - سورة نوح، الآية: 10.
[2] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 733.
[3] - شرح منظومة الأخضري في البديع، لمجهول، ص: 6.
[4] - أسرار البلاغة، الجرجاني، ص: 12.
[5] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 442.
[6] - روضة الفصاحة، ص: 103، وينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 271.

ومثاله قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[1].

ب - السجع المرصّع:

وهو "أن تكون ألفاظ القرينتين متساوية في الوزن والتقفية "[2].

ومثاله قول الحريري: "فهو يطيع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه"[3].

ت - السجع المتوازي:

وهو " أن تكون كلمتا التّسجيع متفقتين في الوزن وحرف التسجيع"[4].

ومثاله قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾[5].

و "أواخر الكلم من القرآن" لا يقال لها أسجاع وإنما هي فواصل[6].

وقد تطرق الأخضري (ت.983هـ) إلى مصطلح السجع وأنواعه. فقال:

والسَّجْعُ فـي فَوَاصِلٍ فِي النَّثْرِ	مُشْبَهَةٍ قَافِيةً فِـي الشَّعْـرِ.
ضُرُوبُـهُ ثَلاثَـةٌ فِـي الفَـنّ	مُطَرَّفٌ مَـعَ اخْتِلاَفِ الوَزْنِ
مُرَصَّعٌ إنْ كَانَ مَـا فِي الثَّانِيَه	أوْ جُلُّهُ عَلَـى وِفَاقِ المَاضِيَه.
وَمَـا سِوَاهُ المُتَوَازِي فَادْرِي	كَسُرُرٍ مَرْفُوعَةٍ فِـي الذِّكرِ.
أَبْلَـغُ ذَاكَ مُسْتَوٍ فَمَـا يُـرَى	فِيهِ القَرِينَتَيْنِ الأُخْـرَى أَكْثَرَا.
والعَكْسُ إنْ يَكْثُرُ فَلَيْسَ يَحْسُنُ	وَمُطْلَقًا أَعْجَـازُهَا تُسَكَّـنُ.
وَجَعْلُ سَجْعِ كُلِّ شَطْرٍ غَيْرَمَا	فِي الآخَرِ التَّشْطِيرُ عِنْدَ العُلَمَا[7].

فالسجع يأتي في فواصل النثر وهو يشبه قافية الشعر، وضروبه ثلاثة، وهي: المطرّف وهو الذي تختلف فيه الكلمتان في الوزن، والمرّصع وهو ما كانت فيه اللفظتان

---

[1] - سورة نوح، الآية: 13.
[2] - الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 271، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 442.
[3] - المصدرين نفسيهما، ص: 271، وص: 442 على الترتيب.
[4] - روضة الفصاحة، ص: 103، وينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم،محمد حسين سلامة،دار الآفاق العربية، القاهرة، ط:1،2002، ص:15.
[5] - سورة الغاشية، الآية: 13، 14.
[6] - ينظر: روضة الفصاحة، ص: 105.
[7] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 733، 734.

الأولى والثانية متفقتان في جلهما أي في الوزن والتقفية، والمتوازي، وهو ما سوى الضربين السابقين، ومثاله (سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) في الذكر الحكيم مع (أكواب موضوعة).

ويُعدّ الضرب الأخير وهو المتوازي من أبلغ الأضرب، لأن القرينتين متساويتين، وهو يقصد المثال في قوله تعالى: (سرر مرفوعة) و(أكواب موضوعة) وبالعكس إذا كثر فليس يحسن، معناه إذا طالت قرينته الثالثة نحو ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[1]، وكذا قرينته الثانية قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[2].

ثم يشير الأخضري (ت.983هـ) إلى تسكين الأعجاز، "فالأسجاع مبنية على سكون الأعجاز كقولهم: ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت"[3].

ثم يختم الأخضري (ت.983هـ) فصل السجع بمصطلح التشطير وهو " جعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها"[4].

ومثاله قول أبي تمام:

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ، مُنْتَقِمٍ للهِ، مُرْتَغِبٍ فِي اللهِ، مُرْتَقِبِ[5].

ويكون الأخضري (ت.983هـ) قد استعمل خمسة مصطلحات في فصل السجع وهي: السجع، والمطرّف، والمرصّع، والمتوازي، والتشطير.

ثالثا: الموازنة:

مصطلح الموازنة هو ثالث مصطلح تناوله الأخضري (ت.983هـ) في نظمه، وخصصّ له ثلاثة أبيات. يقول:

ثُمَّ المُوَازَنَةُ وَهْـــيَ التَّسْوِيَه لِفَاصِلٍ فِي الوَزْنِ لاَ فِي التَّقْفِيَه.
وَهْيَ المماثَلَـــةُ حَيْثُ يَتَّفِـــق فِـــي الوَزْنِ لَفْظَ فَقْرَتَيْهِ فاسْتَفِق.
والقَلْبُ والتَّشْرِيعُ والتِزَامُ مَا قَبْلَ الرَّوِيِّ ذِكْرُهُ لَـــنْ يَلْزَمَـــا [1].

---

[1] - سورة الحاقة، الآية: 30، 31.
[2] - سورة النجم، الآية: 1، 2.
[3] - شرح منظومة البديع للأخضري لمجهول، ص: 7، مخطوط.
[4] - الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص: 7، مخطوط،
[5] - المصدرين نفسيهما، ص: 445، وص: 7 على الترتيب.

ومعناها " أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية" [2].

ويعرف الأخضري (ت.983هـ) مصطلح الموازنة فيذهب إلى أنّه الفاصلتين تتساوى في الوزن ولا تتساوى في التقفية.

ثم يخصّص في البيت الثاني الحديث عن مصطلح آخر هو نوع من الموازنة ألا وهو المماثلة التي يتفق فيها القرينتين في الوزن مع إضافة اتفاقهما في لفظ واحد يكون في بداية القرينتين، ثم ينبّه بلفظ (استفق) وكأنه يحذّر القارئ من الوقوع في الخلط بين الموازنة والمماثلة.

"فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر مما فيها مثل ما يقابله من الأخرى، خصّ باسم المماثلة"[3].

ومثال الموازنة قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[4].

ومثال المماثلة قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[5].

ويذكر الأخضري (ت.983هـ) في البيت الثالث مصطلحي القلب والتشريع فالقلب معناه قراءة الكلمة أو الجملة باتجاهين من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، ومثالها قولنا: ليبيا، وأيضا قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[6].

وأما التشريع فمعناه: "وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما"[7].

ومثاله قول الشاعر:

---

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 734.
[2] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 446.
[3] - المصدر نفسه، ص: 446.
[4] - سورة الغاشية، الآية: 15، 16.
[5] - سورة الصافات، الآية: 117، 118.
[6] - سورة الأنبياء، الآية: 33.
[7] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 447، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع، ص:8، مخطوط.

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدنيّــة، إنَّهــا شَرَكَ الرَّدَى، وقَرَارَةُ الأكْدَار[1].

وأيضا قول الشاعر:

يَا أَيُّهَا المَلِكُ الذِي عَــمَّ الوَرَى مَا فِي الكِرَامِ لَهُ نَظِيرٌ يُنْظَــرُ

لَوْ كَانَ مِثْلُكَ آخَرُ في عَصْرِنَــا مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرٌ مُعْسَرُ.

ويمكن أن يقال:

يَـــا أَيُّهَـــا المَلِكُ الـــذِي مَا فِـــي الكِرَامِ له نَظِيـــرُ.

لـــوْ كَـــانَ مِثْلُكَ آخـــرُ ما كان فـــي الدنيا فقيـــر[2].

ثم يضيف إلى مصطلحي القلب والتشريع والتزام ما قبل الروي ذكره لا يلزم.

وهو بهذا ينبّه إلى لزوم ما لا يلزم، ومعناه "أن يلتزم بحرف واحد قبل الرّوي أو شبهه"[3].

ومثاله قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[4].

ويسمّى أيضا بالتشديد و "هو أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم كالتزام حرف وحركة أو أحدهما يحصل الروي أو السجع بدونه"[5].

ومن التزام الحركة والحرف معا في النظم قول الطغرائي (ت. 514 هـ):

أَصَالَةُ الرَّأيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَلِ وَحِيلَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى العَطَلِ[6].

وبهذا يكون الأخضري (ت.983هـ) قد تناول خمسة مصطلحات وهي: الموازنة، والمماثلة، والقلب، والتشريع، والتزام ما لم يلزم.

رابعا: السرقات:

يفرد الأخضري (ت.983هـ) في نظمه فصلا خاصا بالسرقات ويتضمن سبعة أبيات من المنظومة. يقول:

وَأَخْذُ شَاعِرٍ كَلَامًا سَبَقَهْ هُوَ الذِي يَدْعُونَه بِالسَّرِقَهْ[1].

---

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 448.

[2] - ينظر: توضيح البديع في البلاغة، محمد محمد طه هلالي، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، ط: 1، 1997، ص: 113.

[3] - الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 275.

[4] - سورة الضحى، الآية: 9، 10.

[5] - توضيح البديع في البلاغة، محمد محمد طه الهلالي، ص: 113.

[6] - المرجع نفسه، ص: 113.

والسرقة كما يقول الأخضري (ت.983هـ) هي أخذ الشاعر لكلام سبقه من بعض الشعراء، أو هي "أن يأخذ الشاعر كلام شاعر تقدم عليه"[2].

وكل ما كان مقررا في النفوس، ومتصورًا للعقول، يشترك فيه الفصيح والأعجم، والشاعر، وغيره، فهذا لا يعدّ سرقة[3].

وهذا ما قاله أيضا الأخضري (ت.983هـ):

وَكُلُّ مَا قُرِّرَ فِي الأَلْبَاب أَوْ عَادَةٍ فَلَيْسَ مِنْ ذَا البَاب[4].

ثم يضيف إلى أن السرقات عند العلماء قسمان: خفية وجلية، وهذا يفهم من خلال قوله:

وَالسَّرِقَاتِ عِنْدَهُمْ قِسْمَانِ خَفِيَّة جَلِّيــة والثانـــــي.

تَضَمُّن المَعْنَى جَمِيعًا مُسْجَلاَ إِرَادَةُ اِنْتِحَال مَا قَــدْ نُقِلاَ[5].

فالسرقة قسمان خفية وجلية أي ظاهرة، فالظاهرة ما يؤخذ فيها المعنى كلّه، سواء باللفظ، أو ببعض منه، أو وحدهُ، فإن كان أخذ المعنى كله فهو سرقة محضة ويسمّى أيضا نسخا وانتحالا[6].

ومن أمثلته وجود هذا البيت الشعري في قصيدتين لشاعرين مختلفين وهو:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الجَهْلِ والخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا، أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ[7].

فمعنى كلمة (مسجل) عند الأخضري (ت.983هـ) هو أخذ المعنى كله أو بعضه باللفظ أو وحدّه، والقصد منه هو انتحال الكلام الذي قاله الغير.

يقول الأخضري (ت.983هـ):

بِحَالِــهِ وَأَلْحَقُــوا الــمُرَادِفَا بِهِ وَيُدْعَـــــى مَا أَتَـــى مُخَالِفَا.

لِنَظْمِــهِ إِغَـــارَةً وَحُمِــدَا حَيْثُ مِــنَ السَّابِقِ كَــانَ أَجْوَدَا.

وأَخْذُهُ المَعْنَـــى مُجَرَّدًا دُعِي سَلْخًــا وَ إِلْمَامًا وَتَقْسِيمًا فَعِــي[1].

---

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص:734.
[2] - شرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص: 9، مخطوط.
[3] - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 451.
[4] - الجوهر المكنون في ثلاثة، ص: 734.
[5] - المصدر نفسه، ص: 734.
[6] - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 452، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع، ص: 9، 10، مخطوط.
[7] - ينظر: المصدرين نفسيهما، ص: 453، وص: 10 على الترتيب.

يرمي الأخضري (ت.983هـ) في البيت الأول من هذه الأبيات الى الشاعر الذي يأخذ البيت الشعري ويغيّر في بعض مفرداته وينسب الى نفسه، وهذا النوع يسمى بالإغارة، وهو "أن يبدل الكلمات أو بعضها ما يُرَادفها ... وإن كان مع تغيّر لنظمه أو بعض اللفظ"[2].

ومن أمثلته قول بشار:

مَنْ رَاقَبَ النَاسَ لَمْ يَظْفَر بِحَاجَتِهِ وفاز بالطّيّبَاتِ الفَاتِكُ اللَّهِجُ.

وقال آخر:

مَــنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَــاتَ هَمًّــا وفَازَ باللَّذَةِ الجَسُــــــور.

فالبيت الثاني هو أجود وأخصر من البيت الأول، وهو ممدوح مقبول[3].

وهذا يظهر من خلال قول الأخضري (ت.983هـ) عندما قال أنّ اختلاف نظم البيتين هو الإغارة، وهو مقبول ومحمود إذا كان البيت اللاحق أجود من السابق، ويذهب إلى مصطلح آخر وهو السلخ والإلمام والتقسيم إذا كان أخذ معنى البيت الثاني من معنى الأول مجرّدا من الألفاظ.

ومثاله قول البحتري:

تَصُدُّ حَيَاءً أَنْ تَرَاكَ بِأَوْجُهٍ أَبَى الذَّنْبُ عَاصِيهَا، فَلِيمَ مُطِيعُهَا.

وقول أبي الطيب المتنبي:

وجُرْمٍ جَــــرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَــــلَّ بِغَيْرِ جَارِمِــــهِ العَذَابُ[4].

فبيت المتنبي هو أجود سبكا من بيت البحتري لما فيه من اقتباس[5] في قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[6].

---

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 734.
[2] - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 455، وشرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص: 10، مخطوط.
[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 455، 456.
[4] - ينظر: المصدر نفسه ، ص: 458، 459.
[5] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 459.
[6] - سورة الأعراف، الآية: 155.

وأما التقسيم فقد يحتمل أن يقصد به الأخضري (ت.983هـ) أقسام الإلمام والسلخ وهي أن يكون البيت الثاني أجود من الأول، أو يكون البيت الثاني لا يرقى إلى جودة الأول، أو أن يتشابه الأول مع الثاني[1].

خامسا: السرقة الخفية:

بعد أن خصص الأخضري (ت.983هـ) فصلا يتضمن سبعة أبيات من نظمه للسرقات بصفة عامة، خصص فصلا آخر يتكون من ثلاثة أبيات للسرقة الخفية، يقول:

وَمَا سِوَى الظَّاهِرِ إنْ تَغَيَّرَا مَعْنًى بِوَجْهٍ مَّا وَمَحْمُودًا يُرَى.
لِنَقْلٍ أو خَلْطٍ شُمُولِ الثَّانِـــي وَقَلْبٍ أو تَشَابُـــهِ المَعَانِـــــي.
أحْوَالُـــهُ بِحَسَبِ الخَفَـــــاء تَفَاضَلَتْ فِي الحُسْنِ وَالثَّنَـــاء[2].

ففي البيت الأول يُعَرَّف السرقة الخفية وهي ما لا يَظْهَر في البيت فهي عكس السرقة الجلية أو الظاهرة التي تظهر فيها معنى البيت المأخوذ والمأخوذ منه، ويتطرق في البيت الثاني إلى مصطلحات أخرى وهي: النقل، والخلط، وشمول الثاني، والقلب، وتشابه المعاني.

فأمّا النقل فهو: "أن ينتقل معنى الأول إلى غير محلّه" [3].

ومثاله قول البحتري:

سُلِبُوا، وأشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا.

وقد نقل هذا المعنى أبو الطيب المتنبي إلى السيف فقال:

يَبِسَ النِّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ، فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ[4] والخلط معناه "أن يضاف إلى المعنى ما يحسنّه"[5]. ويسمّى التحسين عند القزويني (ت.739 هـ).

وشمول الثاني ويطلق عليه القزويني (ت.739 هـ) مصطلح المبالغة، وهو أن يكون معنى الثاني أشمل من المعنى الأول، ومثاله قول جرير:

---

[1] - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 459- 462.
[2] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 734.
[3] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 464، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع، ص: 11.
[4] - ينظر: المصدرين نفسيهما، ص: 464، وص: 11 على الترتيب.
[5] - شرح منظومة الأخضري في البديع، ص: 11.

إِذَا غضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُم غِضَابَا.

ويقول أبو نواس:

وَلَيْسَ مِنَ اللهِ بِمُسْتَنْكَـــــرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ[1].

والقلب ومعناه "أنْ يَكُون معنى الثاني نَقيضَ معنى الأول سمّي بذلك لقلب المعنى الى نقيضه"[2].

ومثاله قول الشاعر:

أَجِدُ المَلاَمَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً :. حُبّاً لِذِكْرِكِ، فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ.

ويقول أبو الطيب المتنبي:

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلاَمَـــةً ؟ إِنَّ المَلاَمَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ[3].

ومصطلح تشابه المعاني معناه أن يتشابه المعنيان في البيتين.

وقد تطرق الأخضري (ت.983هـ) إلى هذه المصطلحات، وختم فصل السرقة الخفية بتفاضل أنواع هذه السرقة بحسب الخفاء أي " تفاضل السرقة في الحسن والقبول بحسب مراتب الخفاء فكلّ ما كانت أشدّ خفاء كانت أقرب إلى القبول"[4].

وفي ختام الحديث في فصل السرقات، نجد أنّ الأخضري (ت.983هـ)، قد وظف عدّة مصطلحات، وهي : السرقة، والسرقة الخفية، والسرقة الجلية، والانتحال، والإغارة والسلخ، والإلمام، والتقسيم، والنقل، والخلط ، وشمول الثاني، والقلب، وتشابه المعاني.

سادسا: الإقتباس :

يقول الأخضري (ت.983هـ):

وَالإِقتِبَاسُ أَنْ يُضَمَّنَ الكَلاَم قُرْآناً أَوْ حَدِيثَ سَيِّدِ الأَنَام.

وَالإِقتِبَاسُ عِنْدَهُمْ ضَرْبَان مُحَوَّلٌ وَثَابِتُ المَعَـــــانِي.

---

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 464، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع، ص: 11، مخطوط، وينظر: أقصى الأماني في علم البيان والمعاني، ص: 27، مخطوط.

[2] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 464، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع، ص: 11، مخطوط، وأقصى الأماني في علم البيان والمعاني، ص: 27.

[3] - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 465، وشرح منظومة الأخضري في البديع، ص: 11.

[4] - شرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص: 11.

وَجَائِزُ لِوَزْنٍ أَوْ سِـــــوَاهُ تَغْيِيرُ نَدْرِ اللَّفظ لا مَعْنَاه[1].

يبدأ الأخضري (ت.983هـ) بذكر مصطلح الاقتباس ثم يعرّفه، وهو عنده يتضمن قول الشاعر أو الكاتب كلاما من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف.

فمعنى الإقتباس من " إقْتَبَسَ، أي اسْتَضَاء، وفي المعنى: هو صناعة قريبة من التضمين وفي الاصطلاح هو أن يأتي الشاعر أو الكاتب في كلامه بآية من القرآن أو بكلمة منه، أوْ بحديث نبويّ تزيننا للكلام، وتحسيننا للنظام"[2].

ويذهب القزويني (ت. 739هـ) إلى القول بأن الإقتباس هو : " أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه".[3]

وعبد الرّحمن الأخضري (ت.983هـ) قد وافق العلماء الآخرين في أن الاقتباس أن يتضمن الكلام قرآنا أو حديثا.[4]

والمعنى هو: " المأتى به من القرآن أو الحديث، ومعنى الإيتان بشيء من القرآن على أنّه منه أن يؤتى به على طريق الحكاية ، كأن يقال أثناء الكلام: قال الله تعالى كذا وكذا فهذا خارج عن التضمين، وكذا معنى الإتيان باللفظ على أنه من الحديث.[5]

وينقسم الإقتباس إلى قسمين:

1- إقتباس ثابت: هو: "ما لا ينقل فيه اللّفظ فيه المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر"[6].

2- إقتباس محوّل: وهو عكس الثابت، حيث يقول القز ويني (ت739هـ): ومنه ما هو بخلاف ذلك"[7] بمعنى أن ينتقل اللّفظ إلى غير محله وذلك بتغيير يسير أو بغير تغيير

1- الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص : 735.
2- روضة الفصاحة، الرازي، ص: 72، وينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، ص: 287.
3- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص: 467 .
4- الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص : 735.
5- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، المغربي ص : 683.
6- الإيضاح في علوم البلاغة، ص : 741 ينظر الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، ص: 287.
7- المصدرين نفسيهما، ص: 741و ص: 288 على الترتيب.

فالأخضري (ت.983هـ) قد ذكر الاقتباس وعرفه ووظف مصطلحين للإقتباس وهو المحوّل والثابت.

فمعناه أن الثابت أن يُؤخذ المقتبس من غير تغيير فيه، والمحوّل أن يكون المقتبس مع التغيير، فمثال الأول : قول الحريري: " أنا أنبئكم بتأويله، وأميز صحيح القول من عليله"[1] ومثال الثاني قول الشاعر في رثاء بعض أصحابه:

قد كان مَا خِفْتُ أنْ يَكُونا إنَّا إلىَ الله رَاجِعُونا[2].

وبعد تطرق الأخضري (ت.983) إلى تعريف الاقتباس، عرج إلى نوعية: الثابت والمحوّل، ثمّ ختم الحديث عنه بجواز الاقتباس حتى يوافق الوزن، ولكن التغيير يجوز في تغيير اللفظ لا في المعنى، و نستخلص أن الاقتباس الذي يغير فيه المعنى هو غير جائز وإن لم يصرح به الأخضري (ت.983هـ) إلاّ أنّه يفهم من خلال قوله (جائز لوزن) وبالتالي يكون قد وظف أربعة مصطلحات في هذا الفصل ، وآخر غير مصرّح به.

سابعا: التضمين والحل والعقد:

1- التضمين:

يقول الأخضري (ت.983هـ):

وَالأَخْذُ من شِعْرٍ بِحَذْفِ مَا خَفِي تَضْمِينُهُمْ وَمَا عَلَى الأَصْلِ يَفِي.

لِنُكْتَـــــةٍ جَلِيلَـــــــةٍ وَاغْتُفِـــرَا يَسِيرُ تَغْيِير وَما مِنْهُ يُـــــــرَى.

بَيْتًا فَأَعْلَى باسْتِعَانَةٍ عُـــــــرِفْ وَشَطْرًا أَوَ أَدْنَى بإِيدَاعِ أَلِـــفْ[3].

خصص الأخضري (ت.983هـ) في حديثه عن التضمين والحل والعقد خمسة أبيات من نظمه خصص الثلاثة للتضمين، فيعرّفه في البيت الأول وهو أخذ الشاعر لشعر غيره ويضمنه في شعره.

1- الإيضاح على علوم البلاغة، ص : 467، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع، ص : 12
2- المصدرين نفسيهما، ص : 471، وص : 12 على الترتيب.
3- الجوهر المكنون في ثلاثة فنون ، ص: 735.

أي هو الشاعر في شعره بمصراع أو بيت أو بيتين على طريق العارية لغيره، استعانة بذلك على ما تمام مقصودة وتأكيد معناه"[1].

ويشترط في التضمين" التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء"[2] ومثال التضمين قول الشاعر:

كَانَتْ بُلْهْنِيَةُ الشَبِيبَةِ سَكْرَةً فَصَحَوْتُ واستَبْدَلْتُ سيرةُ مجْمل.

وَقَعَدْتُ انتظرُ الفَنَاءَ كَرَاكِبٍ عَرَفَ المحلَّ، فَبَات دُون المنزل.

فالبيت الثاني منهما هو لمسلم بن الوليد الأنصاري.[3]

ويشير الأخضري (ت.983هـ) في البيت الثاني الوجوه الحسنة في التضمين وهو أن يكون في المُضَمَّن تغييرا يسيرا، ثم يذكر في البيت الثالث نوعي التضمين وهما الاستعانة والإيداع، فالاستعانة معناها أن يزيد الشاعر بيتا فأكثر في قصيدته من كلام غيره، والإيداع أن يضيف شطرا من البيت أو أقل منه. أي أن التضمين يخص "تضمين البيت فما زاد استعانة، وتضمين المصراع فما دونه تارة إيداعا وتارة رفوا"[4].

2- العقد والحل:

يقول الأخضري (ت . 983هـ):

والعَقْدُ نَظْمُ النثر لا بِالاقْتِبَاس والحَلُّ نَثْرُ النَّظْمِ فاعْرِفِ القياس.

واشترطوا الشهر في الكَـلام والمنْع أصل مَذْهب الإمـــام[5].

فمصطلح العقد هو تأليف النثر في شكل نظم أو أبيات شعرية على شرط ألا يكون اقتباس، ومصطلح الحل هو بعكسه أي جعل النص المنظوم في شكل نثر.

فالعقد إذن هو "أن يعقد الشاعر نثر قرآن أو غير"[6]، وهو أيضا "أنْ يُنْظم نثر لا على طريق الاقتباس"[7].

1- روضة الفصاحة، ص: 70، وينظر: جوهر الكنز، ص: 229.
2- الإيضاح في علوم البلاغة، ص : 472، وينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص:13
3- المصدر نفسه،ص: 472.
4- المصدر نفسه،ص: 475.
5- الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 735.
6- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص:291 .

ومثال العقد قال على بن أبي طالب -رضي الله عنه-: " إِنَّكَ إنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ القَضَاءُ وأَنْتَ مَأْجُور، وإنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ القَدَرُ وأَنْتَ مَوْزُور، وإنَّكَ إنْ لَمْ تَسْلُ احْتِسَاباً سَلَوْتَ غَفْلَةً كَمَا تَسْلُو البَهَائِمُ".

فقد أخذ هذا البيت أبو تمام فقال:

أَتَصْبِرُ للبَلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُؤْجَرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوّ البهَائِمِ[1].

وأما الحل فيشترط في قبوله شيئان: " أحدهما أن يكون سَبْكُهُ مُختارا، لا يتقاصَرُ عَنْ سَبْكِ أصلِه، والثاني أن يكون حسن الموقع، مستقرا في محلّه غير قَلِقٍ"[2].

ومثاله قول أبي الطيب المتنبي:

في الخدّ إن عَزَمَ الخليطُ رحيلا مَطَرُ تَزِيدُ بِهِ الخُدُودُ مُحُولاً.

وهذا البيت حلّه أحد الكتاب في وصف السيف فقال" أورثهُ عِشْقُ الرِّقاب تحولاً فَبَلَى والدَّمْعُ مَطَرُ تزيد به الخدود مُحُولاً".[3]

نبّه الأخضري (ت. 983هـ) في آخر الأبيات التي عقدها للكلام على التضمين والحل والعقد أن الشهرة في القوال تجوّز التضمين وإلاّ فهو ممنوع الأخذ من كلام غير مشهور عند أئمة البلاغة.

يقول الأخضري (ت. 983هـ):

إِشَارَةٌ لِقِصّة شِعْرٍ مَثَلْ منْ غيْرِ ذِكْرِهِ فَتَلْمِيحُ كَمَلْ.[4]

ويظهر من خلال هذا البيت الذي خصصه الأخضري (ت. 983هـ) لمصطلح التلميح أنه هو الإشارة لقصة أو شعر أو مثل دون التصريح به، فهو "أن يشار إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذكره"[5]، ومن أمثلته.

7- الإيضاح في علوم البلاغة ، ص: 475.
1- جوهر الكنز في البديع، ص:176.
2- الإيضاح في علوم البلاغة ، ص : 478.
3- المصدر نفسه، ص: 479.
4- الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 735.
5- شرح منظومة الأخضري في البديع ، ص : 14، مخطوط، وينظر: روضة الفصاحة، ص : 141.

يقول ابن المعتز (ت.296هـ):

أترى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت الزوال.
علموا انني مقيم، وقلبي راحلُ فيهم أمام الجمال.
مثل صاع العزيز في أرحا م، ولا يعلمون ما في الرحال.

فأشار هنا إلى سورة يوسف عليه السلام من قصة عزيز مصر مع إخوة يوسف[1].

تاسعا: تذنيب بالألقاب من الفن:

وختم الأخضري (ت.983هـ) منظومة البديع بفصل سماه "تذنيب بالألقاب من الفن" خصص له سبعة أبيات من المنظومة.

ومعنى التذنيب هو" جعل الشيء ذنابة للشيء وتكميلا له والألقاب الأسماء .....ومنه ما يرجع للضرب المعنوي من البديع وما يرجع للفظي"[3].

يقول الأخضري (ت . 983 هـ) :

من ذلك التوشيع والترديد ترتيب اختراع أو تعديد.
كالتائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون.
تطريز أو تدبيج استشهاد إيضاح أبتلاف استطراد.
إحالة تلويح أو تخييل وفرصة تسميط أو تعليل.
تحلية أو نقل أو تختم تجريد استقلال أو تهكم.
تعريض أو إلغاز ارتقاء تنزيل أو تأنيس أو إيماء.
حَسْنُ البَيَانِ وَصْفٌ أوْ مُرَاجَعَهْ حُسْنُ تَخَلُّصٍ بِلاَ مُنَازَعَهْ[2].

ذكر الأخضري (ت.983هـ) عدّة مصطلحات في هذه الأبيات منها الخاصة بالضرب المعنوي ومنها الخاصة باللفظي وهي: التوشيع، والترديد، والترتيب والاختراع والتعديد، ولم يعرّف بهذه المصطلحات إلاّ الأخير منها الذي مثّل له في البيت الثاني بـ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون، ويظهر من خلال هذا المثال أنّ التعديد معناه ذكر الأشياء دون الربط بينها بحروف العطف، ثم أضاف: التطريز

[1] - ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 292، والإيضاح في علوم البلاغة، ص: 479.
[2] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري، ص: 735، 736.

والتدبيج، والاستشهاد، والإيضاح، والائتلاف والاستطراد، والإحالة، والتلويح، والتخييل والفرصة، والتسميط، والتعليل، والتَحْلِية، والنقل، والتختم، والتجريد، والاستقلال، والتّهكم والتعريض، والإلغاز، والارتقاء، والتنزيل، والتأنيس، والإيماء، وحسن البيان، والمراجعة وحسن التخلص.

ومن ثمّ يكون عدد المصطلحات التي ذكرها الأخضري (ت.983 هـ) والتي تضم الضربين المعنوي والبديعي هي: اثنان وثلاثون مصطلحا.

عاشرا: فيما لا يعدّ كذبا:

عقد الأخضري (ت. 983 هـ) فصلا لهذا يتكون من بيتين يقول فيهما:

وَلَيْسَ فِـي الإِيهَـامِ وَالتَّهَكُّـم ... وَلاَ التَّغَالِـي بِسِوَى المحـرّم.

مِنْ كَذِبٍ وفي المِزَاح قَدْ لزِبْ ... بِحَيْثُ لا مِنْـهُ يُعَدُّ مـن الكَذِب[1].

وتتضمن هذه الأبيات أربعة مصطلحات وهي: الإيهام، والتهكم، والتغالي، والمزاح والتي لا تندرج ضمن الكذب ولا تعدّ محرمة، فالإيهام وهو التورية ليس من الكذب لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمازح العجوز بأنّ الجنة لا تدخلها عجوز"[2].

وأما التهكم والتغالي والمزاح فما كانت خالية من المبالغة والكذب فهي مباحة غير محرمة، ولا هي من قبيل الكذب، وهذا ما يرمي إليه الأخضري (ت.983هـ) في هذين البيتين[3].

وفي آخر المنظومة، يعقد الأخضري (ت.983 هـ) فصلا للخاتمة فيقول:

وَيَنْبَغِـي لِصَـاحِبِ الكَـلاَم ... تَأَنُّقٌ فِـي البَـدْءِ وَالخِتَـام.

بِمَطْلَـعٍ حَسَنٍ وَحُسْنِ الفَـال ... وَسَبْكٍ أو بَرَاعَـةِ اسْتِهْـلاَل.

والحُسْنُ فِي تخلّص أو اقْتِضَاب ... وَفِي الذي يَدْعُونَهُ فَصْلَ الخِطَاب.

وَمِنْ سِمَاتِ الحُسْنِ فِـي الخِتَام ... إِرْدَافُـهُ بِمُشْعِـرِ التَّمَـام.

هذا تمـام الجنـة المقصـودة ... مِـنْ صِفَةِ البَلاَغَـة المحْمُـودَهْ.

---

[1] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، الأخضري ، ص: 736.
[2] - ينظر: شرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص: 19.
[3] - المصدر نفسه، ص: 19، مخطوط.

ثُمَّ صَلاَةُ اللهِ طُـــولَ الأمَـد عَلَـــى النَّبيِّ المُصْطَفَى (مُحَمَّد).
وآلِـــهِ وصَحْبِـهِ الأخْيَـــار مـــَا غَرَّدَ المُشْتَاق بِالأسْحَـــار.
وَخَـــرَّ سَاجِدًا إلـــى الأذْقَان يَبْغِـــي وَسِيلَةً إلـــى الرّحْمَن.
ثم بِشَهْرِ الحُجّـَةِ المَيْمُـــون تَتْمِيمُ نِصفِ عَاشِـــرِ القُـرُون[1].

بدأ الأخضري (ت. 983 هـ) الحديث في هذه الأبيات أنّ المتكلم يجب أن يتأنق في كلامه بدايته، ونهايته وذلك بتوفر عدّة شروط وهي: المطلع الحسن، وحسْن الفال والسبك، وبراعة الاستهلال، والحسن في التخلص، والاقتضاب، وفصل الخطاب ومن ثم فهي سَبْعَة مصطلحات وظفها في بداية الأبيات.

فالمطلع الحسن هو الابتداء و"أن يجتهد فيه عمّا يتطير به"[2].

فالشاعر عليه ألا يضمن بداية قصيدته سوء الفال مثلما "روى أنَ ابن مقاتل الضرير أنشد للداعي العلوي قصيدته التي أولها:

موعد أحبابك بالفرقة غدْ.

فقال له الداعي: بل موعد أحبابك، ولك المثل السوء"[3].

ويندرج ضمنه معنى السبك وبراعة الاستعمال وهو "أن يكون مطلع الكلام دالا على الغرض الذي يقصده المتكلم ليكون ابتداء كلامه دالا على انتهائه"[4].

وأما حسن التخلص أو الانتهاء كما يسمّيه البعض فمعناه "قدرة الشاعر أو الكاتب على الانتقال اللطيف مما ابتدأ به الكلام إلى غرضه المقصود دون فصل أو قطع مفاجيء يشعر القاريء باضطراب في معانيه"[5].

ومن هنا فإنّ حسن الابتداء هو براعة الاستهلال، والانتهاء هو حسن التخلص.

---

[1] - شرح منظومة الأخضري في البديع لمجهول، ص: 736.
[2] - الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 293.
[3] - المصدر نفسه، ص: 293، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 484.
[4] - البديع في علم البديع، يحي ابن معطي، ص: 196، وينظر: جوهر الكنز في البديع، ص: 196، ومعجم علوم العربية، محمد ألتونجي، دار الجيل، ط:1، 2003، ص: 112.
[5] - المصدرين نفسيهما، ص: 199، وص: 140 على الترتيب.

ومصطلح الاقتضاب معناه الانتقال من "الفن الذي شُبِّب الكلام به إلى ما لا يلائمه"[1]، ومن "الاقتضاب ما يقرّب من التخلص، كقول القائل بعد حمد الله (أما بعد) قيل: وهو فصل الخطاب"[2] .

فمن خلال تعريفه يظهر أنه فصل الخطاب بين المقدمة ومضمون الكلام ومثاله في قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[3].

ثم أضاف الأخضري (ت. 983 هـ) أن من مظاهر الحسن في اختتام الكلام ذكر ما يرادفه مما يشير إلى نهايته.

ثم وصف نظمه بالجنة التي كان يسعى إلى الوصول إليها، وأردف قوله بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أهله وصحابته الكرام، وآخر بيت من المنظومة ذكر فيه تاريخ الانتهاء من هذا النظم وهو في شهر ذي الحجة في منتصف القرن العاشر الهجري، وهذا ما يستخلص من قوله:

ثُمَّ بِشَهْـــرِ الحُجَّةِ المَيْمُـــــونِ تَتْمِيمُ نِصْفِ عَاشِرِ القرون[4].

---

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 488، وينظر: أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، زكريا الأنصاري ص: 28، النسخة 1.

[2] - المصدر نفسه، ص: 488، وينظر: أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، زكريا الأنصاري، ص: 28، النسخة 1.

[3] - سورة ص، الآية: 49.

[4] - الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، ص: 736.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

خاتمة:

بعد هذه الأشواط التي قطعناها مع منظومة عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) ووازنّا ما جاء فيها مع ما قدمه العلماء القدامى توصلنا إلى النتائج التالية:

-لقد كان يطلق مصطلح البديع في البداية على كل ما هو جديد، والمستطرف الجديد من الفنون الشعرية، وعلى بعض الصور البيانية التي يستعملها الشعراء في أشعارهم، وأطلق كذلك على علوم البلاغة الثلاثة وهي البيان والمعاني والبديع.

- وتشير بعض الروايات إلى أنّ الشاعر مسلم بن الوليد هو أول من أطلق مصطلح البديع -حسب قول أبي الفرج الأصفهاني (ت.356 هـ)- إلاّ أنه أطلق على الشعر المعروف بالبديع، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف، وتبعه فيه جماعة من الشعراء أمثال أبو تمام الطائي.

-وأول من ألف في علم البديع كتابا هو ابن المعتز (ت.296هـ)، ولكن مضمون الكتاب لم يقتصر فيه على الفنون البديعية بل احتوى على فنون علم البيان.

-لقد كان علم البديع تابعا لعلمي المعاني والبيان ولم يستقل عنهما إلا على يد السكاكي (ت.626هـ) في القرن السابع الهجري، حيث عدها من وجوه تحسين الكلام.

-ويعد عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) من العلماء الذين عدّوا علم البديع مستقلا عن العلوم الأخرى، فأفرد له جزءا خاصا في منظومته "الجوهر المكنون في ثلاثة فنون".

-لم يوافق الأخضري (ت.983هـ) بعض العلماء القدامى في اعتبارهم للاستعارة والكناية نوعين من أنواع البديع، كابن المعتز (ت.296هـ) وأبي هلال العسكري (ت.395هـ)، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على أنّه كان دقيقا في توظيف المصطلحات وتصنيفها في أماكنها الخاصة.

-اعتمد الأخضري (ت.983هـ) بصفة جلية على كتاب "الإيضاح في علوم البلاغة" للخطيب القزويني (ت.739هـ) لأنه وظّف مصطلحاته واحتذى على منواله في تقسيمه للمواضيع التي تضمنتها المنظومة.

-منهج الأخضري (ت.983هـ) في منظومته هو منهج تربوي تعليمي لأنه، عقد فنون علوم البلاغة في نظم ليسهل حفظه على الطلبة.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

-يبدو أنّ الأخضري (ت.983هـ) يتملّك زمام قوامة الناظم الذي يصرّف موضوعات البديع وعلم اللّغة العربية طيّعة بين يديه يسوق موضوعاتها كيف يشاء وفق براعة علمية نظمية بالغة الخصوصية، وكيف لا يكون متّصفا بهذه الخصوصية الأدبية العلمية وهو الذي شهد له علماء المشرق العربي بالباع والصيت المنقطع النّظير في حقول الدرس اللّغوي، فهو بحقّ يستأهل الأستاذية في عداد العلماء المصنّفين في الدرس اللّغوي العربي سواء أتعلّق الأمر بزمانه أم بالأزمان التي سبقته.

-ويمكن لنا أن نتبيّن أن الفائدة من درس الأخضري (ت.983هـ) لموضوع البديع ضمن آليات النظم التي تجانس طبيعة كتابة الشّعر تكمن في مدى براعة الناظم في الاحتفاظ بأساسيات موضوعات علم البديع مثلما هو متعارف عليه لدى أعلامه الرواد، لذلك السبب كان الأخضري قد اختار أن يسلك سبيل الخطيب القزويني (ت.739هـ).

-فمن خلال دراستنا لمنظومة الأخضري (ت.983هـ) لم نجده منفردا بمصطلحات خاصة به، بل وظّف مصطلحات سابقيه.

-ولم يتبع منهجا واحدا في منظومته، إذ كان أحيانا يكتفي بعرض المصطلحات فقط مثلما فعل في المطابقة وتشابه الأطراف والموافقة وغيرها، وأحيانا أخرى يعرض المصطلحات ثمّ يعرّفها مثلما فعل في التورية والسجع والموازنة والاقتباس وغيرها، كما كان يمثل للمصطلحات أيضا وتجلّى هذا في مصطلح التعديد ورد عجز اللفظ على الصدر.

-كما كان ينبه أحيانا إلى المصطلحات التي كانت تطلق على المفهوم الواحد، وهذا عندما قال أنّ التورية تدعى بالإيهام وكأنه يريد ـن ينبه القارئ أو السامع إلى أنّ هذين المصطلحين لهما مدلول واحد وليس مختلفين.

-تلك هي النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، ولا يمكننا أن نقول أنّنا أعطينا منظومة البديع من "الجوهر المكنون في ثلاثة فنون" حقها من الدراسة، ولكن يمكننا القول أنها تعد من المصادر المهمة النافعة التي تركها عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ).

-وفي الأخير نرجو أن يلقى هذا العمل القبول من لجنة المناقشة الموقرة التي تكتمل الخطوات الأخيرة منه على يديها، وذلك ما نسعى إليه حتى يقدم البحث إلى القارئ في أحسن صورة.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: المخطوطة.

1- أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، زكريا الأنصاري، مكتبة الأزهر الشريف، مصر، رقم 307405، موجود في مكتبتنا، النسخة الأولى.

2- ألفية العربية، شعبان الآثاري، المكتبة الأزهرية، رقم: 300، موجود في مكتبتنا.

3- شرح منظومة الأخضري في البديع، لمجهول، موجود في مكتبتنا.

4- عقود الجمان في علم المعاني والبيان، السيوطي، موجود في مكتبتنا.

5- مختصر التلخيص، زكريا الأنصاري، الأزهر الشريف، مصر، موجود في مكتبتنا، وهو النسخة الثانية من أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني.

6- منظومة في علمي البيان والمعاني، ابن الشحنه، موجود في مكتبتنا.

ثانيا: المطبوعة.

1- الإبلاغية في البلاغة العربية، سمير أوب حمدان، منشورات عويدات الدولية، بيروت، باريس، 1991.

2- إتمام الدراية لقراء النقاية، السيوطي، ضبط إبراهيم العجوز، دار الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1985.

3- أثر القرآن في الدراسات اللغوية، عبد العال سالم مكرم، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

4- أساليب البديع في البلاغة العربية، شفيع السيّد، دار غريب، القاهرة، ط:1، 2006.

5- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القادر الجرجاني، دار بيروت.

6- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني محمد بن علي بن محمد، دار المعرفة، بيروت.

7- الإرشادات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، 1997.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

8- الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، محمود العالم المنزلي، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط: 1، 1322 هـــ.

9- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط:1،2002.

10- الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات، عمار ساسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط:1،2007.

11- إعجاز القرآن، الباقلاني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، 2005.

12- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2001.

13- الأغاني: أبي الفرج الأصفهاني، شرح: عبد. آ. علي مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1992.

14- الإقتراح في علم أصول النحو، السيوطي جلال الدين، تحقيق: أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط: 1، 1976.

15- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، القزويني، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1، 1996.

16- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جمال عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006.

17- البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: عبد .آ. علي مهّنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1987.

18- البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.

19- البديع والتوازي، عبد الواحد حسن الشيخ، مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ط:1، 1999.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

20- البلاغة العالية، علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، تقديم ومراجعة: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 3، 2002.

21- البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، مصر.

22- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رابح دوب، دار الفجر، القاهرة، ط:2، 1999.

23- البيان والتبيين، الجاحظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1968.

24- تاريخ إفريقيا الشمالية، شارك أندريه جوليان، تعريب: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية، تونس، 1978.

25- تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمار، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، 1998.

26- تعريف الخلف برجال السلف، أبي القاسم الحفناوي، سلسلة العلوم الانسانية والأنيس للنشر.

27- توضيح البديع في البلاغة، محمد محمد طه هلالي، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، ط:1، 1997.

28- التعريفات، الشريف الجرجاني، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيود السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 2003.

29- الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني، وزارة الثقافة والسياحة، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

30- الجهود البلاغية للتفتزاني في كتابه المطول، ثناء نجاتي محمود عياش، دار وائل، الأردن، ط:1،2006.

31- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط: 1، 1999.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

32- جواهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذي البراعة، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، الجزء الأول في البديع، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، مصر، 2000.

33- الجوهر المكنون في ثلاثة فنون، عبد الرحمن الأخضري، دار الكوثر للطباعة والنشر والتوزيع.

34- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، دار ومكتبة الهلال، ودار البحار، بيروت، 2004.

35- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر.

36- دلائل الإعجاز، في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981.

37- روضة الفصاحة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرّازي، تحقيق: خالد عبد الرؤوف الجبر، دار وائل للنشر، ط:1، 2005.

38- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، دار الفكر، بيروت.

39-شرح العلامة الأخضري على سلمه في علم المنطق، عبد الرحمن الأخضري، نقلها الوهراني باعتماد طبعة البابي الحلبي.

40- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

41-شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، أبي القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1986.

42- الصناعتين، أبي هلال العسكري، تحقيق: على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت.

43- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

44- علم البديع بين الإتباع والابتداع، دراسة نظرية وتطبيقية في شعر الخنساء، حسني عبد الجليل يوسف، دار الوفاء، الاسكندرية، ط:1، 2007.

45- علم البديع ودلالات الاعتراض في شعر البحتري، دراسة بلاغية، مختار عطية، دار الوفاء، القاهرة، 2004.

46- العقد البديع في فن البديع، الخوري بولس عوّاد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1881.

47- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط: 5، 1981.

48- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة من بجاية، الغبريني، تحقيق: عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط:1، 1969 .

49- عيار الشعر، ابن طباطبة، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالاسكندرية.

50- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، أبوراس الناصري، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

51- فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، تصنيف: الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر، مراجعة وتقديم: عثمان بدري، منشورات ثالة، ط:1،2002.

52-في البلاغة العربية، علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: 1، 2000.

53- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1999.

54- الكامل في اللّغة والأدّب، المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت.

55- كتاب البديع، ابن المعتز، تحقيق: اغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، ط :2، 1979.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

56- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1، 2006.

57- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

58- الكوكب الزهري في نظم مختصر الأخضري، محمد باي بلعالم، أدرار.

59- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: 3،1994.

60- محاضرات في علم المعاني، محمد بدري عبد الجليل، مكتبة كريدية، بيروت.

61- المختصر في تاريخ الجزائر، صالح فركوس، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط: 2003.

62- مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، الأردن، ط: 1، 2007.

63- المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عمار ساسي، دار المعارف، الجزائر، 2005.

64- المذهب البديعي في الشعر والنقد، رجاء عيد، منشأة المعارف، مصر.

65- المرشد على فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب.

66- المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم العباسي، محمد خليل الخلايلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط:1، 2006.

67- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، دار الكتب ومؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط:1،1983.

68-معجم علوم العربية، محمد ألتونجي، دار الجيل، ط: 1، 2003.

69- معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت.

70- معجم المؤلفين، رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1،1993.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

71-معجم مشاهير المغاربة، ناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر.

72- المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، إنعام نوال عكاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1996.

73- مفتاح العلوم، السكاكي، ضبط وتعليق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1987.

74- مقدمة في صناعة النظم والنثر، شمس الدين محمد بن حسن النواجي، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت .

75- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبي القاسم الأنصاري السجلماسي، تحقيق: أمجد الطرابلسي، مكتبة المعارف، المغرب ط 1، 1980.

76- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، القاهرة، 2004.

77- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1،1987.

78-منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، ط: 3، 1986.

79- الموازنة، الآمدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة.

80- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد المغربي، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 2003.

81- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3، 1962.

82- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل باشل البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

83- وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، عائشة حسين فريد، دار قباء، القاهرة، 2000.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

ثالثا: الرسائل الجامعية.

1- البحث الدلالي عند عبد الرحمن الأخضري من خلال السلم المرونق في علم المنطق، فايزة أحمد طيبي، جامعة الشلف، 2008.

2- الدرس البلاغي عند عبد الرحمن الأخضري، محمد حاج هني، جامعة الشلف، 2007.

3- عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره، عبد الرحمن تبرماسين، جامعة باتنة، 1991.

رابعا: المقـــالات.

1- عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر، المهدي البوعبدلي، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد: 53.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

ملحـــــــــق.

أدرجنا في هذا البحث ملحقا يتضمن أربعة مباحث، أدرجنا في الأول منها: الموضوعات البديعية التي تناولها الأخضري (ت.983هـ) في منظومته، وأما الثاني فيتضمن المصطلحات البديعية التي وظفها، ويحتوي الثالث على نبذة قصيرة من حياة الأخضري (ت.983هـ)، ويند رج ضمن الرابع منظومته البديعية.

أولا: الموضوعات البديعية التي تناولها الأخضري (ت.983هـ):

تناول عبد الرحمن الأخضري عدة موضوعات في منظومته وهي:

1- تعريف علم البديع.

2- الضرب الأول المعنوي:

المطابقة، تشابه الأطراف، الموافقة، العكس، التسهيم، المشاكلة، التزاوج، الرجوع المقابلة، التورية، الجمع، التفريق، التقسيم، الجمع والتفريق، والجمع والتقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، اللف والنشر، الاستخدام، التجريد، المبالغة، التفريع، حسن التعليل المذهب الكلامي، المدح بشبه الذم، الذم بشبه المدح، الإدماج، الاستتباع، التوجيه، قصد الجد بالهزل، التجاهل، القول بالموجب، الاطراد.

3- الضرب الثاني اللفظي:

الجناس، السجع، الموازنة، السرقات، السرقة الخفية، الاقتباس، التضمين والحل والعقد، التلميح، المحسنات البديعية الملحقة، فيما لا يعد كذبا، خاتمة.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

ثانيا: المصطلحات البديعية التي وظفها الأخضري (ت.983هـ).

وظف الأخضري (ت.983هـ) جملة من المصطلحات وهي:

1- المصطلحات الخاصة بالضرب البديعي المعنوي:

الإدماج، الاستتباع، الاستخدام، الاطراد، الإغراق، تأكيد الذم بما يشبه المدح، تأكيد المدح بما يشبه الذم، التبليغ، التجاهل، التجريد، التزاوج، التسهيم، تشابه الأطراف، التفريع التفريق، التقسيم، التوجيه، التورية، الجمع، الجمع مع التفريق والتقسيم، الجمع مع التقسيم الجمع والتفريق، حسن التعليل، الرجوع، العكس، الغلو، قصد الجد بالهزل، القول بالموجب، اللف والنشر، المبالغة، المذهب الكلامي، المردود، المشاكلة، المطابقة، المقابلة، المقبول، الموافقة.

2- المصطلحات الخاصة بالضرب البديعي اللفظي:

الاستعانة، الاشتقاق، الإغارة، الاقتباس، الإلمام، الانتحال، الإيداع، التجنيس بالإشارة، تشابه المعاني، التشريع، التشطير، التضمين، التقسيم، التلميح، الثابت، الجناس، جناس القلب، الحل، الخلط، ذو التحاق، ذو التركيب، ذو التشابه، ذو التمام، رد عجز اللفظ على الصدر، السجع، السرقة، السرقة الجلية، السرقة الخفية، السلخ، شبه الاشتقاق شمول الثاني، العقد، القلب، قلب البعض، قلب الكل، القلب (في السرقة)، اللاحق، لزوم ما لا يلزم، المتماثل، المتوازي، المجانس، المجنح، المحرف، المحول، المرصع، المزدوج المستوفى، المضارع،

المطرف، المفروق، المكرر، المماثلة، الموازنة، الناقص، النقل.

3- المصطلحات البديعية الملحقة:

الائتلاف، الإحالة، الاختراع، الارتقاء، الاستشهاد، الاستطراد، الاستقلال، الإلغاز الإيضاح، الإيماء، التأنيس، التجريد، التحلية، التختم، التخييل، التدبيج، الترتيب، الترديد، التسميط، التطريز، التعديد، التعريض، التعليل، التلويح، التنزيل، التهكم، التوشيع، حسن البيان، حسن التخلص، المراجعة، الفرصة، النقل، الوصف.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

ثالثا: ترجمة عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ).[1]

1- مولده ونسبه:

هو العلامة عبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري البنطيوسي المغربي المالكي.[2]، ويطلق عليه البعض تسمية "أبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ محمد الصغير الأخضري"[3].

ويختلف بعض الباحثين في نسب الأخضري، فأبو القاسم سعد الله يذهب إلى القول أن هناك عائلتين، واحدة تنتمي إلى بنطيوس، والأخرى إلى المقران، وكلاهما تدعيّان الانحدار من نسل الأخضري، أمّا محمد الطمار فيرجع نسبه إلى بطن من بطون الدواودة وهو من أولاد رياح يعرف بالأخضري (ت.983هـ).[4]

ولد الأخضري حوالي عام (920هـ- 1514م) بقرية بنطيوس، وهي إحدى القرى التي تقع ببسكرة وفيها نما وشبّ[5].

2- شيوخه وتلاميذه:

لقد نشأ الأخضري في أسرة علمية توارث أفرادها العلم قرونا، وما ميّزه نبوغه الذي ظهر عنده مبكرا، كما أنّه أثر بشكل بالغ على معاصريه والأجيال اللاحقة، فنهل العلم ممن حوله، كوالده محمد الصغير الذي كان من العلماء البارزين في ذلك الوقت، كما تأثر بجده محمد عامر، وبشقيقه الأكبر.[6]

---

[1]- اكتفينا في ترجمة الأخضري بلمحة موجزة، لأنه تم التعريف به في عدة رسائل جامعية منها: عبد الرحمن الأخضري، حياته وآثاره، تبرماسين، جامعة باتنة، 1991، ماجستير، وأيضا: الدرس البلاغي عند الأخضري، حاج هني محمد، جامعة الشلف، 2007، ماجستير، والبحث الدلالي عند عبد الرحمن الأخضري من خلال السلم المرونق في علم المنطق، فايزة طيبي أحمد، جامعة الشلف، 2008، ماجستير.

[2]- ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج:5، ص: 547.

[3]- ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، دار الفكر، بيروت، ص: 285.

[4]- ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 501، وتاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمار وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص: 236.

[5]- ينظر: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط:1، 1971، ص: 90، وينظر: عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره، تبرماسين.

[6]- ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 500، 501، وينظر: البحث الدلالي عند عبد الرحمن الأخضري من خلال السلم المرونق في علم المنطق، فايزة طبي أحمد، ص: 79 وما بعدها.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

ويذكر عن عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ)، أنّه أخذ العلم عن شيوخ مدينة قسنطينة كالشيخ عمر الوزان الذي جمعت تعاليمه بين العلم والعمل به، وبين التصوف والفقه، وتلقى ورد الطريقة الشاذلية والزروقية على يد الشيخ محمد بن علي الخروبي عند مروره بالزاب (بنطيوس) ودرس على مرابط قرية ليشانة التي توجد قرب مسقط رأسه ويذهب بعض المترجمين له أنه توجه إلى تونس واستفاد من مشايخ الزيتونة، دون أن ننسى عالم قسنطينة عبد الكريم الفكون الجد (ت. 988 هـ).[1]

وقد أثر الأخضري في الكثيرين بعلمه، لأنه قضى حياته في التعليم والكتابة فتخرج على يديه العديد من التلاميذ.

3- مؤلفاته:

قام عبد الرحمن الأخضري بتبسيط آراء شيخه "زروق"، إذ كان والد الأخضري من تلاميذ "زروق"، وقد اشتهرت تآليف الأخضري التي اهتم بها علماء الشرق والغرب وقاموا بشرحها وتدريسها في مختلف الجامعات والمعاهد الإسلامية المشهورة.[2]

فقد كتب الأخضري في مختلف العلوم، إذ ألّف في الحكمة والتصوف، والفقه والمنطق والبيان والكلام والحساب، فنظم "السراج في الفلك" وهو ابن سبع عشرة سنة، كما نظم "أزهار المطالب في علم الاستطرلاب" وهو ابن عشرين سنة.[3]

وكان عبد الرحمن الأخضري متشبعا بالقيم الثقافية والمعرفية الشاملة، فهو عالم صالح زاهد ورع، ذو قدم راسخة في المعقول والمنقول،[4] وقد نظم "شرح السلم" و"الدرة

---

[1] - ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله ، ص: 501، و البحث الدلالي عند عبد الرحمن الأخضري من خلال السلم المرونق في علم المنطق، ص: 80.

[2] - ينظر: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج: 4، ص:79، والبحث الدلالي عند عبد الرحمن الأخضري من خلال السلم المرونق في علم المنطق، فايزة طيبي أحمد، ص: 83.

[3] - ينظر: عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر، المهدي البوعبدلي، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد: 53، ص: 25.

[4] - ينظر: تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناوي، سلسلة الأنيس في العلوم الإنسانية، ج: 1، ص: 72، وينظر: معجم المؤلفين، رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، 1993، ج:2، ص: 119، ومعجم مشاهير المغاربة، ناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ص: 339، 340.

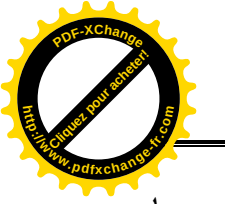
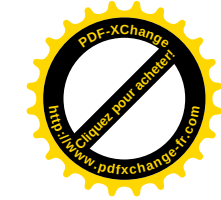

البيضاء" التي نظمها وعمره عشرون عاما والتي تحتوي على خمسمائة بيت قام بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام: حساب، ميراث، قسمة، وطبعت بالمطبعة الثعالبية.[1]

وألف أيضا "مختصر الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك"، و"رسالة في التحذير من البدع"، و"السلم المرونق في علم المنطق"، و"الجوهر المكنون في ثلاثة فنون" في أحسن الفنون والأشياء[2].

كما نظم "المنظومة القدسية" التي خصصها لمتصوفة زمانه والتي تحتوي على ثلاثمائة وسبعة وخمسون (357) بيتا، كما أولى اهتماما كبيراً وبالغا بالمجتمع، فوصف نخبته وحذر من علماء السوء الذين أطلق عليهم اسم العلماء الانتهازيين فقال:

وَاحْذَر عُلَمَـــاء السُـــــوء فَقَدْ خَصُّـوا بـِالفَـكِ وَبِالخَطَـــل.
حَفِظُـــوا الأَقْوَال وَمَا عَمِلُـــوا بِالْعِلْم فَسَـــاءَ الْقَـــــوْمُ قُلْ[3].

ونظم في المنطق "السلم المرونق" فقال معتذرا ومتواضعا:

وَقُلْ لِمَنْ لَمْ يَنْتَصِفْ لِمَقْصِـــدي العُـذْرَ حَـق وَاجِـبِ لِلْمُبْتَـدِي.
وَلِبْني إحْـــدَى وَعِشْرِين سَنَـة مَعْذِرَة مَقْبُولَـة مُسْتَحْسَنَـــة[4].

ولقد كتب الأخضري في اللّغة العربية وعلومها منها "الدرة البهية في نظم الأجرومية" ومنظومة في قواعد الإعراب على كتاب مغنى اللّبيب ولم تذكرها معظم المصادر إذ تكاد تكون مجهولة فجاء في مقدمتها:

هَذَا بِحَمْدِ اللهِ نَظْـــمٌ سَهْـــلٌ مَـــوْرِدُهُ لِلطَالِبِيـــنَ نَهْـــلٌ.
مُعْتَمِدًا عَلَـى كِتَابِ المَعْنَـــى لابْنِ هِشَامِ شَيْـــخُ هَذَا الفَـــنَ[5].

---

[1] - فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ج:2، ص: 194.
[2] - ينظر: معجم أعلام الجزائر، ص: 90، وينظر: الدرس البلاغي عند الأخضري، حاج هني محمد، ص: 161 وما بعدها، وينظر: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، تحقيق: أبي القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1،1987، ص:74.
[3] - مجلة الأصالة، عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية، المهدي البوعبدلي، العدد: 53، ص: 26 و28.
[4] - السلم المرونق في المنطق، الأخضري، مجموع مهمات المتون، ص: 270، 271.
[5] - ينظر: عبد الرحمن تبرماسين، عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره، ماجستير جامعة باتنة، الجزائر، 1991، ص:72.

ونظم في الأدّب وفنونه "اللامية في مدح خالد بن سنان" و"اللامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم" و"التائية النبوية"، وقصيدة في ذكر الأولياء الصالحين وأخرى بعنوان "نصيحة للشباب"[1].

4- وفاتـــــه:

لا تزال سنة وفاة العلامة عبد الرحمن الأخضري غامضة، إذ يختلف جل الباحثين في سنة وفاته، إلاّ أنّه أجمع المترجمون له على أنّه لم يعمّر طويلا، وقد اكتشف أحد أفاضل علماء بسكرة وثيقة تدل على أنه توفي سنة (981هـــ)[2]، ومنهم من يرجح وفاته إلى سنة (ت.983هـــ)[3]، ومنهم من يذهب إلى أنّه عاش ثلاثا وثلاثين سنة فقط، أي أنّه من مواليد (920هـــ) وتوفي سنة (953 هـــ)، والمرّجح من بين كل الروايات أنّ معظم الباحثين يذهب إلى أنه توفي سنة (983 هـــ)، ودفن بقرية بنطيوس وضريحه مشهور ومزار في هذه القرية[4].

رابعا: المنظومة البديعية من "الجوهر المكنون في ثلاثة فنون".

الفن الثالث: علم البديع.

عِلْمٌ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِين الكَلَام ... يُعْرَفُ بَعْدَ رَعْيِ سَابِق المَرَام.

ثُمَّ وُجُوهُ حُسْنِهِ ضَرْبَـــان ... بِحَسَبِ الأَلْفَاظِ وَالمَعَـــــــانِي.

---

[1] - ينظر: الدّرس البلاغي عند عبيد الرحمن الأخضري، حاج هني محمد، ماجستير جامعة الشلف، 2007، ص:154، 155، 156.

[2] - عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر، المهدي البوعبدلي، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد: 53، ص: 26، 283

[3] - ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ص: 547، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، ج: 2، ص:119.

[4] - ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 500، وينظر: عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر، المهدي البوعبدلي، مجلة الأصالة، العدد: 53، ص: 25، وينظر: البحث الدلالي عند عبد الرحمن الأخضري من خلال السلم المرونق في علم المنطق، فايزة طيبي أحمد، ص: 81، ماجستير.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

الضرب الأول المعنوي:

وعُدَّ مِنْ أَلْقَـــــابِهِ المُطَابَقَـــة تَشَابُـــه الأَطْـــرَافِ والمُوَافَقَـــه.
وَالعَكْسُ والتَّسْهِيم والمُشَاكَلَـــه تَزَاوُجٌ رُجُـــوعٌ أو مقـــابَلَـــــة.
تَوْرِيَةٌ تُدْعَـــــى بإِيهَامٍ لِمـــــَا أُرِيـــدَ مَعْنَـــاهُ البَعِيـــدُ مِنْهُمَـــا.
وَرُشِّحَتْ بِمَا يُلاَئِـــمُ القريـــب وجُـــرِّدَتْ بِفَقْدِهِ فَكُـــن مُنِيـــب.
جَمْعٌ وَتَفْرِيقٌ وتَقْسِيمٌ وَمَـــــعْ كِلَيْهِمَـــا أَوْ وَاحِدٌ جَمْعٌ يَقَـــــعْ.
وَاللَّفُ والنَّشْرُ والاسْتِخْـــــدَامُ أَيْضًـــا وَتَجْرِيدٌ لَـــهُ أَقْسَـــــامُ.
ثُمَّ المُبَالَغَةُ وَصْـــفٌ يُدَّعَـــــى بُلُوغُـــهُ قَـــدْرًا يُـــرَى مُمْتَنِعًا.
أَوْ تَابِعًا وهْوَ عَلَـــى أنحـــــاءِ تَبْلِيغٌ إغْـــــرَاقٌ غُلُـــوٌّ جَائِـــي.
مَقْبُولاً أَوْ مَرْدُودًا التَّفْرِيـــــعُ وحُسْـــنُ تَعْلِيـــلٍ لـــه تَنْوِيـــعُ.
وَقَدْ أَتَوْا فِي المَذْهَبِ الكَلاَمِي بِحُجَـــــجٍ كَمَهْيَـــعِ الكَـــــلاَمِ.
وَأَكَـــدُّوا مَدْحًـــا بِشِبْهِ الـــذَمّ كالعكس والادْمَاجُ مِـــنْ ذا العِلْمِ.
وَجَاءَ الاسْتِتْبَاعُ وَالتَوْجِيهُ مَـــا يَحْتَمِلُ الوَجْهَيْنِ عِنْـــدَ العُلَمَـــا.
وَمِنْهُ قَصْدُ الجَدَّ بالهَزْلِ كَمَـــا يُثْنَى على الفَخُور ضِدَّ ما اعْتَمَا.
وَسَوْقُ مَعْلُومٍ مَسَاقَ مَا جُهِلْ لِنُكْتَـــةٍ تَجَاهُـــلٌ عَنْهُـــم نُقِـــــل.
وَالقَوْلُ بِالمُوجَبِ قُلْ ضَرْبَانِ كِلاَهُمَـــا فـــي الفَـــنَّ مَعْلُومَـــان.
الاطِّـــرَادُ العَطْـــفُ بالآبَـــاء لِلشَّخْصِ مُطْلَقًـــا عَلَـــى الـــوَلاَء.

الضرب الثاني اللفظي:

مِنْهُ الجِنَـــاسُ وَهْـــوَ ذُو تَمَـــامٍ مَعَ اتِّحَـــادِ الحَـــرْفِ وَالنِّظَـــــام.
ومتماثـــلا دُعِـــــي إن ائْتَـــلَفْ نَوْعٌ ومُسْتَوْفًى إِذَا النَّوْعُ اخْتَلَفْ.
لَـــنْ يَعْرِفَ الوَاحِـــدُ إلاَّ وَاحِـــدًا فَاخْرُجْ عَنِ الكَوْنِ تَكُنْ مُشَاهِـــدًا.
وَمِنْهُ ذُو التَّرْكِيـــبِ ذُو تَشَابُـــهِ خَطًّا ومَفْـــــرُوقٌ بِـــلاَ تَشَابُـــــهِ.
وَإِنْ بِهَيْئَـــــةِ الحُـــرُوفِ اِخْتَلَفَا فَهْـــــوَ الَّذِي يَدْعُونَـــــهُ المُحَرَّفَا.
وَنَاقِصٌ مـــعَ اخْتِلاَفٍ فِي العَدَدِ وَشَرْطُ خُلْفِ النَّـــــوْعِ وَاحِدٌ فَقَدْ.
وَمَعَ تَقَـــارُبٍ مُضَارِعًـــا أَلِـــفْ وَمَـــــعَ تَبَاعُدٍ بِلاَ حَـــقٍ وُصِفْ.

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

وَهْوَ جِنَـــــاسُ القَلْبِ حَيْثُ يَخْتَلِفْ ... تَرْتِيبُهَا للكـــــُلِّ والبَعْضَ أضِفْ
مُجَنَّحًا يُدْعَـــــى إذَا تَقَاسَمَـــــــا ... بَيْتًا فَكَانَـــا فَاتِحًـــا وَخَاتِمـــــَا.
وَمَـــــــعَ تَوَالِـــي الطَّرَفَيْنِ عُرِفَا ... مُزْدَوِجًـــا كُلُّ جِنَـــــاسٍ أُلِفَـــا.
تَنَـــــاسُبُ اللَّفْظَيْـــــنِ باشْتِقَـــاقِ ... وشِبْهِـــــــــهِ فَذَاكَ ذُو اِلْتِحَـــاقِ.
وَيَـــــرِدُ التَّجْنِيسُ بِـــالإِشَـــــارَةِ ... مِـــنْ غَيْرِ أَنْ يُذْكَرَ فِي العِبَـــارَةِ.
وَمِنْهُ رَدُّ عَجُـــــزِ اللَّفْظِ عَلَـــــى ... صَدْرٍ فَفِـــــي نَثْـــرٍ بِفَقْرَةٍ جَـــلاَ.
مُكْتَنِفَـــــــــًا والنَّظْـــمُ الأَوَّلُ أَوَّلاَ ... آخِرَ مِصْـــرَاعٍ فَمَـــــا قَبْـــلُ تَلاَ.
مُكَرَّرًا مُجَانِسًا وَمَـــــــا اِلْتَحَـــقْ ... يَأْتِي كتخْشَـــى النَّاسَ واللَّـــهُ أَحَقْ.

فصل في السجع:

والسَّجْعُ في فَوَاصِـــلٍ في النَثْـــرِ ... مُشْبِهَـــةٍ قافِيَـــــةً فـــي الشِّعْـــرِ.
ضُرُوبُـــهُ ثَلاَثَـــةٌ فِـــــي الفَـــنِّ ... مُطَرَّفٌ مَـــعَ اخْتِـــلاَفِ الـــوَزْنِ
مُرَصَّعٌ إنْ كَانَ مَـــا فِـــي الثَّانِيَه ... أَوْ جُلُّهُ عَلَـــى وِفَـــاقِ المَاضِيَـــه.
وَمَـــــا سِوَاهُ المُتَوَازِي فَـــادْرِي ... كَسُـــرُرٍ مَرْفُوعَةٍ فِـــــي الذِّكْـــرِ.
أَبْلَـــــغُ ذَاكَ مُسْتَوٍ فَمَـــا يُـــرَى ... فِيـــهِ القَرِينَتَيْنِ الأُخْـــرَى أَكْثَرَا.
والعَكْسُ إنْ يَكْثُرُ فَلَيْسَ يَحْسُـــنُ ... وَمُطْلَقـــًا أَعْجَـــــازُهَا تُسَكَّـــــنُ.
وَجَعْلُ سَجْعِ كُلِّ شَطْـــرٍ غَيْرَمَا ... فِي الآخَرِ التَّشْطِيرُ عِنْدَ العُلَمَـــا.

فصل في الموازنة:

ثم المُوَازَنَةُ وَهْـــيَ التَّسْوِيَـــــه ... لِفَاصِلٍ فِي الوَزْنِ لاَ فِي التَّقْفِيَـــه.
وَهْيَ المماثَلَـــةُ حَيْثُ يَتَّفِـــــق ... فِي الوَزْنِ لَفْظَ فَقْرَتَيْهِ فاسْتَفِـــق.
والقَلْبُ والتَّشْرِيعُ والتِزَامُ مَـــا ... قَبْلَ الرَّوِيِّ ذِكْـــرُهُ لَـــنْ يَلْزَمَـــا.

السرقات:

وَأَخْـــذُ شَاعِـــرٍ كَلاَمًا سَبَقَـــهْ ... هُـــــوَ الذِي يَدْعُونَـــه بِالسَّرِقَـــهْ.
وَكُلُّ مَـــا قُرِّرَ فِـــي الأَلْبَـــاب ... أَوْ عَـــادَةٍ فَلَيْـــسَ مِنْ ذَا البَـــاب.
وَالسَّرِقَـــاتِ عِنْدَهُمْ قِسْمَـــــانِ ... خَفِيَّـــــةٌ جَلِيَـــــةٌ والثانـــــــي.
تَضَمُّنُ المَعْنَى جَمِيعًا مُسْجَلاَ ... إِرَادَةُ اِنْتِحَالِ مَـــا قَـــــدْ نُقِـــلاَ .

PDF-XChange
Cliquez pour acheter!
http://www.pdfxchange-fr.com

بِحَالِــهِ وَأَلْحَقُــوا الــمُرَادِفَا ... بِهِ وَيُدْعَـــــى مَا أَتَــى مُخَالِفَا.
لِنَظْمِــهِ إِغَـــارَةً وَحُمِــدَا ... حَيْثُ مِــنَ السَّابِقِ كَــانَ أَجْوَدَا.
وأَخْذُهُ المَعْنَــى مُجَرَّدًا دُعِي ... سَلْخًــا وَ إِلْمَامًا وَتَقْسِيمًا فَعِــي.

السرقة الخفية:

وَمَا سِوَى الظَّاهِرِ إِنْ تَغَيَّرَا ... مَعْنًى بِوَجْهٍ مَّا وَمَحْمُودًا يُرَى.
لِنَقْلٍ أو خَلْطٍ شُمُولِ الثَّانِــي ... وَقَلْبٍ أو تَشَابُــهِ المَعَانِـــــي.
أَحْوَالُــهُ بِحَسَبِ الخَفَـــــاء ... تَفَاضَلَتْ فِي الحُسْنِ وَالثَّنَـــاء.

الاقتباس:

وَالإِقْتِبَاسُ أَنْ يُضَمَّنَ الكَــلاَم ... قُرْآنًا أَوْ حَدِيــثَ سَيِّــدِ الأَنَــام.
وَالإِقْتِبَاسُ عِنْدَهُمْ ضَرْبَـــان ... مُحَــوَّلٌ وَثَابِــتُ المَعَـــانِي .
وَجَائِزٌ لِوَزْنٍ أَوْ سِـــــوَاهُ ... تَغْيِيــرُ نَدْرِ اللَّفظ لا مَعْنَـــاه

التضمين والحل والعقد:

وَالأَخْذُ من شِعْرٍ بِحَذْفِ مَا خَفِي ... تَضْمِينُهُمْ وَمَا عَلَى الأَصْلِ يَفِي.
لِنُكْتَـــةٍ جَلِيلَـــةٍ وَاغْتُفِــرَا ... يَسِيرُ تَغْيِيرٍ وَمَــا مِــنْهُ يُــرَى .
بَيْتَــا فَأَعْلَى باسْتِعَانَةٍ عُــرِفْ ... وَشَطْرًا أَوَ أَدْنَى بِإِيدَاعِ أَلِــــفْ.
والعَقْدُ نَظْمُ النثرِ لاَ بِالاقْتِبَاس ... والحَلُّ نَثْرُ النَّظْمِ فاعْرِفِ القِياس.
واشترطوا الشهر في الكَــلاَم ... والمنْع أصل مَــذْهب الإِمَـــام.

التلميح:

إِشَارَةٌ لِقِصَّـــــة شِعْرٍ مَثَــلْ ... مِــنْ غيْرِ ذِكْرِهِ فَتَلْمِيــحُ كَمَـــلْ.
من ذلك التوشيع والترديـــد ... ترتيــب اختـــراع أو تعديـــد.
كالتائبون العابدون الحامدون ... السائحون الراكعــون الساجــدون.
تطريز أو تدبيج استشهــاد ... إيضــاح ائتـــلاف استطـــراد.
إحالة تلويـــح أو تخييـــل ... وفرصـــة تسميــط أو تعلــيل.
تحلية أو نقــل أو تختـــم ... تجريــد استقـــلال أو تهكــم.
تعريض أو إلغــاز ارتقـــاء ... تنزيل أو تأنيـــس أو إيمـــاء.

حَسْنُ البَيَانِ وَصفٌ أوْ مُرَاجَعَهْ حُسْـــنُ تَخَلُّصٍ بِـــلاَ مُنَازَعـــــهُ.

فصل: فيما لايعد كذبا.

وَلَيْسَ فِـــي الإِيهـــَامِ وَالتَّهَكُّـــم وَلاَ التَّغَالِـــــي بِسِوَى المحـــــرّم.

مِنْ كَذِبٍ وفي المِزَاح قَدْ لزِبْ بِحَيْثُ لاَ مِنـــــْهُ يُعَدُّ مـــن الكَذِب.

خاتمـــــة:

وَيَنْبَغِـــي لِصَـــاحِبِ الكَـــلاَم تَأَنُّقٌ فِـــــي البَـــــدْءِ وَالخِتـــــَام.

بِمَطْلَـــعٍ حَسَنٍ وَحُسْن الفَـــالِ وَسَبْكٍ أو بَرَاعَـــــــةِ اسْتِهْـــلاَل.

والحُسْنُ فِي تخلّص أو اقْتِضَاب وَفِي الذي يَدْعُونَهُ فَصْلَ الخِطَاب.

وَمِنْ سِمَاتِ الحُسْنِ فِـــي الخِتَام إِرْدَافُـــهُ بِمُشْعِـــــرِ التَّمَـــــــام.

هذا تمـــام الجنـــة المقصـــودة مِـــنْ صِفَةِ البَلاَغَـــةَ المحْمُـــودَهْ.

ثُمَّ صَلاَةُ اللهِ طُـــــولَ الأَمَـــد عَلَـــــى النَّبِيِّ المُصْطَفَى (مُحَمَّد).

وآلِـــــهِ وصَحْبِـــهِ الأَخْيَـــــار مـــــَا غَرَّدَ المْشْتَاق بِالأَسْحَـــــار.

وَخَـــــرَّ سَاجِدًا إِلـــى الأَذْقَان يَبْغِـــــي وَسِيلَةً إِلـــــى الرّحْمَن.

ثم بِشَهْرِ الحُجّـــَةِ المَيْمُـــــون تَتْمِيمُ نِصْفِ عَاشِـــــرِ القُـــرُون.

مقدمة.	
مدخل: السياق التاريخي لعبد الرحمن الأخضري.	
1- المنطلقات التاريخية ممزوجة بالخصوصية البيئية.....	5
2- أثر ثقافة الأخضري (ت.983هـ) في علماء عصره واللاحقين له.....	8
3- مفهوم المنظومة.....	10
4- القيمة العلمية للجوهر المكنون في ثلاثة فنون للأخضري (ت.983هـ).....	11
الفصل الأول: الأسس النظرية لعلم البديع.	
1-تعريف البديع.....	13
2- علم البديع نشأة وتطور.....	14
3- أضرب البديع.....	25
4 -الأسس النظرية لعلم البديع.....	26
5- أثر البديع في الأساليب اللّغوية.....	30
6- أصول الانفعال البديعي بالأساليب اللّغوية.....	41

7- العلاقة بين البلاغة والبديع.....	48
8- أثر الوظائف اللغوية في بنية البديع.....	49
1- الوظيفة اللّسانية.....	49
2- الوظيفة الدلالية.....	50
3- الوظيفة الأسلوبية.....	52
الفصل الثاني: سمات الموضوع البديعي لدى عبد الرحمن الأخضري(ت.983هـ)	
1- المهاد التاريخي لموضوع البديع.....	55
2-الدرس اللّغوي البديعي لدى الأخضريّ (ت.983هـ).....	57
3- منهج منظومة البديع.....	62
4- أساليب التحسينات البديعية اللفظية.....	67
5- أسرار المعارف القلبية.....	69
6- موازنة بين عبد الرحمن الأخضري (ت.983هـ) وغيره من علماء	79

البديع....	
الفصل الثالث: المصطلحات البديعية عند عبد الرحمن الأخضري	
أولا:موضوعات البديع الراجعة إلى المقاصد المعنوية من الكلام.....	87
1- المطابقة.....	87
2- تشابه الأطراف.....	88
3- الموافقة.....	
4- العكس.....	
5- التسهيم.....	
6- المشاكلة.....	
7- التزاوج.....	
8- الرجوع.....	
9- المقابلة.....	
10- التورية.....	
11- الجمع.....	
12- التفريق.....	
13-	

التقسيم.....	
14- الجمع والتفريق.....	
15- الجمع مع التقسيم.....	
16- الجمع مع التفريق والتقسيم.....	
17- اللف والنشر.....	
18- الاستخدام.....	
19- التجريد.....	
20- المبالغة.....	
21- التفريع.....	
22- حسن التعليل.....	
23- المذهب الكلامي.....	
24- تأكيد المدح بما يشبه الذم.....	
25- تأكيد الذم بما يشبه المدح.....	
26- الإدماج.....	
27- الاستتباع.....	
28- التوجيه.....	
29- قصد الجد بالهزل.....	
30- التَجَاهُلُ.....	
31- القول بالمُوجَبِ.....	
32- الاطّراد.....	
ثانيا: موضوعات البديع الراجعة إلى المقاصد اللفظية.....	
أولا: الجناس.....	
ثانيا: السجع.....	

ثالثا: الموازنة.....	
رابعا: السرقات.....	
خامسا: السرقة الخفية.....	
سادسا: الإقتباس.....	
ثامنا: التلميح	
تاسعا: تذنيب بالألقاب من الفن.	
عاشرا: فيما لا يعدّ كذبا.....	
الخاتمة.....	141
ملحق.....	144
فهرس المصادر والمراجع.....	155
فهرس الموضوعات.....	164